جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 72

نوفمبر 2018

ISSN 1112-4652

مجلة دراسات العدد: 71 - نوفمبر 2018

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد: 72 - نوفمبر 2018

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، وملخص بالعربية إن لم يكن البحث بالعربية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية لكلّ باحث يظهر اسمه مع عنوان البحث(نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم كلّ باحث يظهر اسمه في عنوان البحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.**

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، **ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.**

- قواعد التوثيق: **تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النصّ المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

-ملاحظة

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.

مجلة دراسات العدد: 72 - نوفمبر 2018

فهرس المحتويات

مجلة دراسات العدد : 72 - نوفمبر 2018

الإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين كتب التفسير

دراسة نقدية حديثية تفسيرية

د. عدنان بن محمد ابو عمر
المعهد العلمي الإسلامي
الإمارات العربية المتحدة عجمان

الملخص:
سعى هذا البحث إلى تحديد الصحيح من غيره فيما يتعلق بالإسرائيليات، مع بيان أسباب انتشارها في كتب التفسير، ومعرفة أقسام هذه الإسرائيليات، وحكم كل قسم من الناحية الشرعية. وتوصل البحث إلى ما يلي: الإسرائيليات باعتبار حكم الإسلام فيها ثلاثة أقسام:
-1ما وافق الشرع نقبله.
-2ما خالف الشرع نتركه.
– 3ما سكت عنه الشرع نتوقف فيه.
وكل هذا جاء وفق دراسة نقدية حديثية علمية وفق ما قرره علماء الجرح والتعديل لهذه الروايات.
ومن خلال هذا البحث سوف نستنتج الدور الكبير لأسباب انتشار هذه الإسرائيليات من قبل من اعتنق هذا الإسلام من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وبيان جهود العلماء في تحديد هذه الروايات وتخليص كتب التفسير منها، ووضح البحث: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها – المسيحيات – في الأخلاق، والمواعظ، وترقيق القلوب.
ونتج عن البحث: أن كتاب التفسير فيها الكثير من الإسرائيليات فلا بد من دراسة موضوعية لها، ونقد رواياتها وفق مناهج المحدثين في دراسة الأسانيد والمتون لهذا أقترح أن تنقى هذه الكتب من خلال دراسات علمية نقدية.

الكلمات المفتاحية: القرآن ؛ السنة ؛ الإسرائيليات ؛ التفسير ؛ الروايات.

Abstract:
This research focuses on the valid and reliable Isra'iliyyat (narratives of Jews or Israelites) including the reasons that made Muslims include them in Tafseer books, define their types and the validity of each type according to Shari’ah law. The research has reached to the following findings:
The Isra'iliyyat according to Shar’iah law is divided into three types:
1. Compatible with Shar’iah law; we accept it.
2. Incompatible with Shar’iah law, we refuse it.
3. Neutral; we do more research.

The research has adopted modern, scientific and critical method in line with the standards of discrediting and endorsement science.
In addition, the research sheds the light on the role played by Jews and Christians, who embraced Islam, in adopting the narratives of the Israelites. It also shows the efforts of Muslim scholars in refining the Tafseer books and removing false narratives. The research illustrates that Tafseer books include very narrow range of Christian narratives which do not have that negative impact in comparison to the narratives of Jews, as most of Christian narratives are about ethics, sermons and heart softening.
The research has concluded that Tafseer books have a lot of Isra'iliyyat that need to be objectively considered and criticized based on Hadeeth methods and standards.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، الحمد لله القائل: في محكم تنزيله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُوْنَ**﴾ [النحل: 44]. الحمد لله الذي شرع الأحكام للناس في قرآنه المُبِيْن، وبَيَّنَ تفصيل أحكامه بخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

وبعد: **فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى وفيه مراده من خلقه**، والسنة النبوية أصل من أصول الدين وهي حجة لازمة على جميع المسلمين لوجوب الرجوع إليها من حيث العمل بها شرعاً متى ثبتت نسبتها عند المحدثين، فالسنة مبينة ومفسرة للقرآن الكريم.

قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيْكُم أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَابُ اللهِ وَسُنَّتِي**»[(1)].

وهذا البحث يتناول مسألة غاية في الأهمية، وهي:

(الإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين كتب التفسير دراسة نقدية حديثية تفسيرية).

أ – أهمية الموضوع والغرض منه:

- تأتي أهمية هذا البحث أنه يعرف المسلم بالروايات الإسرائيلية، ومدى خطورتها فيما يتعلق بإدراجها بكتب التفسير.
- وجوب الحذر من الفرق الضالة التي تقصد تشويه عقيدة المسلم من خلال هذه الروايات الإسرائيلية التي تخالف الشرع والدين الإسلامي.
- بعض كتب التفسير فيها روايات إسرائيلية، فوجب الاهتمام بهذا البحث بقصد تنقية هذه التفاسير من هذه الروايات.

([1]) مالك في الموطأ , بلاغاً (هو ما رواه مالك بصيغة ((**بلغني**)) يرفعه للنبي ﷺ بدون سند ,كتاب القدر, باب: النهي عن القول في القدر, راجع شرح الزرقاني رقم 1727 (4 / 330)، وانظر: تخريجه في الموطأ, رقم 3 ص644, قال الزرقاني: ((مر أن بلاغه صحيح كما قال ابن عيينة , وأخرجه ابن عبد في حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وله شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم في مستدركه 1 / 93.

ملاحظة: العلماء وصلوا بلاغات الإمام مالك في موطئه وعددها(42) وممن وصلها ابن عبد البر في كتابه التمهيد سوى أربعة أحاديث قام بوصلها ابن الصلاح ضمن رسالة له، وأثبتوا صحة واتصال هذه البلاغات.

المنهج المتبع في كتابة البحث:، ويتلخص هذا المنهج في ما يلي:

– سردت في دراسة الموضوع وتناول مطالبه على طريقة العرض والنقد في المنهج العلمي التحليلي المقارن، وذلك عن طريق عرض الأقوال والآراء، من ثم قمت بتحليلها ومقارنتها ومناقشتها، وأخيراً الترجيح , معتمداً على أقوال العلماء فيما صح عنهم مع التوثيق الدقيق للمادة العلمية.

خطة البحث: الخطة وضعتها كالتالي:

مقدمة: وتشتمل على:

أهمية الموضوع والغرض منه، والمنهج المتبع في كتابة البحث.

(الإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين كتب التفسير دراسة نقدية حديثية تفسيرية)

ويتضمن تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: الإسرائيليات تعريفها أقسامها وحكمها

المطلب الثاني: ذ كر أقوال بعض أهل العلم في تحذيرهم من الإسرائيليات

المطلب الثالث: الأمثلة التطبيقية على الإسرائيليات الموضوعة على رسول الله ﷺ

المطلب الرابع: أشهر كتب التفسير التي تضمنت الإسرائيليات

الخاتمة: وتتضمن أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج، و فهرس المصادر والمراجع.

تهميد

تحدث القرآن الكريم عن قصص الأمم البائدة، وقصص الأنبياء بصورة مجملة، مقتصراً في ذلك على مواضع العظة والاعتبار، وهذا هو المطلوب من سرد هذه القصص، ولم يفصل الجزئيات في هذه القصص، فعلى سبيل المثال: ذكر القرآن الكريم قصة أهل الكهف دون التصريح بأسمائهم ولا اسم كلبهم، ولا اسم الملك الظالم في عصرهم، ولا مكان وجودهم، فهذه الأمور قد يجدها الباحث في كتب أهل الكتاب – التي حرفت وبدلت، وقد وجد في عهد الصحابة من أهل الكتاب ممن أسلموا أمثال كعب الأحبار[(1)]، وعبد الله بن سلام[(2)]، وتميم الداري[(3)]، يتحدثون ولو بالقليل بهذه المرويات، وقد أصبحت في عهد التابعين أكثر انتشاراً، ثم أخذها من هم بعد التابعين، وكثر انتشارها ودخلت كتب التفسير، ما صح منها وما لم يصح، من المكذوب الذي لا يقرُّه شرع ولا دين ولا عقل.

والملاحظ أن هذه الإسرائيليات أصبحت تخبو وتتلاشى من كتب التفسير المعاصرة.

([1]) **كعب الأحبار (... – 32 هـ =... – 652 م)** كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم زمن أبي بكر، أخذ عنه الصحابة الكثير، سكن حمص ومات فيها، وعمره 104 سنة. انظر سير أعلام النبلاء 3 / 489 وما بعدها رقم 111، والأعلام للزركلي 5 / 228.

([2]) **عبد الله بن سلام (... – 43 هـ =... – 663 م)** بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، صحابي أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، كان اسمه "الحصين" فسماه النبي ﷺ عبد الله، شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية، مات بالمدينة، له 25 حديثا. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 2 / 413 وما بعدها رقم 84، والأعلام للزركلي 4 / 90.

([3]) **تميم الداري (... – 40 هـ =... – 660 م)** تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي جليل، أسلم سنة 9 هـ، أول من أسرج السراج بالمسجد، كان راهب أهل عصره، أخرج له الشيخان 18 حديثاً. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 2 / 442 وما بعدها رقم 86، والأعلام للزركلي 2 / 87.

وكلمة **(الإسرائيليات)** لا يراد بها ما روي عن أبناء إسرائيل (يعقوب) عليه السلام خاصة، بل هو من باب التغليب ما يشمل طائفتي اليهود والنصارى من بني إسرائيل، وما عندهم من ثقافة دينية خاصة بهم وهذا لا يعتبر من تغليب الثقافة اليهودية على النصرانية – كما قال الدكتور محمد حسين الذهبي – محتجاً لقوله هذا: إلا أن ظاهر لفظ الإسرائيليات يدل على اللون اليهودي خاصة، وأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره، فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمره، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم[1].

هذا كلام الذهبي، وهو غير مُسَلَّمٌ به[2] ؛ لأن كل الثقافة الدينية اليهودية باستثناء الكفر بعيسى، هي بالضرورة ثقافة نصرانية، يدين بها النصارى تماماً، كاليهود، وهم يسمون ما عند اليهود (العهد القديم)، وما عندهم من الأناجيل الأربعة والرسائل (العهد الجديد)، ويطلقون على كلا العهدين (الكتاب المقدس).

وإنما قلنا عنوان بني إسرائيل على ما يشمل اليهود والنصارى، ولم نخص به اليهود ؛ لأن عيسى عليه السلام مرسل إلى بني إسرائيل، كما أرسل موسى إليهم بنص القرآن قال تعالى في وصف عيسى: **﴿وَرَسُوْلاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم ﴾**[3] [آل عمران: 49].

المطلب الأول: الإسرائيليات تعريفها أقسامها وحكمها

أولاً: الإسرائيليات لغة:

لفظ الإسرائيليات جمع، مفرده: إسرائيلية، وهي عبارة عن قصة، أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي.

وإسرائيل: كلمة عبرانية مركبة من كلمتين (إسرى) بمعنى: عبد، أو صفوة، ومن (إيل) وهو الله، فيكون معناها مركبة: عبد الله وصفوته من خلقه[4].

والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[5].

وبنو إسرائيل: أبناء يعقوب، ومن تناسل منهم فيما بعد، إلى زمن موسى عليه السلام، ومن أتى بعده من الأنبياء، وحتى عهد عيسى عليه السلام، وحتى عهد نبينا محمد ﷺ[6].

ثانياً: الإسرائيليات اصطلاحاً:

---

(1) انظر: التفسير والمفسرون 1 / 121.

(2) وهذا قول الشيخ إبراهيم خليفة في مناهج المفسرين ص320.

(3) انظر مناهج المفسرين: إبراهيم خليفة ص320، والبيان في علوم القرآن للدكتور محمد علي الحسن ص227 – 228.

وقد عرف الإسرائيليات عبد الله بن يوسف الجديع فقال: ((هي الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب من غير طريق القرآن والسنن الثابتة عن النبي ﷺ، كالذي يحكى عن كعب الأحبار، وكان من أحبار اليهود، فأسلم، ووهب بن منبه، وقد اعتنى بأخبارهم، وغيرها)). انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص343.

(4) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي 1 / 721، والإسرائيليات أبو شهبة ص12 - 13.

(5) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث محمد حسين الذهبي ص13.

(6) انظر: المصادر السابقة.

لم أستطع الوقوف على تعريف اصطلح عليه أحد من المتقدمين، عن المراد بالإسرائيليات في تحديد المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة، إلا ما ذكره بعض الباحثين المعاصرين.

انظر تعريف الإسرائيليات عند الذهبي ومن تبعه بعده، وهم كثر، وتعريف الدكتور إبراهيم خليفة، والدكتور محمد علي الحسن مؤيداً ما قاله سابقه في تعريف مدلول هذه الكلمة، وقد خالفا الذهبي في تعريفه لها كما ذكر في تمهيد البحث.

قال أبو شهبة: "والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات، أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها.

وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها – المسيحيات – في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب"[1].

وقد ضم بعضهم إلى مدلولها كل الأخبار والروايات المختلقة والملفقة والمكذوبة التي دسها أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم في التفسير والحديث، بقصد الكيد والمكر لهذا الدين، وتشويه صورته، وإثارة الشبهات حوله نحو قصة الغرانيق[2] وغيرها[3].

ثالثاً: أقسام الإسرائيليات وحكمها:

لقد قسم الإسرائيليات ابن تيمية، وتبعه في ذلك ابن كثير – ثلاثة أقسام، وبينا حكم كل قسم منها على حدة[4]، مستنبطين ذلك التقسيم من الأدلة الشرعية الثابتة.

وهذه الإسرائيليات التي وصلت إلينا عن طريق مسلمي أهل الكتاب، وعلمائهم الذين اعتنقوا الإسلام كثيرةٌ، ودخل معظمها في كتب التفسير، فيجب على كل من يتصدى للتفسير تصنيفاً وقراءة الانتباه إلى هذا.

وتنقسم الإسرائيليات باعتبار حكم الإسلام فيها إلى ثلاثة أقسام وهي على الشكل التالي:

1- ما وافق الشرع.

2- ما خالف الشرع.

3 – ما سكت عنه الشرع.

القسم الأول: ما وافق الشرع عندنا، فهو صحيح، وهذه الموافقة دليل على عدم تحريفه وتبديله، وهذا القسم إن ذكر يذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، كما صرح بذلك ابن كثير الدمشقي، ولا حاجة لنا فيه اسغناءً لما ثبت عندنا في الشرع، وإن ذكر في معرض تفسير آية فلا يعتبر هو المفسر له، بل المعتبر إنما هو ما ثبت في الشرع عندنا مما هو موجود وفي هذا يقول ابن كثير: "فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا"[5].

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد أبو شهبة ص14.

(2) للحديث عن هذه القصة،انظر: تفسير الطبري 17 / 186 عند الآية 52 من سورة الحج.

(3) انظر الإسرائيليات والموضوعات أبو شهبة ص13 – 14.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية 13/ 36– 367، وانظر البداية والنهاية لابن كثير 7/1، 8، ومقالات الكوثري ص34.

(5) البداية والنهاية لابن كثير 1 / 5، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 13 / 366، ومقالات الكوثري ص 34.

القسم الثاني: ما خالف الشرع عندنا، فهذا مردود لا يقبل في حال من الأحوال، فهذه المخالفة دليل على أنه قد حَرَّفَ وَبَدَّلَ وَغَيَّرَ ولا يصح ولا يصلح في التفسير أبداً، ولا يجوز روايته إلا على سبيل التنبيه على كذبه وتحريفه.

وفي هذا القسم من الإسرائيليات يقول ابن كثير:"وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسولنا محمدﷺ عن سائر الشرائع وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى – نتتابع – على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وغلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغيير"[1].

القسم الثالث: ما سكت عنه الشرع عندنا، وهو يتفرع إلى نوعين:

الأول: مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا يوجد في شرعنا ما يؤيده ولا ينقضه.

قال ابن كثير: "إنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله ﷺ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[2] فيما قد يجوزه العقل، فأما ما تحيله العقول، ويحكم عليه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل"[3].

الثاني: ما سكت عنه الشرع عندنا، لكن العقول لا تحيله ولا تنكره ولا يغلب على الظن كذبه، فهنا يجب التوقف، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب، وعلى هذا يتزل قول الرسول ﷺ: **"لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوْهُم، وَقُوْلُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا..."**[4] [البقرة: 136].

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: "أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر مصدقاً فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله"[5].

ذكر ابن كثير حديث النبي ﷺ: **"حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ وَلاَ حَرَجَ"** ثم قال: "هذا محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها، ولا يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار"[6].

على أن تكون الغاية من روايتها وذكرها للاستشهاد والاستئناس، لا الاعتقاد، وهي في كل الأحوال لا تثبت حكماً، ولا تكون مكاناً للاستنباط[7].

([1]) انظر: المصادر السابقة نفسها.

([2]) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ص 666 رقم 3461 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

([3]) تفسير ابن كثير 4 / 236.

([4]) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿ قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ ص 848 رقم 4485 عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

([5]) فتح الباري الكتاب والباب نفسهما عند البخاري 8 / 170 رقم 4485.

([6]) البداية النهاية لابن كثير 1 / 8.

([7]) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 13 / 366 – 367.

إلا أن الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى – يرى أن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيّنٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم – أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير، أو البيان.

وهذا – عنده – من أقوى الأدلة على تصديق رواياتهم وأقاويلهم، وهذا مما لا يجوز، ولا يصح[1].

قلت: هذا كلام واحتياط دقيق من هذا العلامة الجليل رحمه الله.

ويضاف إلى هذا الكلام أيضاً: أن إيراد هذه الروايات الإسرائيلية – المسكوت عنها – بجانب الآيات القرآنية، قد يترتب عليه هز ثقة الناس بالتفسير المأثور في حال ظهور بطلان وفساد هذه الروايات الإسرائيلية، كأن تناقض حقائق تاريخية، أو كونية، أو فلكية، وفي ذلك من المفسدة ما فيه [2].

وفي المبحث التالي سنذكر بعض أقوال العلماء والأئمة الكبار من المحققين في تحذيرهم من هذه الإسرائيليات والابتعاد عنها، والتفسير بها حتى يتبين ويتضح حكمها أكثر، وينجلي للأفهام وترسخ في الأذهان.

المطلب الثاني: ذ كر أقوال بعض أهل العلم في تحذيرهم من الإسرائيليات

1 – كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضاً لم يشب[3] ؟!، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[4].

قلت: مما هو معلوم ومعروف أن ابن عباس قد نسب إليه كثير من الروايات التفسيرية، والتي جاء في بعضها شيء من هذه الإسرائيليات، والتي لم تثبت.

فهذا القول الصحيح الوارد عنه رضي الله عنهما يمكن أن يكون قاعدة من خلالها نستطيع أن نرد تلك الروايات غير الثابتة عنه والتي لم تصح، فهذا القول عنه يرد كل ما جاء مروياً عنه مما لم يعرف طريقه من هذه الإسرائيليات المرفوضة والمردودة شرعاً.

([1]) انظر: مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر 1 / 14.

([2]) انظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم ص154. وهذا النوع من الإسرائيليات يعتبر أكثر الأنواع التي رويت في كتب التفسير، كما صرح بذلك إمام هذا الفن ومتقنه ابن كثير الدمشقي رحمه الله. انظر: البداية والنهاية لابن كثير 1 / 6 – 7 .

([3]) **لم يشب**: من الشوب: وهو الخلط. انظر: لسان العرب لابن منظور الإفريقي مادة شوب 1 / 510.

([4]) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)) ص1402 رقم 7363.

2 – نقل القرطبي عن أبي بكر بن العربي، وهو يتحدث عن الإسرائيليات قوله: "والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً"[1].

3 – قال المفسر ابن كثير الدمشقي: "الذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتملت عليه من الكذب المروج عليه، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ والمتقنون من هذه الآية"[2].

4 – قال ابن قيم الجوزية: من الأمور التي يعرف بها الحديث الموضوع: أن يكون مما تقدم الشواهد الصحيحة على بطلانه... وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره دون أن يبين أمره، ولا ريب أن هذا وأمثاله من صنع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام[3].

5 – قال الإمام العلامة الشنقيطي في معرض حديثه عن الإسرائيليات عند تفسير الآية (9) من سورة الكهف: "واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها" [4].

6 – وقد نص الزرقاني أن إدخال هذه الإسرائيليات في كتب التفسير أحد الأسباب التي أدت إلى ضعف التفسير بالمأثور، وفي هذا يقول: "إن تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات، ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن"[5].

7 – يقول الدكتور محمد حسين الذهبي عن هذه الإسرائيليات: "علمنا أن كثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقة بين الصحيح والعليل دسيسة دخلت في ديننا واستفحل خطرها، كما علمنا أن قوله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" قاعدة مقررة لا يصح العدول عنها بأي حال من الأحوال، وبعد هذا وذاك نقول: إنه يجب على المفسر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة، ناقدا إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة ورواية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن.... على أن الخير للمفسر أن يعرض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات وأن يمسك عما لا طائل تحته مما يعد صارفاً عن القرآن وشاغلاً عن التدبر في حكمه وأحكامه، وبدهي أن هذا أحكم وأسلم" [6].

([1]) تفسير القرطبي 5 / 137، لم أعثر على هذا القول في أحكام القرآن ولا في قانون التأويل، وكلاهما لابن العربي.

([2]) تفسير ابن كثير 3 / 181 – 182.

([3]) انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص74 – 75.

([4]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الجكني الشنقيطي 4 / 22.

([5]) مناهل العرفان 2 / 19.

([6]) التفسير والمفسرون 1 / 131 – 133.

8 – قال الشيخ محمد عبده عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **وَقُوْلُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** ﴾ [البقرة: 58] وبعدما ذكر أقوال المفسرين في الآية: "ومنشأ هذه الأقوال الروايات الإسرائيلية، ولليهود في هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسرون، ولا نجيز حشوها في تفسير كلام الله تعالى"[1].

9 – ويقول تلميذه رشيد رضا فيها: "كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني، ومصطلحات البيان.... وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات.... وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب"[2].

10 – وقد رد العلامة أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات رداً شديداً فقال: "وأما تفاسير الصحابة والتابعين، وهي أكثر من أن تحصى: ففيها الصحيح والحسن والضعيف، والإسرائيليات، التي تشتمل على خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم، وقد تدسست إلى الكتب الإسلامية، ولا سيما كتب التفسير، وأصبحت تكوّن ركاماً، غثّاً مجموعاً من هنا وهناك، سواء في ذلك ما كان خاصاً بالتفسير المأثور، وما جمع بين المأثور وغيره، فما كان من هذه الروايات صحيحاً أو حسناً أخذنا به، وما كان ضعيفاً أو واهياً، أو موضوعاً أو من الإسرائيليات نبذناه"[3].

المطلب الثالث: الأمثلة التطبيقية على الإسرائيليات الموضوعة على رسول الله ﷺ

لقد رأيت أن أعتمد على ذكر أمثلة تطبيقية في الإسرائيليات معتمداً في ذلك على تفسير عرف بعزوفه عن هذه الإسرائيليات والتشدد في رفضها، وهو "فتح البيان في مقاصد القرآن" والذي يتتبع ويتصفح هذا التفسير يلاحظ أن مؤلفه قد حاول جاهداً تصفية تفسيره هذا من الإسرائيليات، وقد نجح في هذا إلى حد كبير، نراه رد كثيراً من هذه الأخبار ونقدها، ووضح رفضه لها، ونراه في كثير من المواضع قد أعرض عن كثير منها، فهو قد استفاد كثيراً من التفاسير التي سبقته في ذلك.

وقد بين سبب إعراضه عن هذه الإسرائيليات عند تفسيره لقول الله تعالى عن قصة لوط ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيْلٍ مَنْضُوْدٍ** ﴾ [هود: 82].

فقال: "وقد ذكر المفسرون روايات وقصصاً في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة، وليس في ذكرها فائدة، ولا سيما وبين من قال بشيء من ذلك، وبين هلاك قوم لوط دهر طويل، لا يتيسر له في مثله إسناد صحيح، وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب، وحالهم في الرواية معروف، وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فاعرف هذا .... فهو الوجه لحذفنا كثيراً من هذه الروايات الكائنة في قصص الأنبياء وقومهم"[4].

وقومهم"[4].

---

(1) تفسير المنار محمد رشيد رضا 1 / 325.

(2) تفسير المنار محمد رشيد رضا 1 / 7- 8.

(3) الإسرائيليات والموضوعات أبو شهبة ص85.

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان القنوجي البخاري 6 / 226 – 227.

وفي موضع آخر يقول عن هذه الإسرائيليات موضحاً موقفه منها: "والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب – سامحهما الله – فيما نقلا إلى هذه الأمة من بني إسرائيل من الغرائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ"[(1)].

وبعد هذا البيان نشرع ببيان الأمثلة التطبيقية، معتمدين في ذلك على هذا التفسير، وما ذكره من أمثلة ثم نناقش هذه الأمثلة، ونبين بطلانها:

1 – قصة بني إسرائيل:

ما ذكره عن "البعض" الذي ضرب به قتيل بني إسرائيل الذي ورد ذكره في قول الله تعالى ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيْكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُوْنَ**﴾ [البقرة: 73].

وفي هذا يقول: "واختلف في "البعض" الذي أمروا بأن يضربوا به القتيل، فقيل: بلسانها، وقيل: بعجب الذنب، قيل: بفخذها اليمين، وقال ابن عباس: بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو أصل الأذن[(2)] – ثم نراه يعقب على هذه الأقوال قائلاً: ولا حاجة إلى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم، ويكفينا أن نقول: أمرهم الله بأن يضربوه ببعضها، فأي بعض ضربوا به، فقد فعلوا ما أمروا به، وما زاد على هذا فهو من فضول العلم، إذ لم يرد به برهان، وليس في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يدل على ذلك البعض ما هو"[(3)].

وهو ما رجحه الطبري في هذا البعض عندما قال: "والصواب من القول عندنا في تأويل قوله ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا**﴾ أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله"[(4)].

وهو الراجح والصواب لأن "الآية ليست نصاً في مجمله، فكيف بتفصيله" [(5)].

2 – معنى السكينة التي ذكرت في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾:

قال عند تفسيره لقول الله تعالى في بيان معنى "السكينة" التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوْتُ فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُم** ﴾ [البقرة: 248].

([1]) حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة المؤلف نفسه ص152.

([2]) انظر نسبة هذه الأقوال لأصحابها في تفسير الطبري 1 / 359 – 360.

([3]) فتح البيان 1 / 200.

([4]) تفسير الطبري 1 / 360.

([5]) تفسير المنار 1 / 291.

فقد نقل صديق حسن خان الأقوال في بيان معنى السكينة فقال: "الدابة قدر الهرة لها عينان لهما شعاع، وكان إذا التقى الجمعان أخرجت يديها ونظرت إليهم، فينهزم الجيش من الرعب، وعن علي: السكينة ريح خجوج[1] هفافة، لها رأسان ووجه الإنسان، وقال مجاهد: السكينة شيء يشبه الهرة، وعن ابن عباس: السكينة: طشت من ذهب من الجنة كان يغسل بها قلوب الأنبياء ألقى الألواح فيه، وعن وهب بن منبه أنه قال: هي روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون، وعن عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون إليها – وقد علق صديق حسن خان على هذه الأقوال فقال -: وأقول: هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقماهم الله، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم، وانظروا إلى جعلهم لها تارة حيواناً وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض، ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي ﷺ، ولا رأياً رآه قائله، فهم أجل قدراً عن التفسير بالرأي وبما لا مجال فيه للاجتهاد"[2].

وقد رجح صديق حسن خان أن معنى السكينة: بمعنى الطمأنينة، ويرى أن المرجع في معناها، إنما هو اللغة ؛ لأنه لم يرد نص صريح في بيان وتفسير معناها[3].

ونلاحظ: أن بعض المفسرين قد ذكروا هذه الأقوال وضمنوها تفاسيرهم دون أن ينبهوا عليها ويعلقوا، ومن هؤلاء: الزمخشري[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، وأبو السعود[7]، وغيرهم. وقد ذكر هذا المعنى للسكينة للسكينة الطبري، وابن عطية في تفسيرهما، فبعد أن أورد الطبري الروايات في بيان معناها قال: هي "الشيء الذي تطمئن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها"[8] وهذا ما رجحه رحمه الله.

أما ابن عطية قال فيها بعد أن سرد هذه الأقوال: "والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك، وتأنس به وتقوى"[9].

3 – بيان معنى الجبارين في قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا ﴾ [المائدة: 22]: قال صديق حسن خان: "والمراد هنا أنهم قوم عظام طوال متعاظمون، قيل: هم قوم من بقية قوم عاد، وقيل: هم قوم ولد عيص بن إسحاق، وقيل: هم قوم من الروم، ويقال: إن منهم عُوَج بن عُنق المشهور بالطول المفرط، وعنق بنت آدم، وقيل: كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمئة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع

([1]) **خجوج:** بمعنى: ريح شديدة في مرورها، ملتوية في هبوبها. انظر: لسان العرب لابن منظور 4 / 29 مادة خجج.

([2]) فتح البيان 2 / 74 – 75.

([3]) انظر: فتح البيان 2 / 75.

([4]) انظر الكشاف 1 / 321.

([5]) انظر: تفسير ابن جزي ص62.

([6]) انظر: تفسير ابن كثير 1 / 394.

([7]) انظر: تفسير أبي السعود 1 / 288.

([8]) تفسير الطبري 5 / 329.

([9]) المحرر الوجيز 2 / 259.

– ثم أورد كلام ابن كثير فقال -: وهذا شيء يُسْتَحْيَ من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص"[1]، ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبتيه، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال: ﴿ **رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً** ﴾ [نوح: 26]، وقال الله تعالى ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُوْنِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ البَاقِيْنَ** ﴾[الشعراء: 119 – 120]... وإذا كان ابن نوح غرق ؛ فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر ولد زنية، هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم – وقد علق على هذا الكلام صديق حسن خان ذاكراً رأيه فقال: "لم يأت في أمر هذا الرجل ما يقتضي تطويل الكلام في شأنه، وما هذه بأول كذبة اشتهرت بين الناس، ولسنا بملزومين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصاص، ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم"[2].

وقد نقل صديق حسن خان ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس: "أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريباً من المدينة، وهي أريحا، فبعث إليهم اثني عشر عيناً من كل سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجسمهم وعظمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار من حائطه، فجعل يجتني الثمار، فنظر إلى آثارهم فتتبعهم، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه، فجعله في كمه مع الفاكهة، حتى التقط الاثني عشر كلهم، فجعلهم في كمه مع الفاكهة، وذهب إلى ملكهم، فنثره بين يديه...." [3].

وقد انتقد صديق حسن خان هذه الرواية التي ساقها الطبري إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال روي نحو هذا مما يتضمن المبالغة في وصف هؤلاء وعظم أجسامهم ولا فائدة في بسط ذلك، فغالبه من أكاذيب القصاص كما قدمنا[4] وهذه القصة تتعارض مع النقل والعقل معا، وقد فطن إلى خبر (عوج بن عنق) ابنُ قتيبة، وقد وقد ردّه قائلاً: "إن هذا حديث لم يأتِ عن رسول ﷺ، ولا عن صحابته، وإنما هو خبر من الأخبار القديمة التي يرويها أهل الكتاب، سمعه قوم منهم على قديم الأيام، فتحدثوا به" [5].

وردها أيضاً ابن القيم فقال: "إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير، و غيره، ولا يبين أمره" [6].

([1]) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ص634 رقم 3326، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير 9 / 194 رقم 2841، واللفظ للبخاري، ضمن حديث عنده.

([2]) فتح البيان 3 / 389 – 390.

([3]) فتح البيان 3 / 390، وانظر الأثر عند الطبري في تفسيره 6 / 173، 177.

([4]) فتح البيان 3 / 390.

([5]) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص188.

([6]) المنار المنيف في الصحيح و الضعيف لابن القيم ص 77.

ومن هنا: يتبين بطلان هذه القصة سنداً ومتناً، وأنها لا تصح لا شرعاً ولا عقلاً، وهذا ما نص عليه العلماء الناقدون المحققون.

4 – قصة آدم وحواء وإبليس في الجنة:

الملفت للانتباه والغريب في هذه القصة أنها انتشرت في كتب التفسير انتشار النار في الهشيم، وقل من نبه إليها بل إن بعضهم رجح صحتها بدون مرجح معتبر، والبعض الآخر جعل منها نصا نصا يستنبط منه حكماً شرعياً، كما سيبين.

قال صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ** ﴾ [الأعراف: 20]: "الذي يقوله بعض الناس أن إبليس دخل في جوف الحية، وهي دخلت به إلى الجنة، فهو قصة ركيكة"[1].

وقد أورد هذه القصة الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ...** ﴾ [البقرة: 36]، وبسنده إلى وهب[2] بن منبه "لما أسكن الله آدم وذريته – أو زوجته – (الشك من أبي جعفر) ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدها، وهي الشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية[3]، من أحسن دابة خلقها الله.... فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم، وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأكل منها آدم، فبدت لهما سوءاتهما..." [4].

وجاء الطبري بقصة نحو هذا عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم[5] لكن الملاحظ من الطبري الطبري هنا أنه لم ينكر هذه القصة، بل نراه يرجح أن تكون مقبولة وممكنة عنده، وفي هذا يقول ممكن أن يكون – إبليس – وصل إلى ذلك بنحو ما، قاله المتأولون، بل ذلك – إن شاء الله – كذلك، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك"[6].

والغريب أن يورد القرطبي جزءاً من هذه القصة، دون أن ينكرها، بل نراه ساق بعدها مباشرة الأحكام الشرعية المتعلقة بقتل الحيات[7].

([1]) فتح البيان 4 / 318.

([2]) **وهب بن منبه (34 – 114 هـ = 654 – 732 م)** الأبناوي الصنعاني، أبو عبد الله، مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، والإسرائيليات، من التابعين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 4 / 544 وما بعدها رقم 219، والأعلام للزركلي 8 / 125 – 126.

([3]) **بختية:** مؤنث بختي، وجمعها: بخاتي، وهي الإبل الخراسانية. انظر القاموس المحيط مادة بخت، 1 / 143، والنهاية لابن الأثير 1 / 101 ما دة بخت.

([4]) تفسير الطبري 1 / 235.

([5]) تفسير الطبري 1 / 235 – 236.

([6]) تفسير الطبري 1 / 238، قال: حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب قال: سمعت وهب بن منبه.. ثم ذكر القصة.

([7]) تفسير القرطبي 1 / 353 - 354.

وقد ذكر هذه القصة (الحية) البغوي[1] والخازن[2] في تفسيرهما، وبالنسبة لابن عطية، فإنه ذكر أقوالاً في كيفية إغواء إبليس لآدم، وحواء، وذكر قصة دخول إبليس الجنة في فم الحية مختصرة، لكنه لم يعقب عليها بشيء[3].

ومن هذا كله يتبين معنا بطلان هذه القصة، وكيفية رد الشيخ صديق لها، فقد كان أكثر وضوحاً في ردّها، وعدم الاعتداد بها، وقد صرح بردها، وهذا هو الصواب، والله أعلم.

5 – قصة قوم موسى في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوْسَى أُمَّةٌ يَهْدُوْنَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُوْنَ ﴾ [الأعراف: **159]:** فقد ذكر الشيخ صديق خان الأقوال التي قيلت في هؤلاء القوم قال: "هم القوم الذين بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه، وقال الكلبي[4]، والضحاك، والربيع[5]: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، ويصحون في النهار، ويزرعون، ولا يصل إليهم أحد منا، وهم على الحق..." [6].

وقد رد هذه القصة الشيخ صديق قائلاً: "وما أبعدها عن الصحة وأقربها للوضع، وقد ابتلي بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث..." [7].

وهذه القصة أوردها الطبري في تفسيره، وبسنده إلى ابن جريج: "قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا، وكانوا اثنى عشر سبطا، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرق بينهم، ففتح الله لهم نفقا في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا، قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله ﴿ **وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفاً** ﴾ [الإسراء: 104]، وعد الآخرة: عيسى بن مريم، يخرجون معه، قال ابن عباس: سار في السرب سنة ونصف" [8].

وجاء في رواية عند الطبري، وبسنده إلى السدي: "بينكم وبينهم نهر من شهد" [9].

وقد أورد بعض المفسرين هذه القصة دون أن يعقبوا عليها بشيء من التضعيف أو الرد منهم: الزمخشري[1]، والقرطبي[2]، وابن كثير[3]، وبعضهم عقب عليها بالتضعيف والرد منهم: الخازن[4] والآلوسي،

(1) انظر: معالم التنزيل للبغوي 1 / 64.

(2) انظر: تفسير الخازن 1 / 38 – 39.

(3) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية 1 / 187 – 189.

(4) **الكلبي: (... – 146 هـ =... – 763 م)** محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة، المفسر، ولد وتوفي في الكوفة، وهو ضعيف الحديث، هو أبو هشام، صاحب كتاب " الأصنام ". انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص479 رقم 5901، والأعلام للزركلي 6 / 133.

(5) **الربيع:** بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق، له أوهام، رمي بالتشيع، مات سنة 140هـ، أو قبلها. انظر: تقريب التهذيب ص205 رقم 1882.

(6) فتح البيان 5 / 54.

(7) فتح البيان 5 / 54 – 55.

(8) تفسير الطبري 9/87- 88.

(9) تفسير الطبري 9/87.

والآلوسي، وفيها يقول الآلوسي: "لا أراها شيئاً، ولا أظنك تجد لها سنداً يُعَوَّلُ عليه، ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء"[5]، فمن هذا كله يتبين أن هذه القصة مردودة عند النقاد والمحققين من هذا الفن سنداً ومتناً.

6 – قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في بيان معنى (البرهان) في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: 24]:

وقد رأيت أن أختم هذا المبحث بهذه القصة وتحديدا بهذا الجزء منها لما علق في الأذهان من مفاهيم خاطئة مما لا يليق بحق الأنبياء من أشياء تتنافى مع النقل والعقل، ولا تقبل عمن امتلك ولو ذرة فهم مما لا يجوز في حق أنبياء الله، فرأيت أن أفصل القول فيها مؤيداً ذلك بما قاله النقاد والمحققون من أهل هذا الفن والعلم.

تحدث الشيخ صديق خان عن هذا البرهان الذي ذكر في الآية فقال: "واختلف في هذا البرهان الذي رآه – يعني يوسف عليه السلام ما هو ؟ فقيل: إن زليخا قامت عند أن همت به إلى صنم لها في زوائد البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين، فقالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أولى أن أستحي من الله تعالى، روي معنى هذا عن علي بن أبي طالب، وفي رواية عن علي بن الحسين، وقيل: أنه رأى في سقف البيت مكتوباً: ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة، وقيل: رأى كفا مكتوبا عليه: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين، وقيل: إن البرهان هو: تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذه على عباده، وقيل: نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء، وقيل: رأى صورة يعقوب على الجدار عاضّاً على أنملته يتوعده، وبه قال قتادة، وأكثر المفسرين، والحسن وسعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة، والضحاك، وقيل: رأى جبريل في صورة يعقوب، قاله ابن عباس، وقيل: مُثِّلَ له يعقوب، فضرب بيده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: رأى جبريل، قاله البيضاوي[6]"[7].

وبعد سرده لهذه الأقوال نقل رأي الخفاجي فيها: "هذا مع ما في القصص، ونحوه مما لا يليق ذكره، وتركه أحسن منه كله مما لا أصل له والنص ناطق بخلافه، والبرهان ما عنده العلم الدال على تحريم ما همت، وأنه لا يمكن الهم فضلا عن الواقع فيه، هذا هو الذي يجب اعتقاده والحمل عليه"[8].

ثم يصرح الشيخ برد هذه الأقاويل والحكم عليها بالبطلان فيقول: "إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والأذهان، ويل لمن لاكها ولفقها، أو سمعها وصدقها.

([1]) انظر: الكشاف 158/2.

([2]) انظر: تفسير القرطبي 7 / 266 – 267.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير 3 / 354 -355.

([4]) انظر: تفسير الخازن 2 / 259 – 260.

([5]) روح المعاني الآلوسي 5 / 83 – 84.

([6]) انظر تفسير البيضاوي 3 / 480 – 481.

([7]) فتح البيان 6 / 314.

([8]) فتح البيان 6 / 314.

والحاصل: أنه رأى شيئا حال بينه وبين ما هم به، والله أعلم بما هو، وقد أطال المفسرون في تعيين (البرهان) الذي رآه بلا دليل عليه من السنة المطهرة، واختلفت أقوالهم في ذلك اختلافاً كثيراً"[1]، ونلاحظ الطبري بعد أن ساق هذه الأقوال في (البرهان) يقول: "الصواب أن يقول في ذلك: ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى علمه"[2]، وقد رجح ابن الجوزي أن المراد بالبرهان (حجة الله عليه) فقال: "رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، هذا هو الصحيح، وما تقدم – يعني الأقوال في معنى (البرهان) -، فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب (المغني في التفسير) وكيف يظن بنبي الله الكريم إنه يخوف، ويضرب، ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر ؟ هذا في غاية القبح"[3].

وقد قام الشنقيطي، وقسم هذه الأقوال إلى قسمين:

1 – "قسم لم يثبت نقله عمن نقل عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.

2 – وقسم ثبت عن بعض من ذكر، ومن ثبت عنه شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن، المزاحم لليقين أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه ﷺ"[4]

كلمة لا بد منها:

لقد تكلم الشيخ أحمد شاكر بكلام دقيق رأيت أن أنقله، وفي هذا المجال يقول: "وأما ما يحكيه بعض الصحابة من أخبار الأمم السابقة، فإنه لا يعطي حكم المرفوع أيضا، لأن كثيراً منهم - رضي الله عنهم - كان يروي الإسرائيليات عن أهل الكتاب على سبيل الذكرى والموعظة، لا بمعنى أنهم يعتقدون صحتها، أو يستجيزون نسبتها إلى رسول الله ﷺ حاشا وكلا"[5].

المطلب الرابع: أشهر كتب التفسير التي تضمنت الإسرائيليات

لا يخلو تفسير من التفاسير بالمأثور، أو بالرأي من هذه الإسرائيليات بأنواعها، بين مُقِلّ لها ومُكْثِرٍ، وبين مُعَقِّبٍ عليها، أو ساكت عنها، وبين راض فيها، ورافض لها، على اختلاف مناهج المفسرين ومذاهبهم.

وممن عرف بشدة حربه وهجومه على هذه الإسرائيليات، وعلى الأخذ بها، وتفسير القرآن الكريم بها – مع وقوعهم فيها أحيانا – ابن كثير الدمشقي، والألوسي صاحب (روح المعاني)، ومحمد رشيد رضا صاحب (تفسير المنار).

ومن أشهر كتب التفسير التي اعتمدت على الإسرائيليات دون تعقيب – في الغالب – عليها، ويسردها على أساس أنها تفسير لآيات القرآن الكريم وهي ليست كذلك، وإنما هي إسرائيليات وقصص لا نعرف صدقها من كذبها:

([1]) فتح البيان 6 / 313.

([2]) تفسير الطبري 12 / 191.

([3]) زاد المسير في علم التفسير عبد الرحمن بن الجوزي 4 / 209.

([4]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد أمين الشنقيطي 3 / 60.

([5]) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث أحمد محمد شاكر ص47.

1 – التفسير الكبير لمقاتل بن سليمان[1]:

وهو تفسير فيه الكثير من الإسرائيليات التي ساقها بدون سند، وقد ذكر هذا التفسير ابن حجر تحت عنوان (ومن تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم) ثم قال: "منها تفسير مقاتل بن سليمان، وقد نسبوه إلى الكذب.... روى تفسير مقاتل هذا عنه أبو عصمة: نوح بن أبي مريم الجامع، وقد نسبوه إلى الكذب.

ورواه أيضاً عن مقاتل، من هو ضعيف، لكنه أصلح حالا من أبي عصمة"[2].

2 – تفاسير الواحدي (البسيط، الوسيط، الوجيز):

قال ابن تيمية: "وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع"[3].

وقال الكتاني عن الواحدي: "وله التصانيف الثلاثة في التفسير: البسيط، الوسيط، الوجيز، وأسباب النزول، وغيره من الكتب، ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيريهما – وخصوصاً الثعلبي –أحاديث موضوعة، وقصص باطلة"[4].

3 - لباب التأويل في معني التنزيل للخازن:

وقد اعتمد في تصنيفه على البغوي، والثعلبي، فحكمه حكمهما، ففيه الإسرائيليات والأخبار الباطلة، وتحديداً ما يتعلق بأخبار الأنبياء، فهو يقوم بسرد الرّوايات دون أن يعقب عليها إلا ما ندر وقل[5]، هذا ما قاله الدكتور الذهبي وأبو شهبة.

قلت: تفسير البغوي والثعلبي فيهما إسرائيليات، لكن تفسير الخازن يمتاز ببيان الأحكام الشرعية، فهو يسرد الإسرائيليات أحياناً لكنه يحكم عليها بعد ذكره لها في الغالب، فكلام الذهبي وأبي شهبة غير دقيق فيما ذكراه هنا.

أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج:

1 – أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يعتبران الأصل وما سواهما فرع عنهما، فهما عمدة في تقرير الأحكام الشرعية لمراد الله تعالى من عباده.

2 – السنة النبوية بها يعرف بيان كثير من نصوص القرآن، فهي التي ترشدنا إلى معرفة بيان النص القرآني، ولابد من ترك كل الروايات الإسرائيلية التي لا داعي لها لوجود السنة السنية.

3- كتاب التفسير فيها الكثير من الإسرائيليات فلا بد من دراسة موضوعية لها، ونقد رواياتها وفق مناهج المحدثين في دراسة الأسانيد والمتون بقصد تخليص كتب التفسير من هذه الروايات.

---

(1) وقد طبع هذا التفسير وحقق كرسالة علمية في كلية دار العلوم بمصر في القاهرة.

(2) انظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر 1 / 217 – 218.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية 13 / 386.

(4) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة محمد بن جعفر الكتاني ص 59.

(5) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي 1 / 220 – 224، والإسرائيليات أبو شهبة ص 139.

4 – إن موضوع: **"الإسرائيليات ومدى الصلة بينها وبين كتب التفسير دراسة نقدية حديثية تفسيرية"** جدير بالاهتمام والعناية والدراسة، لهذا أقترح على الباحثين أن يفردوا في دراساتهم تفاصيل هذا الموضوع ويتوسعوا فيه.

5 – ألا يجعل اختلاف الأئمة المفسرين، واختلاف أهل العلم الناشئ عن اجتهاد مخلص مستنداً إلى الدليل الصحيح، لا يجعل هذا سبباً للفرقة والانشقاق والتمزق لوحدة الأمة.

6 – عند ظهور زلة لعالم لا يجب أن تتخذه غرضاً للتشهير به وتجعل غطاء على محاسن هذا العالم، ولا يحرم من بحر علمه الغزير.

7 – معرفة فضل أئمة الإسلام، فالنصيحة لدين الله توجب رد بعض أقوالهم، وليس في ذلك إهدار لمكانتهم.

ثبت المصادر والمراجع

1) **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط2، 1414هـ، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

2) **الإتقان في علوم القرآن**: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا – ط3 – 1416 هـ - 1996م – دار ابن كثير – دمشق – بيروت.

3) **أساس البلاغة**: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467 – 538 هـ)، دار بيروت - لبنان، (1404 هـ).

4) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي (ت 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبيد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت.

5) **الإصابة في تمييز الصحابة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر (773 – 852 هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

6) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الخبكي الشنقيطي – 1413 هـ - 1992 م – مكتبة ابن تيمية.

7) **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**: ابن عبد البر أبي يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي (ت 463 هـ) ط1 – 1423 هـ - 2002 م – دار الفكر- بيروت – لبنان.

8) **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: د. محمد بن محمد أبو شهبة – ط1 – 1413 – 1992، مكتبة السنة، دار الجيل، بيروت - لبنان.

9) **الإسرائيليات في التفسير والحديث**: الدكتور محمد حسين الذهبي، (ط4) 1411 هـ - 1990 م مكتبة وهبة.

10) **أصول التفسير وقواعده**: للشيخ خالد عبد الرحمن العك، بإشراف: العلامة محمد أبي اليسر عابدين مكتبة الفارابي (ط1).

11) **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:** خير الدين الزركلي – ط 13 – 1998 – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

12) **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث:** للحافظ ابن كثير (701 – 774 هـ)، تأليف أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

13) **البرهان في علوم القرآن:** محمد بن عبد الله الزركشي (ت794 هـ)، علق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (ط1) 1408 هـ - 1988م.

14) **البرهان في علوم القرآن:** محمد بن عبد الله الزركشي (ت794 هـ)، علق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (ط1) 1408 هـ - 1988م.

15) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:** – للفيروز آبادي (ت 817) - تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية – بيروت.

16) **البداية والنهاية:** الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (701 – 774 هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط1 – 1417هـ - 1997 م – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، (ط1) ط1417 هـ 1997م، تضاف طبعة ثانية البداية والنهاية طبعة شيبة.

17) **البيان في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره:** د. محمد علي الحسن، ط1 – 1419 هـ - 1998 م – دار الفكر العربي – بيروت.

18) **تأويل مختلف الحديث:** ابن قتيبة الدينوري - دار الكتاب العربي - بيروت.

19) **التفسير الكبير المسمى (بالبحر المحيط):** أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان (654 – 754 هـ).

20) **التفسير اللغوي للقرآن الكريم:** للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار – دار ابن الجوزي، (ط1) رجب 1422 هـ - الرياض – السعودية.

21) **التحرير والتنوير:** الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.

22) **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل:** للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي. المتوفى سنة 516 هـ، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك – مروان سوار، طباعة: دار المعرفة (بيروت – لبنان).

23) **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل:** علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت725 هـ) – دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1415 هـ = 1995 م.

24) **تفسير القرآن العظيم:** عماد الدين أبي إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774 هـ) – علق عليه وخرج أحاديثه: هاني الحاج راجعت أحاديثه على كتب فضيلة العلامة: ناصر الدين الألباني، المكتبة التوفيقية - طبعة ثانية – دار المعرفة – بيروت – ط1 – 1407 هـ.

25) **تفسير الزمخشري المسمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467 – 538 ه).

26) **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت (791 ه) – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (ط1) 1408 ه - 1988 م.

27) **تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار**: محمد رشيد رضا (1865 – 1935) – ط1 – 1420 – 1999 م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

28) **التفسير والمفسرون**: الدكتور محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبة - القاهرة مصر، (ط7) (42) ه - 2000 م.

29) **التيسير في قواعد علم التفسير**: محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: ناصر محمد المطرودي، دار القلم دمشق – سورية (ط1) 1410.

30) **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (209- 297ه)، تحقيق: أحمد محمد شاكر – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

31) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310ه) ط3 – 1388 ه 1968 م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر طبعة ثانية تحقيق: أحمد شاكر.

32) **الجرح والتعديل**: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت 327ه)، دار الكتاب الإسلامي تصوير عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند (1372 ه -1953 م)

33) **دائرة معارف القرن العشرين**: محمد فريد وجدي _ دار المعرفة بيروت _ لبنان.

34) **الرسالة**: الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي _ تحقيق: أحمد محمد شاكر _ 1309 ه، دار الفكر للطباعة والنشر.

35) **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**: د. مصطفى السباعي – ط4 – 1405 ه 1985 م المكتب الإسلامي – بيروت ودمشق.

36) **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (ت 1345ه) ط2 – 1400ه، دار الكتب العلمية _ بيروت.

37) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 127ه) – دار الفكر.

38) **زاد المسير في علم التفسير**: أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (508 _ 598ه) ط4 _ 1407 ه 1987م _ المكتب الإسلامي _ بيروت_ دمشق.

39) **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**: محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت 1150ه)، تحقيق مجموعة من الباحثين، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة الإمارات (ط1) 1427ه - 2006 م

40) **السنة النبوية ومكانتها في التشريع**: أ. عباس متولي حمادة، تقديم محمد أبو زهرة، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة مصر.

41) **سنن أبي داود ومعه معالم السنة للخطابي**: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي _ إعداد: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد _ دار الحديث _ حمص _ سورية.

42) **السنن الكبرى**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303 ه)، أشرف عليه شعيب الأرنؤوط – تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي _ ط1 – 1424هـ- 2004م مؤسسة الرسالة _ بيروت _ لبنان.

43) **سير أعلام النبلاء**: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى: 748هـ - 1374 م – ط8 – 1412ه 1992م، مؤسسة الرسالة.

44) **شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**: علي بن سلطان محمد الهروي القاري (930 تقريبا – 1014 ه).

45) **الصحاح تاج للغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن عماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار – ط2 1399هـ - 1979 م – ط3 1404 هـ - 1984 م، دار العلم للملايين – بيروت

46) **صحيح البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – (ت 256 ه) - 1419 ه - 1998 م – بيت الأفكار الدولية.

47) **صحيح مسلم بشرح النووي**: تحقيق: عصام الصبابطي وحازم محمد وعصام عامر – ط1 – 1415 هـ - 1995 م، دار أبي حيان – القاهرة.

48) **طبقات المفسرين**: الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي (ت 145 ه) دار الكتب العلمية – بيروت.

49) **علوم القرآن الكريم**: الدكتور نور الدين عتر (ط6) 1416 هـ - 1996 م مطبعة الصباح دمشق.

50) **فتح البيان في مقصد القرآن**: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري (1284- 1307 ه) – دار إحياء التراث الإسلامي – قطر – (1410 هـ - 1989 م).

51) **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 ه)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة (ط2) 1407 هـ = 1987م.

52) **قواعد التحديث من علوم مصطلح الحديث**: محمد جمال الدين القاسمي – (ط1) 1399 ه، دار إحياء السنة النبوية، ودار الكتب العلمية بيروت.

53) **قواعد الترجيح عند المفسرين**: حسين بن علي الحربي– ط1 –1417 هـ - دار القاسم – الرياض

54) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

55) **لسان العرب**: ابن منظور الإفريقي محمد بن مكرم دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت لبنان (ط2) 1413 هـ - 1993 م

56) **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر القادر الرازي – المتوفى سنة 666 هـ، الناشر: دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان)

57) **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان (ط26)1415 هـ - 1995م

58) **مباحث في علوم القرآن**: الدكتور صبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان (ط8) 1974

59) **مباحث في إعجاز القرآن**: د. مصطفى مسلم – ط1 – 1408 هـ - دار المنارة – جدة

60) **المسند**: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (164 – 241)، شرحه وصنع فهارسه: أحمد شاكر، حمزة أحمد الزين، طباعة: دار الحديث (ط1) 1416 هـ - 1995 م، طبعة ثانية (مؤسسة الرسالة) – بيروت – لبنان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

61) **مختصر تفسير القرآن العظيم**: المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر دار – الوفاء – المنصورة 1424 هـ - 2003 م، دار طيبة.

62) **معجم المفسرين**: عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة (ط3) 1409 هـ.

63) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي العراق (1407 هـ).

64) **مجموع فتاوى**: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طباعة: مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، جمع وترتيب (عبد الرحمن بن محمد بن القاسم)، تاريخ الطبعة (1416 هـ - 1995 م)، تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

65) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (481 – 546 هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس. 1413 هـ - 1992م.**مقالات الكوثري**: محمد زاهد الكوثري (ت 1371 هـ) – 1414 – المكتبة الأزهرية – مصر

66) **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**: عبد الله بن يوسف الجديع _ ط1 _ 1422 هـ - 2001 م، نشر: مركز البحوث الإسلامية _ ليدز_ بريطانيا – توزيع: مؤسسة الريان – بيروت – لبنان.

67) **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**: أبو عبد الله محمد بن أبو بكر (ابن القيم الجوزية)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة 1- 1390 هـ - الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - بحلب.

68) **مناهل العرفان في علوم القرآن**: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، بإشراف مكتب البحوث والدراسات _ دار الفكر بيروت _ لبنان (ط1) 1416 هـ - 1996 م.

69) **مناهج المفسرين**: إبراهيم خليفة، دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت 1421 هـ - 2000 م.

70) **منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية**: محمد سعيد منصور، الناشر: محمد سعيد وهبة (القاهرة – مصر) (ط1) 1413 هـ - 1993م , والدار السودانية للكتب – الخرطوم السودان.

71) **منهج النقد في علوم الحديث**: الدكتور نور الدين عتر، (دار الفكر المعاصر) بيروت – لبنان – دار الفكر – دمشق سوريا (إعادة الطبعة الثالثة) 1424 هـ - 2003 م.

72) **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان (ط1) 1414 هـ - 1993 م.

73) **المعجم الوسيط**: إبراهيم أنيس وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، ط3 – أشرف على طبعه: عبد السلام هارون – مكتبة النووي – دمشق.

74) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – المتوفى 748 هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ويليه **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة المسمى: فتح الرحمن لأحاديث الميزان**، دار المعرفة – بيروت – لبنان.

75) **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) (544 – 606 هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

76) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (618 – 681هـ) يعتمد المحقق دار صادر بيروت – لبنان.

ردود الحافظ أبي بكر بن العربي الحديثية على الإمام الترمذي من خلال كتابه العارضة

د. محمد السعيد مصيطفى
جامعة غرداية

الملخص:

تحاول هذه الدراسة التعرف على جانب من المنهج النقدي للإمام الحافظ أبي بكر بن العربي في علوم الحديث، من خلال رصد المواطن التي اعترض فيها رحمه الله على أحكام الإمام الترمذي في سننه، وذلك بتتبع كتابه العارضة وكذا كتبه الأخرى. وقد تبين بعد البحث أنه رحمه الله صحّح في عديد المرات ما حسن الترمذي أو ضعفه، كما أنه ضعّف في مواقف كثيرة أحاديث صححها الترمذي أوحسنها. ومن خلال المناقشة التي عرضها البحث اتضح أن تلك الأحكام معززة بالصواب في أغلب الأحيان؛ لأنها تستند لموافقة أقوال النقاد وأحكامهم. ورغم ما يحظى به الترمذي من مكانة بين النقاد في هذا المجال؛ إلا أن ابن العربي تقحّم هذا الباب فكان الناقد والحافظ والمتضلع في معرفة الرواة وأحوال الرواية، وهو ما يؤكد استحقاقه لمرتبة الحافظ والمجتهد التي نعته بها العديد من العلماء، ويؤكد بوضوح أنه يمتلك منهجا نقديا متميزا يؤهله لمنافسة كبار النقاد في المشرق والمغرب.

الكلمات المفتاحية: ردود، الحافظ، الحديثية، العارضة.

Abstract

This study attempts to identify a part of the monetary approach of Imam Hafiz Abi Bakr Bin Al Arabi in the sciences of Hadith through monitoring the places in which he objected "mercy of ALLAH on his soul" to the rulings of Imam Al-Tirmidhi in his Sunan, by following his book ElAridat and other books. It was found after the research that he " May Allah have mercy on him" had corrected many times what Tirmidhi outed as a good or a weak, and he is outed as a weak in many positions, the hadiths corrected by Tirmidhi or was noted as good by him. . In the discussion presented by the research, it was found that those provisions were often reinforced by correctness, since they were based on the consent of the critics and their judgments. Despite this, al-Tirmidhi's position among the critics in this field; but Ibn al-Arabi penetrated this section was the critic and conservative and involved in the knowledge of narrators and the conditions of the novel, which confirms his entitlement to the rank of Hafiz and diligent that many scientists have indicated, and clearly confirms that he has a critical approach a privileged position to compete with top critics in the east and the west.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

بذل علماء الحديث جهودا مضنية في خدمة الحديث النبوي الشريف، فتنوعت أعمالهم في ذلك بين الجمع والتدوين، وبين الرواية والدراية، وكان لهم إسهام واضح في تمييز المقبول من المردود، من خلال منهج نقدي لم يعرف التاريخ له مثيل.

ومن بين العلماء الذين كان لهم اجتهادا في هذا المجال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، الذي لم تخلو كتاباته على اختلاف مجالاتها من نقد الحديث والكلام في سند رواته، فكان مثالا واضحا للحافظ المتمكن الذي خبر علوم الحديث وأتقنها. وقد ظهر ذلك جليا في شرحه على سنن الترمذي المسمى بعارضة الأحوذي، فبالإضافة لما نثره من علم وفقه في شرح الحديث وبيانه، كانت له أيضا مساحة كبيرة لدراسة الأسانيد والكلام في الرواة وكأنه من طينة المتقدمين.

ومما يلفت الانتباه في صنيع ابن العربي في هذا الكتاب، اعتراضه المتكرر على أحكام الترمذي رحمه الله رغم مكانته في هذا المجال، فقد صحّح ما ضعّف الترمذي، أو حسنه، كما أنه ضعف ما صحّح الترمذي أو حسنه، وكل ذلك لا يصدر إلا عن اطلاع واسع بالرواية والرواة، وتمكن بارع من مجال نقد الحديث ومعرفة علومه.

وقد رمت من خلال هذا البحث الذي وسمته بعنوان[**ردود الحافظ أبي بكر بن العربي الحديثية على الإمام الترمذي من خلال كتابه العارضة]** أن أكشف المواضع والأمثلة التي ناقش فيها ابن العربي رحمه الله أحكام الإمام الترمذي في سننه تصحيحا أو تحسينا أو تضعيفا، وذلك بغية جمع هذه المادة، والاطلاع على جانب من جهود هذا الإمام العظيم في علم الحديث، فاشتهاره بالتفسير والفقه لا يعني قصور باعه في جمع المرويات ونقدها.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول قضية النقد الحديثي وما يتصل بها من مسائل القبول أو الرد، وهي في حقيقة الأمر خلاصة علم الحديث وأثره، كما أنه يدرس ذلك ويناقشه بين ابن العربي والإمام الترمذي وهما من كبار أعلام هذا المجال.

مشكلة البحث: على الرغم من مكانة الإمام الترمذي في مجل الرواية والجرح والتعديل، وهو ما جعل أحكامه محط عناية وتقدير النقاد؛ إلاّ أنّ بعض أحكامه لم تسلم من اعتراض الحافظ بن العربي، رغم تباين طبقتيهما فالأول متقدم والثاني متأخر، ومعلوم تضلع السابق على اللاحق في هذا المجال، كما أنه ينتمي لعصر الرواية وعلى احتكاك مستمر بالرواة و كبار النقاد والحفاظ. فمن هذا المنطلق ما الأمثلة والمواضع التي انتقدها ابن العربي على الإمام الترمذي في أحكامه على الحديث، وما وجه الصواب في ذلك؟

حاولت في هذا البحث أن أوضح هذا الأمر وأجمع شتاته، وهو ما لم أجد له ذكرًا سابقًا أو دراسةً شبيهةً في مجاله.

أهداف البحث: يتوخى هذا البحث بلوغ عدة أهداف، منها:

– إبراز وجمع المواضع التي انتقدها ابن العربي على أحكام الترمذي، وبيان وجهة نظره في ذلك.

– بيان علوّ كعب ابن العربي في جانب نقد الحديث وتميّزه في ذلك، حتى أنّه فتح نقده على جامع الترمذي رغم ما له من مكانة وتقدير.

– لفت اهتمام الباحثين إلى دور المغاربة عموما في نقد الحديث، وهو المجال الذي يعتقد الكثير أنه حكر على المشارِقة وحدهم.

منهج البحث: من أجل تحقيق ثمرة هذا البحث تتبعت بالقراءة والبحث كتاب العارضة ابن العربي واستقصيت كلّ ما ذكره رحمه الله في هذا المجال، مع العلم أنه رحمه الله لم يكن له مصنف خاص في هذا الباب.

وفي هذا السياق جمعت الأحاديث التي يظهر أنّها موضع نقد ابن العربي، وقمت بعرض وجهة نظره فيها، وتتبعت بعضها بالمناقشة من أجل التأكد من أحكام ابن العربي رحمه الله.

ولتحقيق هذا الغرض اقتضت مادة البحث أن أجعله في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي بكر بن العربي. المبحث الثاني: التعريف بكتاب العارضة.

المبحث الثالث: تصحيح ابن العربي لما حسنه الترمذي أوضعفه. المبحث الرابع: تضعيف ابن العربي لما صححه الترمذي أوحسنه. الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي بكر بن العربي.

تمهيد.

يعدّ الإمام أبو بكر بن العربي أحد علماء الأندلس الذين علا شأنهم وبرز دورهم في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري. عاصر رحمه الله العديد من الأحداث السياسية في العالم الإسلامي، خاصّة في الأندلس التي شهد فيها إبّان شبابه وشيخوخته، تعاقب ثلاثة عهود، هي عهد دولة الطّوائف، وعهد المرابطين، وعهد الموحّدين.[1] ولقد كان لتلك المراحل كبير الأثر في توجيه حياته وتحديد شخصيته العلمية وحضوره الاجتماعي. وهنا سنعرض ترجمة موجزة لحياة هذا الإمام العظيم، ضمن المطالب التالية :

المطلب الأول:ترجمته.[2]

1. اسمه وكنيته ونسبه: تتّفق المصادر التي تناولت شخصية ابن العربي على اسمه وكنيته ونسبه، فهو محمّد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، الأندلسي، الإشبيلي المالكي، المشهور بالقاضي ابن العربي، أبوه (أبو محمد) من فقهاء إشبيلية وزعمائها. يمتدّ نسبه إلى قبيلة (معافر) بفتح الميم والعين

---

[1]-انظر المقري: نفح الطيب، 438/1 – 442، والذهبي: العبر 356/1، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 3/ 412. والمراكشي: المعجب ص 162، وابن خلدون: التاريخ، 265/6.

[2]-انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، 296/4، والزركلي: الأعلام، 230/6، والمقري: نفح الطيب 25/2 – 43، وابن فرحون: الديباج المذهب، 2 /252 – 256. وابن بشكوال: الصلة 590/1 – 591.

المهملة وكسر الفاء، وهي إحدى القبائل القحطانية، نسبة إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد، الذي ينتهي نسبه إلى قحطان.

وتجدر الإشارة أنّ صاحبنا هذا يشترك في كنيته ولقبه مع ابن عربي الطّائي الصّوفي صاحب «الفتوحات المكّية»، فكلّ منهما يُكنّى بأبي بكر، كما يُلقّب كلّ منهما بابن العربي، إلا أن أهل العلم يفرقون بينهما بألّ التعريف، فيطلقون على الإشبيلي (ابن العربي) وعلى الطّائي الصّوفي (ابن عربي) كما يُشهرون الأول بألقاب القاضي والحافظ تميزًا له.[1] وحقيقة الأمر أنهما مختلفان، لاختلاف المولد والوفاة زمانا ومكانا.[2]

يُكنىّ رحمه الله–بأبي بكر–كما تذكر ذلك جميع المصادر التي ترجمت له، غير أنها لا تذكر له ولدا باسم بكر، ولعله تكنّى بذلك لحبِّه لهذه الكنية التي تكنّى بها أبو بكر الصديقﷺ.

2 . مولده ونشأته: ولد أبو بكر بن العربي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة(468هـ)، بإشبيلية من أراضي الأندلس، أيام حكم المعتمد بن عباد.[3]

حضِيَ رحمه الله بأسرة كريمة فاضلة، جمعت بين العلم في الدّين وبين الرّياسة في الدنيّا، فقد كان أبوه عبد الله عالما فقيها، شاعرًا ماهرًا، خطيبًا مفوّهًا، وكان من أعيان الدّولة البارزين وكبرائها المرموقين، شغل عِدّة مناصب في دولة بني عباد حتى صار أحد وزرائهم. كان جدّه لأمّه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني، رجلا عالما، محدِّثا، وكان متفنِّنا في العلوم، قد أخذ من كلّ فنّ منها بحظٍّ وافر.[4] ومن أخواله أبو القاسم وهو الحسن بن أبي جعفر الهوزني، عُرِف أيضا بين أهل إشبيلية بالعلم والأدب والفقه، روى عن خلق كثير، وأجاز له الحافظ ابن عبد البر.[5]

ففي أحضان هذه الأسرة وفي مناخ هذه البيئة الإشبيلية ينشأ ابن العربي، فتتشكّل معالم شخصيته، وتتبلور مكامِن نفسه، وتتأسّس قواعد انطلاقته، حيث يفتح عينيه ليجد العلم والمعلم بين يديه، فلا عجب بعدها أن يكون هو الإمام المفسِّر والمجتهد الفقيه والمحدّث البارع، وقاضي الأندلس وعالمها.[6]

ومما زاد من تحصيله وثبّت أقدامه بين العلماء والحفاظ هي رحلته المشرقية التي مكّنته من مخالطة فحول العلماء وكبار الفقهاء وأساطين الأدب، فحمل علما كبيرا وجمع فهما غزيرًا، وتقدّم بذلك للرِّيادة بين المشايخ في المشرق والمغرب.

---

[1]- توفي بها سنة 638 هـ، من مؤلفاته «الفتوحات المكية».

[2]- الزركلي: الأعلام 230/6.

[3]-انظر: كتاب الصلة 558/2، والمقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 31/2.

[4]-القاضي عياض: ترتيب المدارك،825/4 – 826، والمقري: نفح الطيب 93/2– 94.

[5]- انظر: نفح الطيب 93/2 – 94، وبغية الملتمس ص 329.

[6]-انظر القاضي عياض: الغنية ص 66، وابن العماد: شذرات الذهب 141/2.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

أ . **شيوخه:** تميّز ابن العربي بحبّه للتّحصيل وحرصه على الأخذ والتّلقي–كما بينّا–، وهو ما جعله يتمنّ الرّحلة إلى المشرق، ويطلبها منذ سنّ مبكرة من حياته، كما قال ذلك عن نفسه. وما أن تحقَّق له ذلك حتى طاف الحاضر والباد، يبحث عن أهل العلم ورواده، وهو ما أكسبه الكثير من الشيوخ والمعلمين.

وقد كان-رحمه الله–حفيا بشيوخه، معتزًا بهم كلّ الاعتزاز، لذلك عمل لهم معجما[1]ضمّنه أسماءهم، وذكر فيه علمهم وفضلهم عليه، والعلوم التي أخذها عنهم؛ إلاّ أنّه لا يزال للأسف مفقودًا أو ضائعًا لم ير النّور بعد.[2]

ورغم كثرة هؤلاء الشيوخ؛ إلاّ أنّ المصادر التي ترجمت لابن العربي، لا تذكر منهم إلاّ النّزر اليّسير، مقتصرة على المشهورين فقط، وهو ما ذكره تلاميذه كابن بشكوال، والقاضي عياض ، وذكره أيضا الحافظ الذّهبي، وابن فرحون [3] ، ومن أهمهم:

أبو الفتح المقدسي، وأبو الفوارس البغدادي الزينبي، وابن الطيوري، والخطيب التبريزي، وابن الطوسي، وأبو حامد الغزالي، وأبو بكر الشّاشي، وأبو بكر الطرطوشي، وأبو عامر الميرقي، والشيخ أبو عامر بن سعدون المغربي، وأبو محمّد البغدادي السّراج، ومحمّد بن طرخان بن بلتكين.[4]

ب . **تلاميذه: وهم أعداد كثيرة** يعزّ حصرهم؛ لما كان يعجّ به مجلسه من طلاب يواظبون الدّراسة عليه، وزائرين يسمعون منه، ومتلقّين أجازهم، بالإضافة لآخرين أخذوا عنه في رحلته أو أثناء تردّده على الثّغور بالأندلس. وكثرة أفواج المتلقين عنه أمرا طبيعيا؛ لأنه قضى رحمه الله زهاء أربعين سنة في التّدريس، وهو من هو في الرّيادة والعلم ، وهو ما حقّقه ابن الأبّار عندما ألّف كتابه المسمّى «معجم أصحاب أبي بكر بن العربي» الذي لا يزال مفقودًا للأسف الشديد.

ورغم هذه النّتيجة الواضحة؛ إلاّ أنّ المصادر التي ترجمت لابن العربي توافقت على ذكر القليل منهم. ومن أهمّ من ذكر في هذا المجال:[5]

القاضي عياض اليحصبي (ت544ه)، وأبو القاسم السّهيلي، وأبو القاسم خلف بن بشكوال الأنصاري (ت578ه)، ومحمّد بن خلف اللّخمي(ت577ه)، وأبو بكر بن خير الإشبيلي(ت575ه)، والفتح ابن خاقان (ت535ه)، وأبو بكر بن فرج الفهري (ت586ه)، وأبو بكر الخشني المعروف بابن أبي ركب(ت544ه)، وأبو عبد الله بن خلصة(ت521ه)، وعامر بن مرجا الأنصاري (ت569ه)، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمّد

---

[1]- انظر ابن العربي: الناسخ والمنسوخ، دار الكتب العلمية بيروت، ص 8.

[2]- انظر ابن خير: فهرسته ابن خير، ص 341. القضاعي: التكملة لكتاب الصلة 1 /78.

[3] - انظر ابن بشكوال: كتاب الصلة 558/2. والقاضي عياض: الغنية ص 66. والذهبي: تذكرة الحفاظ، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، م4، سنة 1377 هـ– 1958، 11294/4. وابن فرحون: الديباج 282/1.

[4]-انظر: سير أعلام النبلاء 213/19 – 214، وابن الأثير: الكامل في التاريخ 439/10 . ابن الأثير: اللباب 174/2. و 280/2. والعبر 355/3، ، والكامل 439/10. ووفيات الأعيان 357/10.

[5] –انظر ابن فرحون: الديباج 168/1، والذهبي: سير أعلام النبلاء 213/20.

الغرناطي بن القصير(ت596هـ)، وأبو علي الخطيب(ت602هـ)، وأبو القاسم الحوفي(ت588هـ)، وأبو العباس اللّخمي (ت592هـ)، وأبو جعفر الخزرجي(ت582هـ)، وابن قرقول الوهراني الحمزي (ت569 هـ).

المطلب الثالث: مكانة ابن العربي العلمية.

استطاع ابن العربي بالعمل المتواصل في سبيل العلم، والتّفاني في الجدّ والدّراسة، أن يتفنّن في شتّى العلوم كالتّفسير والحديث والفقه، والأصول والكلام، واللّغة والأدب، وأن يخصّها بالعديد من المؤلفات، وهو ما فاق به أقرانه، وحاز به على ثناء شيوخه، وجلب إليه الطلاب من كلِّ حدبٍ وصوب.

ولقد لُقِّب بالحافظ، وهو لقب له اعتباره عند العلماء، فلا يطلق إلاّ على من تبحّر في علوم الحديث، وأُوتيَ سِعة في معرفته، وبسطة في تفهُّمه، ودراية بدقائقه، وهو ما ينذر إلاّ في القليل كابن العربي على حدّ قول الخطيب البغدادي:"إنّ أعلى صفات المحدِّثين وأسمى درجات النّاقلين من وجدت فيه قبلت أقاويله ونسلم له تصحيح الحديث وتعليله، غير أنّ المستحقين لها يقلّ معدودهم ويعزّ بل يتعذّر وجودهم..."[(1)].

كما سلّم له بالاجتهاد عدد من المحقّقين كشمس الدّين الذّهبي الذي وصفه بالاجتهاد المطلق، وأقرّه على ذلك جلال الدين السّيوطي، وأبو إسحاق الإسفراييني، ووليّ الله الدّهلوي، وغيرهم ممن نصّوا على أنّه من المحقّقين، ومن أهل اليّقين في العلوم.[(2)]

وقد اعتبر الحجوي الثعالبي كتابه «أحكام القرآن» من الكتب التي تُعين على الاجتهاد جدًا[(3)]. ومما يشهد له في ذلك بوضوح وجلاء مجموع اختياراته، وتوجيهاته الدّقيقة للكثير من المسائل التي صرّح أنّه لم يُسبق إليها، ولم يزاحم عليها ولم يتضمّنها كتاب غير كتبه، وأنّها ظلّت مقفلة حتى كشفها الله له بفضله وكرمه، وهو ما جعله يصف نفسه بالاجتهاد في غير ما موضع من كتبه، فعند ذكره لاختلاف الفقهاء في الأصناف التي يجب فيها الزّكاة وأدلّة كلّ واحد، قال:"وقد آن تحديد النّظر فيها كما يلزم كلّ مجتهد". وقال عند الحديث عن مقدار حدّ الشّرب:"وقد كنت في ولايتي أجلد ثمانين بالاجتهاد".[(4)]

ومن يتتبع مؤلفاته يجده من جهابدة النّقاد، يمحِّص الأحكام، ويُبدي رأيه فيها، وينقل الآراء ويناقشها، انتقد سيبويه في كذا مرة[(5)]، وانتقد الفراء، والنّجاة جملة[(6)]، وانتقد الشافعيَ، ومالكًا، وأبا حنيفة[(7)]، واعترض على البخاريَ ومسلم، ونراه في هذا السياق يردّ على المبتدعة ويصحّح لهم المفاهيم، محكِّما في ذلك منهج النّقل والعقل، كما هو الشّأن في دفاعه عن الصّحابة في كتابه « العواصم من القواصم ».

وممّا يبدو في كتاباته الحديثية والفقهية، تأصيله لمذهب مالك، وبيان آراءه وأدلته، مشفوعة بما يقابلها من آراء الفقهاء والمذاهب، فيؤيد منها أو يعارض، حسب ما يتبيّن له من قوّة الدّليل وصحّته، في تجردٍ

---

(1)- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص 150، وانظر السيوطي: التدريب 43/1 – 52.

(2)- انظر: سير أعلام النبلاء 201/20، تذكرة الحفاظ 1296/4. والإتقان 22/2، وشذرات الذهب 141/4.

(3)- الفكر السامي 442/2.

(4) –العارضة 284/12، و223/6. و أحكام القرآن 759/2.و 162/1 .

(5) -العارضة 71/9 – 160.

(6) - أحكام القرآن 47/1 – 48.و 177/1.

(7) – العارضة 110/2 – 111. و 84/1 – 85. وانظر: الناسخ والمنسوخ 70/2، والقبس105/1 – 106، 577/3.

واضح عن التّعصب؛ غير أنّ اعتزازه ببعض الآراء والمواقف يدفعه أحيانا لانتقاد مخالفيه بنقود لاذعة وردود شديدة، كان الأولى لمثله لو ترفّع عنها كقوله (قال سخيف من جملة المغاربة) وقوله: (وأمّا أبو حنيفة فهو عجمي، فلا يستنكر عليه الجهل بهذه المسألة) وقوله: (وقد اتّفق النّاس على ذلك إلاّ أبا حنيفة، فإنّه سقط على أمِّ رأسه).[1]

وعموما تأثَّر العلماء بتلك الكتابات، وأُعجبوا بتلك المصنّفات التي تكشف عن تقدّم معرفيٍّ وتفوّق علميٍّ واضح، فأثنوا على ابن العربي وأشادوا به، ومن بين ذلك:

قال عنه شيخه الغزالي:"...وقد أحرز من العلم في وقت تردّده إليه ما لم يحرزه غيره مع طول الأمد، وذلك لما خُصّ به بعناد الذِّهن، وذكاء الحسِّ، وإنفاذ القريحة...وقد انتهى إلى ما لا يمكن أن يلحق فيه شأوه، فضلا عن أن يزاد عليه".[2]

وقال عنه الحافظ السّيوطي:"...مقدَّما في المعارف كلِّها، أحد من بلغ رتبة الاجتهاد، وأحد من انفرد بالأندلس بعلوّ الإسناد...".[3] وقال عنه أيضا:"كان مجتهدَ وقته وحافظَ عصره..."[4]

هذا بعض ممّا قيل في ابن العربي–رحمه الله –وهي شهادات تؤكِّد على مكانته العلمية وتفوّقه، لذا لا يُستغرب أن يَذكُر ابن فرحون أنّ رئاسة المذهب المالكي قد انتهت إليه في وقته.[5] أو أن يُوصف بالحافظ.

المطلب الرابع: مصنفات ابن العربي ومذهبه ووفاته.

1. مصنفاته: لقد كان ابن العربي أحد الأئمة المكثرين في التصنيف، المجيدين له، والبارعين فيه، لذلك اشتهر بعدّة مؤلفاتٍ وعُرف بها، حتى وصفه الإمام الذّهبي بقوله:"صاحب التصانيف".[6]، وقال عنه السيوطي :"...وجمع وصنّف، وبرع..."[7].

والنّاظر في المصادر التي ترجمت لابن العربي يلحظ أنّ أصحابها الذين وصفوه بذلك لم يذكروا كلّ كتبه، واكتفوا بسرد بعضها، فقد ذكر له الذّهبي ثلاثة عشر كاتبا[8]، وذكر له ابن فرحون خمسة عشر كتابا[9]، وبلغ بهم المقرّي واحدا وثلاثين كتابا[10]، ولعلّهم اقتصروا على ما اشتهر و ظهر منها فقط؛ لأنّ المتتبّع لكتب ابن العربي المعروفة الآن، يتبيّن له أنّ أعداد تلك المؤلفات أكبر ممّا ذكروه بكثير، وذلك لكثرة الإحالات التي يستعملها ابن العربي في مناقشاته وتحليلاته، والتي لا يخلو كتاب منها، فما أجمله في موضع أحال على

---

[1] –أحكام القرآن 803/2. والقبس ص 305. و ص 243.
[2] - العواصم من القواصم 20/1، وانظر:قانون التأويل ص 450 – 451.
[3] – السيوطي : طبقات المفسرين ص 34، وانظر أيضا الداودي: طبقات المفسرين 162/2.
[4] - السيوطي: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك 293/1.
[5] - ابن فرحون: الديباج 185/1.
[6] -الذهبي: سير أعلام النبلاء 200/20.
[7] -طبقات الحفاظ ص467.
[8] - الذهبي: المصدر السابق199/20.
[9] -ابن فرحون: الديباج ص 282.
[10] - المقري: النفح 31/2.

تفصيله في كتاب آخر وهكذا، وهو ما جعل بعض الباحثين والدّارسين يحصر لابن العربي نحوًا من مائة كتاب أو أكثر.

ورغم ذلك لا يمكن الجزم برقم معين في هذا الباب؛ لأنّ أكثر تلك الكتب لا يزال مفقودًا لا يعرف له سبيل، أو مخطوطا لم ير النور بعد، إضافة إلى أنّ بعضها ذكره ابن العربي نفسه بأكثر من اسم، أو فُهم خطأً أنّه من كتبه[1]. ولهذا فإنّني اقتصر على ذكر أهمّها مما هو مطبوع حاليا، وهي:

ـ عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي ـ القبس على موطأ مالك بن أنس - والمسالك في شرح موطأ الإمام مالك ـ المحصول في علم الأصول ـ العواصم من القواصم ـ أحكام القرآن ـ الأحكام الصغرى ـ قانون التأويل ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ـ مختصر ترتيب الرّحلة، وهو مختصر مطبوع في مقدمة كتاب قانون التأويل، وكذلك ألحقه الأستاذ سعيد أعراب بكتابه مع القاضي أبي بكر بن العربي.[2].

2ـ مذهبه: كان ابن العربي مالكيَ المذهب، يتمسك بأصوله، ويدلّل لفروعه، ويعتزّ بانتمائه إليه، وهو إلى جانب ذلك لا يخجل من المناقشة والتّصويب والنّقد، شأنه شأن المجتهد الذي يقصد إقامة الحقّ، وإثبات الصّواب، فلم يكن من المقلّدين الذين يعطّلون الرأي، أو يفرّون من أقوال وآراء الآخرين، ولا ينظرون فيها أو يحاولون تأويلها، أو التماس وجه لها، بل كان متفتِّحًا مُسامحًا وغير مُتعصّب لمذهبٍ دون آخر، وهو على غزارة روايته، وتعويله مع الرّواية على عمل أهل المدينة، لا يرفض القياس والرأي كمذهب أهل الظاهر، أو يتنكّر له، كما لا يجد غضاضة أن ينصر رأيا آخر إذا ترجّح لديه، بل هو أحيانا يردّ على الإمام مالك نفسه.

ولم يكن رحمه الله مالكيًا وحسب، وإنّما اعتنى بخدمة هذا المذهب، ودافع عنه، واهتمّ ببيان جوانب القوّة فيه، وتفانى في بناء فروعه على صرح الاستنباط والدليل، مبطلاً بذلك مذهب التّقليد، ومُحدِثًا في التّشريع الإسلامي ما يسمّى بفقه الحديث، أوفقه السنّة، أوالفقه المقارن، حيث يُقيم فقهه على مقارنة أقوال أئمة المذاهب، والأخذ بالصّحيح والأصوب منها، ولا يُحاول في هذا الإطار الدّفاع عن مذهبه تعسّفًا، بل ينتصِر للحقّ الذي رآه عند غيره متى وَجد أنّ الدليل مع ذلك الآخر، وإن كان ذلك رأي القلّة في مقابل الكثرة في مذهبه.

3 . وفاته[3] : بعد اضطراب الدولة المرابطية بالأندلس وسقوطها، خاف ابن العربي على نفسه أن يتعرض يتعرض له بالسوء، فسارع لمبايعة الحاكم الموحدي الجديد، وحينها عبر البحر إلى المغرب على رأس وفدٍ كبير من علماء إشبيلية وأعيانها، وهناك قدّم رفقتهم الولاء للخليفة عبد المؤمن بن علي بمراكش عقب افتتاحها من قبل الموحدين، وما إن انتهت مهمّة هذا الوفد وقَفَل راجعا، حتى أدركت ابن العربي منيّته، فمات رحمه الله. سنة (543هـ). كما تذكر الكتب التي ترجمت له على الأصح.

---

[1]-أشار إلى ذلك الأستاذ السليماني في مقدمته على كتاب المسالك لابن العربي في صفحة 115.

[2]-انظر قانون التأويل ص36، والناسخ والمنسوخ له ص17.

[3]-ابن العربي: القبس، ص 28.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب العارضة.

المطلب الأول: العارضة عرض وبيان.

1. اسم الكتاب ونسبته لابن العربي: هو عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أو «علم كتاب الترمذي»، وهي التّسمية التي نصّ عليها ابن العربي في مقدمة الكتاب، فقال لتلاميذه:"...خذوها عارضة من أحوذي في علم كتاب الترمذي".[1] ولقد أجمع كل من ترجم لابن العربي على نسبة كتاب «العارضة» إليه، فذكر ذلك تلاميذه كابن بشكوال، وأبو يوسف يعقوب بن عبد السلام القرشي الزهري بسندهما إليه، كما نقل عنه الكثير من أهل العلم وأثبتوا ذلك له، كقول ابن حجر في الفتح في نقله عن ابن العربي:"قال ابن العربي في شرح الترمذي".[2]

ولقد أشاد ونوّه به العلماء، فهذا المباركفورى في كتابه «تحفة الاحوذي» يقول:"عارضة الأحوذي لابن العربي من أشهر شروح الترمذي". [3]وينقل أيضا عن السيوطي قوله:"لا نعلم أحدا شرحه كاملا إلاّ القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه «عارضة الاحوذي»- نقلا عن كتابه قوت المقتدي".[4]

و من الأدلة أيضا؛ تلك الإحالات التي كان ابن العربي يذكرها في كتبه على العارضة، أو العكس، حيث يحيل في العارضة على أغلب كتبه.[5] والكتاب الآن معروف ومطبوع، فلا حاجة للحديث عن حجم الكتاب ونسخه وطبعاته.

2. تاريخ العارضة: تعتبر العارضة من أواخر ما ألف ابن العربي في حياته، سنة أربعين وخمسمائة هجرية، بدليل أنّه في أغلب كتبه يحيل عليها، ك«العواصم»، و«قانون التأويل»، و«القبس»، و«أحكام القرآن» التي انتهى من تأليفه سنة (503هـ) على ما ذكر في الخاتمة حيث قال:"انتهى القول في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسمائة والحمد لله كثيرا كما هو أهله".[6]

3. دوافع ابن العربي إلى تأليف هذه العارضة: لقد ذكر ابن العربي في مقدمة العارضة، الأغراض التي دفعته إلى تأليفها، وهي أنّ جماعة من الطلبة ألحّوا عليه برغبة صادقة أن يكتب في شرح كتاب التّرمذي، ليسهل فهمه، ويتيسّر حفظه، وتعمّ منفعته، لكنّه لم يلبّ رغبتهم في بداية الأمر، وتأخّر شيئا ما، لا ظنّا منه عليهم بالعلم، ولا كتمانا له، فهو أحرص النّاس على نشر العلم وخدمته، وإنّما تريّث ليجمع أمره ويستخير ربّه، وبالفعل ما إن قيّض الله له المنّة، ويسّر له النيّة، ووفقه وشرح صدره، ويسّر له أمره، حتى لبّى رغبتهم في تصنيف هذا الكتاب، وهو لذلك يشبه الإمام التّرمذي، فقد سُئل هو أيضا عن مصنّفه

---

[1]-العارضة 5/1-6.

[2]-فتح الباري 40/2.

[3]-مقدمة تحفة الاحوذي، ص،261.

[4]-المكان نفسه.

[5]-انظر: العارضة 27/1-68-259، 167/3، 190/4، 113/9.

[6]-أحكام القرآن 1998/4.

الجامع، فلم يلبّ رغبتهم في بادئ الأمر، ولما أن وفقه الله، ويسّر له أمره، لبّى الرّغبة في تصنيف كتابه الجامع.

ويذكر ابن العربي أيضا أنّ من الدّوافع التي دفعته إلى تأليف الكتاب أن يجوز نصب السّبق، ويكون من العلماء الذين يتصدرون للدّفاع والذبّ عن سنّة رسول الله ﷺ، ".[1]

4. معنى (عارضة الأحوذي): لقد فسّر ابن خلكان «عارضة الأحوذي» فقال:"إنّ «العارضة» هي القدرة على الكلام، و«الأحوذي» بفتح الألف وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة بعدها ياء هو الخفيف في الشيء لحدقه".[2]

وقال ابن منظور في لسان العرب: العارضة هي القدرة على الكلام وتنقيحه، والرّأي الجيّد. ورجل سديد العارضة، أي ذو جلد وصرامة، وقدرة على الكلام، مفوّه".[3]وقال:"ومعنى الأحوذي هو المشمّر في الأمور أو السّائق الخفيف في الأمر لحدقه".[4]

وعرفها ابن العربي نفسه بأنّها:"استيفاء كلام التّرمذي بالبيان، وإحصاء جميع علومه بالشرح والبرهان".[5]

5. طريقة تأليفه: ألمح إلى ذلك ابن العربي في المقدمة، وفيها ذكر الدّوافع التي دعته لتصنيف الكتاب، كما أبان طريقة شرحه، كما تحدث أيضا عن منزلة ودرجة جامع الإمام الترمذي من الكتب الستة، و بيّن أنّ جامع الترمذي امتاز عن غيره بحلاوة المقطع، ونفاسة المنزع، وعذوبة المشرح، وأنّ فيه أربعة عشر علما،.[6]

ثم ذكر-رحمه الله- المنهج الذي اتّبعه في شرحه لجامع الترمذي، حيث يقول:"ونحن سنورد فيه-إن شاء الله-بحسب العارضة، قولا في الإسناد، والرّجال، والغريب، وشيئا من النّحو، والتّوحيد، والأحكام، والآداب، ونكتا من الحكم، والإشارات إلى المصالح. فالمصنّف يرى رياضا أنيقة، ومقاطع ذات حقيقة، فمن أيّ فنّ كان من العلوم وجد مقصده في منصبه مفهوم، ولفظ ما شاء وأوعى، وترحم على من جمع ووعى".[7]

6. ترتيب العارضة: جاء ترتيبها على نسق ترتيب الإمام التّرمذي في جامعه، فقد رتّبه على الكتب والأبواب الفقهية، إلا أنّ ابن العربي اختلف مع التّرمذي في بعض المسائل، فاستدرک عليه بابا سماه(باب ما يستحب من التيمّن في الطّهور) وكتاب الطهارة[8]. واختلف معه في ترتيب كتاب الدّعوات، فقد رتّبه الإمام التّرمذي على مائة وتسع وثلاثين بابا، بينما رتّبه ابن العربي على سبعة أبواب.".[9]

---

[1]-أي تداولوه فيما بينهم. انظر: لسان العرب 612/4، والصحاح 762/2 مادة (عور).

[2]-وفيات الأعيان 296/4.

[3]-لسان العرب: مادة (عرض) 2893/4.

[4]-نفس المصدر: مادة(حوذ) 1046/2.

[5]-العارضة 5/1.

[6]-العارضة 30/1.

[7]-نفس المكان.

[8]-نفس المصدر 71/1.

[9]-العارضة 265/12.

ختم ابن العربي عارضته بشرح كتاب العلل للترمذي الذي في آخر جامعه، والذي يشتمل على مباحث في علوم الحديث،:[(1)]

7. مصادر ابن العربي في عارضته: رجع ابن العربي في عارضته لعدّة مصادر ومؤلفات، منها ما يتعلق بالحديث وعلومه كالصّحيحين، والسّنن، وغريب الحديث، والجرح والتّعديل، وكتب الرجال والسير، ومنها ما يتعلق بالتّفسير، والفقه، ومنها ما يتعلّق بالعربية وعلومها،[(2)] وغيرها في الشعر والأدب، فهي بحق مكتبة، تؤكد بحق تضلع هذا الإمام وتمكنه.

المطلب الثاني: منهج ابن العربي في العارضة .

لقد أوضح ابن العربي المنهج الذي سار عليه في العارضة من خلال مقدمتها، ولذلك لم يترك الباحث بحاجة لاستنباطه والكشف عنه، وهي طريقة غالبا ما يتّبعها ابن العربي في أوائل مصنّفاته، مما يدلّ على أنّه منهجيّ في كتاباته. قال–رحمه الله-:"ونحن سنورد في العارضة إن شاء الله قولا في الإسناد، والرّجال، والغريب، وفنّا من النّحو والتّوحيد، والأحكام والآداب، ونكتا من الحكم، وإشارات إلى المصالح، فالمصنّف يرى رياضه أنيقة، ومقاطعة ذات حقيقة، فمن أيّ فنّ كان من العلوم وجد مقصده في منصبه المفهوم، ولفظ ما شاء، وأوعي، وترحّم على من جمع ووعي."[(3)]

ففي جانب الإسناد يبدأ ابن العربي بذكر الراوي الأعلى في السّند، وربّما ذكر الرّاوي الذي يليه، وأحيانا يذكر معهما ثالث، ثمّ يعنونِ بعد ذلك للحديث بعنوان «إسناده» أي إسناد الحديث، ويبيّن تحت هذا العنوان مراده من الحديث من حيث التّخريج، وبيان حال الحديث، من الصّحة والحسن أو الضّعف، ومن حيث الكلام على الإسناد عموما أو الرجال، كما يذكر بعض أنواع من علوم الحديث أحيانا. وربما عقّب على إسناد الحديث الذي يرويه، بتعقيبات متنوعة، وهي وإن كانت قليلة، إلاّ أنّ لها فوائد مهمّة، من ذلك:

.التّعريف بالرّواة، كقوله- في باب ما جاء في التكبير على المبيت-:"هذا فرات بن سليمان، وصوابه فرات بن السائب ليس بالقوي عندهم".[(4)]

. قد يورد الترمذي الحديث مختصرا، فيورده ابن العربي من كتب السنة كاملا، كما في باب الخمس، قال ابن العربي:"أورده التّرمذي مختصرا، وقال وفي الحديث قصّة ونصّها في الصحيح...فذكرها".[(5)]

---

(1)-نفس المصدر 304/13.

(2)-ومن بين كتب الرجال والسير التي اعتمد عليها نذكر:التاريخ الكبير للإمام البخاري، وتاريخ ابن معين، وفي علوم الحديث نذكر كتاب الجرح والتعديل للإمام ابن حاتم الرازي،.والغوامض والمبهمات لعبد الغني بن سعيد المصري وكتاب الأسماء والكنى للدولابي. و كتاب العلل للإمام أحمد بن حنبل. وكتاب العلل للإمام الدارقطنى .والإلزامات والتّتبع للإمام الدّارقطني. والفصل للوصل المدرج للنقل للخطيب البغدادي:. ينظر: الجرح والتعديل 37/4 والعارضة 202/1. ،47/10، 271/9 ،139/2.و 202/1. و194/1، 212/7، 178/2، 141/12. و 149/2، 77/12، 221/7 وانظر 6/5 ،و 120/9 ، 141/12. وانظر الرسالة المستطرفة ص 91.

(3)-العارضة 6/1.

(4)-العارضة 238/4. و238/2. ومن أمثلته أيضا في العارضة: 81/8-82- ، 253/4، 294/4، 39/7، 310/8.

(5)-نفس المصدر 97/7.

وفي بعض الأحيان يذكر التّرمذي الحديث بلفظه، فيورده ابن العربي بلفظ آخر مناسب، من ذلك ما جاء في باب هل يصلى في مسجد واحد جماعتان: ففي رواية الترمذي (...أيّكم يتّجر) فأوردها ابن العربي كما في أبي داود (...أيّكم يتصدق) قال:"والمعنى واحد، لأنّ التّجارة مع الله صدقة، وربح". "[1]

وقد يرد في سند الحديث راو مبهم، فيورده ابن العربي من كتاب آخر من كتب السنّة ظاهرا، فيزيل ذلك الإبهام كما في باب مواقيت الصلاة، فقد روى ابن العربي حديثا أخرجه أبو داود وفيه(...عن عبد الرحمن بن فلان بن أبي ربيعة...) وإن كنّى وقال ابن فلان، فهو معلوم، رواه عبد الرزاق عن الثوري كما قلناه وفيه اسم فلان فقال (عبد الرحمن بن الحارث) فرفع الالتباس.[2]

ولابن العربي في العارضة جهودا كبيرة في بيان الغريب.[3] وتفصيل العديد من مسائل النحو[4]، والبلاغة.[5] والاعتناء ببيان مسائل التوحيد والصفات.[6]

كما أنّ من سمات شرحه أن يجمع الأحاديث التي تقع تحت باب واحد، أو تحت بابين، أو أكثر من بابين في شرح واحد، ويشرحها شرحا واحدا، وإذا كانت الأحاديث متّحدة في الموضوع، فإنه يسلك هذا المسلك كثيرا، كما في باب الوضوء وأعداده مرة مرة، أو مرتين، أو ثلاثا ثلاثا، الأبواب من 32 إلى 37[7]. كما فعل ذلك أيضا في أبواب إفشاء السلام في كتاب الاستئذان، فقد شرح ثمانية عشر بابا في شرح واحد، لأنّ هذه الأحاديث تتعلق بموضوع واحد[8]، ومثلها في أبواب تشميت العاطس في كتاب الأدب، فقد شرح ثمانية أبواب في شرح واحد.[9]

وفي بعض الأحيان يسكت بن العربي عن أحاديث ولا يتعرض لشرحها، إما لأنّها شرحت مع غيرها لكونها مكررة، وإمّا لأنّ الأحاديث ضعيفة كما جاء في كتاب الدّعوات 19/13، و كما في حديث خروج الأبكار والعواتق، وذوات الخذور، والحيض في العيدين «كتاب الجمعة» باب خروج النساء في العيدين 9/3.

المطلب الثالث: أهمية كتاب العارضة.

يمكننا الوقوف على أهمية العارضة من خلال العنصرين التاليين:

---

[1]- انظر: العارضة 21/2. 122/11.

[2]-نفس المصدر 253/1.

[3]- ينظر لبيان ذلك المواضع التالية: العارضة 68/12. و66/1. و20/1 -21 ،و203/1. وانظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث 58/2. - 318/3 (مادة عوذ). ،و 220/3 مادة(خبث).

[4]-انظر: العارضة: 160/9. وينظر الترمذي كتاب الرؤيا باب ما جاء في الظلة 129/4 رقم 2300.

[5]-انظر: العارضة 206/13-207 .

[6]-ينظر في العارضة :166/3. 233/2. 237/2. 165/3. 19/13 -20 ، و فتح الباري 36/3 بتحقيق الشيخ محب الدين الخطيب. والأمثلة على تأويل الأحاديث المشكلة في ذات الله تعالى كثيرة، منها على سبيل الإجمال حديث رقم (1734) 236/7 والوارد في باب كراهية جر الإزار، وكذلك حديث رقم (877) 107/4 والوارد في باب فضل الحجر الأسود، وكذلك حديث رقم (2930) 45/11 والوارد في باب كلام الله، حديث رقم (2880) 3/11 وأيضا الوارد في باب فضل فاتحة الكتاب، وحديث رقم (3 285) 160/12.

[7]-العارضة 159/1-165.

[8]-العارضة 160/10-179.

[9]-نفس المصدر196/10-207.

1.منزلة العارضة بين شروح الترمذي: لقد اعتنى العلماء بجامع التّرمذي عناية بالغة، فصنّفوا في شرح غامضه، وتوضيح مسائله، وتبيان مناهجه، وعملوا عليه شروحا غاية في النّفاسة، ونهاية في الفائدة والجودة.

يأتي على رأس قائمة تلك الشروح، ويحتلّ الصّدارة والمكانة الأولى بينها، كتاب عارضة الأحوذي، للحافظ ابن العربي، فهو أوّل شرح أُلّف على الجامع، ويحوز قصب السّبق في ذلك، وهو شرح كامل ومشهور ومتداول بين النّاس، شهد بذلك الحافظ السيوطي حيث قال:"لا نعلم أحدا شرحه كاملا إلا القاضي أبو بكر بن العربي". وأكد ذلك أيضا الشيخ المباركفوري في تحفته، حيث قال:"عارضة الأحوذي من أشهر شروح الترمذي".[1]

وأسبقية ابن العربي في عارضته واضحة، حيث أنّه لم ينقل تأثره أو استفادته ممّن سبقه، ممّا يجعله في الصّدارة والرّيادة.

ولقد جاءت بعد العارضة شروحا كثيرة على جامع التّرمذي، غير أنّ أكثرها مخطوط أو مفقود، وما هو موجود منها لا يعدّ كتابين أحدهما لابن سيد الناس، والثاني كتاب المباركفوري وكلاهما.-بعد البحث والتّنقيب- يؤكدان على مكانة العارضة ومنزلتها، من حيث التأثر بصاحبها ابن العربي، أو النّقل من نصوصها، وهو ما يثبت أنّها أصل في تلك الشّروح ومرجع مهمّ لها. وفما يلي أذكر بعض تلك النّقول كبرهان على كلامنا السابق، منها:

ففي النّفح الشّدي في شرح جامع الترمذي، استفاد ابن سيد الناس من ابن العربي وتأثر به، ونقل عنه في شرحه،)من ذلك قوله في باب ما جاء في فضل الحهور عند الترمذي[2]قال: وذكر ابن العربي كلاما ما معناه: معناه: لم كانت خطايا الوجه(مخرجها) من العين دون الفم والأنف؟ وأجاب بوجهين...[3] ومن الأمثلة أيضا أيضا ما نقله عنه أيضا في الموضع 387/1.

وفي تحفة الأحوذي تأثر مؤلفها أبو العلى بن عبد الرحيم المعروف بالمباركفوري (1353هـ)بابن العربي، واستفاد منه كثيرا، حتى أنّه لا يكاد يخلو جزء منها من ذلك.[4] وهناك شروح أخرى لم يتسن لنا الاستفادة الاستفادة منها؛ إلا أن عبارة السيوطي السابقة توحي بهيمنة العارضة على جميعها.

2.أثر كتاب العارضة في المؤلفات بعده.

يظهر أثر العارضة واضحا في العديد من المؤلفات التي جاءت بعدها، فقد تأثر بها أهل العلم واستفادوا منها، ورجعوا إليها، حتى صارت مصدرا ومنبعا للكثير من أبحاثهم، لما تشتمل عليه من موضوعات مختلفة، وفوائد عالية.

---

[1]-المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المقدمة، ص369.

[2]-أخرجه الإمام الترمذي في سننه –ك- الطهارة، باب ما جاء في فضل الطهور، 84/1.

[3]-أبو الفتح اليعمري: النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، 374/1.

[4]-انظر: أمثلة علي ذلك في مقدمة تحفة الأحوذي 1/ 261، و1/1،327/28.

لقد نقل العلماء عن ابن العربي واستفادوا منه، سواء منهم المؤرخون الذين ترجموا له، كابن عمير الضبّي في كتابه نفح الطيب، و كالإمام الذّهبي في سير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، [1]، أو كان من العلماء الذين لهم شروح على كتب السنة، فقد نقلوا عنه أيضا كثيرا، ومن بينهم:

- الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري، فإنّه لا يخلو جزء من أجزائه من آراء ابن العربي، ومن يقرأه يرى ذلك واضحا فيه، ويلحظ تأثره بعارضة الأحوذي، فقد كان يأخذ عنه في صور مختلفة، فتارة يُورد رأيه ويوافقه عليه، ويصرح بأخذه من شرح الترمذي لابن العربي، وأحيانا يورد رأيه ويناقشه ويردّ على استشكالاته وتارة أخرى يورد رأيه ويصوّبه.

ففي حديث نزول الملك على رسول الله ﷺ وهو يتعبّد في غار حراء ، قال ابن حجر:"اختلفوا في سبب الخشية التي أصابته عند نزول الملك على اثني عشر قولا. أولها: الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة جاء مصرّحا به في عدّة طرق، وأبطله أبو بكر بن العربي وحقّ له أن يبطله.". وتنظر في هذا السياق الأمثلة في المواضع التالية:."[2]

- كما تأثر بابن العربي الإمام السيوطي: فعند شرحه لحديث(أمّ سليم التي سألت الرسول ﷺ عن غسل المرأة إذا احتلمت، وفيه قالت السيدة عائشة وأم سلمة للرسول ﷺ، أو تحتلم المرأة؟ قال لها تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها). قال الإمام السيوطي- عند نقله عن ابن العربي في إزالة التعارض بين الأحاديث المشكلة في شبه الولد لأبيه-:"قال ابن العربي: للماء أربعة أحوال...ثم قال:"وبانتظام هذه الأقسام يثبت الكلام، ويرتفع التعارض بين الأحاديث المشكلة.[3]

- كما استفاد المباركفوري في كتابه (تحفة الأحوذي) من أراء أبي بكر بن العربي كثيرا، سواء أكان ذلك في كلامه على الإسناد، أم في بيان معنى ألفاظ الجرح والتعديل، أو في الغريب أو الفقه ونحو ذلك... [4] .وهذه الأمثلة تؤكد أنّ كتاب العارضة فريد في بابه وموضوعاته، وهو ما جعله مرجعا ومصدرا لكل من أتى بعده من العلماء. فرحم الله مؤلفه وأسكنه فسيح جناته.

المبحث الثالث: تصحيح ابن العربي لما حسنه الترمذي أوضعفه.

يتناول هذا المبحث بيان المواضع التي عمد ابن العربي لتصحيحها، سواء حكم الترمذي بحسنها، أو جزم بضعفها، و ذلك من خلال المطالب التالية:

---

[1]-تذكرة الحفاظ 1298/3، وسير أعلام النبلاء 204/20.

[2]-انظر: فتح الباري، 22/1 -23. و170/1، 40/2. و472/1- 474. و 97/2 . وبالرجوع إلى العارضة وجدنا هذا النص في 307/1. كما نقل ابن حجر عن ابن العربي آراءه في فتح الباري، في بقية أجزاء الكتاب مثل 33/3، 140، 79/5، 430/6 .وهي أمثلة تؤكد لنا أنّ الإمام ابن حجر العسقلاني قد تأثر مثل غيره من العلماء بكتاب العارضة، ونقل عنه في فتح الباري.

[3]-انظر السيوطي: المنهج السّوي والمنهل الروي في الطب النبوي،114/1، والمفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، 572/1.

[4]-انظر: تحفة الأحوذي 1/ 327، و28/1. وانظر: مقدمة التحفة ص279 .

المطلب الأول: تصحيح ابن العربي أحاديث حسّنها التّرمذي.

من أثار المنهج النقدي لابن العربي، مخالفته للكثير من أحكام الإمام الترمذي في جامعه، ومن ذلك تصحيحه للعديد من الأحاديث التي حسنها الترمذي، بناء على ما توفر عنده من دواعي التصحيح. وقد حاولت أن اتتبّعه في العارضة وفي غيرها، فتمكنت من جمع النّتائج التالية:

1) حديث أبي عبيدة عن عبد الله قال:(كان رسول الله ﷺ في الرّكعتين الأوّليين كأنّه على الرّضف قال ثمّ حرّك سعد بن إبراهيم رواية عن أبي عبيدة شفتيه بشيء فأقول حتى يقوم فيقول حتى يقوم). قال ابن العربي:"إنّما حسّنه ولم يصحّحه لأنّ أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ولكن حديثه عندي صحيح".[1]

2) حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثمّ راح فكأنّما قرّب بدنة ومن راح في السّاعة الثّانية فكأنّما قرّب بقرة ومن راح في السّاعة الثّالثة فكأنّما قرّب كبشا أقرن ومن راح في السّاعة الرّابعة فكأنّما قرّب دجاجة ومن راح في السّاعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذّكر). قال ابن العربي:"قال أبو عيسى حديث حسن وعندي أنّه صحيح وإن خالف الأصول على ما يأتي بيانه إن شاء الله وقد خرّجه الأئمة والحديث الصّحيح فيها أيضا عن عبد الله".[2]

3) روى ابن جريج وغيره، عن عبد الله بن محمّد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله-أنّ النّبي ﷺ قال: (أيّما عبد تزوَّج بغير إذن مواليه فهو عاهر).خرجه التّرمذي وقال: هو حسن .وقال ابن العربي:"وحديث يرويه ابن جريج عن ابن عقيل عن جابر ينبغي أن يكون صحيحا."[3]

4) حديث الحسن عن سمرة أنّ النّبي ﷺ قال:(العمرى جائزة لأهلها أو ميراث لأهلها ولم يذكرها بشيء). قال ابن العربي:"حديث العمرى جائزة لأهلها والرّقى جائزة لأهلها وحسّنه وحديث سمرة عندي صحيح".[4]

5) حديث الحسن عن سمرة قال قال رسول الله ﷺ:(من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه). قال أبو عيسى هذا حديث حسن. قال ابن العربي:" هذا أعجب، الرّواة عدول وسماع الحسن عن سمرة صحيح فأيّ وجه للسكوت عن صحَّته". [5]

6) حديث نافع بن أبي نافع عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال:(لا سبق إلاّ في نصل أو خفٍّ أو حافر). قال أبو عيسى هذا حديث حسن. قال ابن العربي:"وصحّح الأول وحسّن الثاني وهو صحيح عندي".[6]

7) حديث زيد بن خالد الجهني أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول:(خير الشّهداء من أدى شهادته قبل أن يُسألها). قال ابن العربي:"هذا حديث حسن غريب من هذا الأنصاري وهو عندي صحيح". [1]

---

[1]-العارضة 160/2-161.

[2]-نفس المصدر 285/2.

[3]-أحكام القرآن 400/1.

[4]-العارضة 99/6.

[5]-العارضة 183/6.

[6]-نفس المصدر 188/7.

8) حديث أبان بن عثمان، عن زيد بن ثابت قال رسول الله ﷺ:(نضّر الله امرءا سمع عنّا حديثا فحفظه حتى يبلّغ غيره فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه وربّ حامل فقه ليس بفقيه)، وعن ابن مسعود - فيبلّغه كما سمعه- وفي حديث ابن مسعود أيضا-سمع مقالتي فوعاها كما سمعها فرّب حامل فقه إلى من هو أفقه منه-ثلاث لا يُغلّ عليهن قلب مسلم الحديث إلى أخره. قال ابن العربي:"أحاديث حسان صحاح وقد روينا حديث زيد بن ثابت من طرق فصحّ وإن حسّنه أبو عيسى".[2]

9) قال ابن العربي:"روى أبو عيسى أنّ النّبي عليه السلام مرّ على نساء قعود في المسجد فألوى بيده بالتّسليم وأشار عبد الحميد يعنى الرّاوي بيده وحسّنه وهو صحيح لأنّه رواه عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب وقد تقدّم تصحيح أبي عيسى لحديث شهر إذا رواه عنه ثقة...".[3]

10) حديث ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (العطاس من الله والتّثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه). وإذا قال آه فإنّ الشيطان يضحك من جوف).قال ابن العربي:"حسّنه أبو عيسى ولم يصحّحه وقد صحّح مثله ممّا فيه ابن عجلان وهو صحيح".[4]

11) قال ابن العربي:"خرج معاوية فقام إليه عبد الله بن الزّبير وابن صفوان حين رأوه فقال اجلسا سمعت رسول الله ﷺ يقول:(من سرّه أن يمثّل له الرّجال قياما فليتبوأ مقعده من النار). حسن، في سنده حبيب بن الشّهيد فحقّه أن يصحّحه وقد خرج عنه البخاري فإذا كان مكروها لما فيه من قصد التّعاضم".[5]

12) حديث جبير بن نفير عن النّواس بن سمعان وخرجه مسلم أيضا قال رسول الله ﷺ: (يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمهم البقرة وآل عمران).الحديث. قال ابن العربي:" أمّا حديث مجيء البقرة وآل عمران فصحيح وأمّا زيادة مجيء أهل القرآن معها فغريب".[6]

13) حديث ابن عباس:(قال ضرب بعض أصحاب النّبي عليه السلام خباءه على قبر وهو لا يحسب أنّه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها) الحديث .قال بن العربي:"حديث سورة الملك في الجملة صحيح وأنّها تجادل عن صاحبها وإن كان أبو عيسى قد حسّن كل ما روي فيه".[7]

14) حديث ابن عباس قال:(خرج رجل من بني سهم مع تميم الدّاري وعديّ بن بدَّاء، فمات السَّهمي بأرض ليس بها مسلم، فلمّا قدما بتَركته فقدوا جامًا من فضّة مُخوَّصًا بالذّهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجدوا الجام بمكّة، فقالوا: اشتريناه من عديّ بن بدَّاء وتميم، فقام رجلان من أولياء السَّهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم.قال: وفيهم نزلت ﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا

---

[1] -نفس المصدر 169/9.
[2] -نفس المصدر 123/10-124.
[3] -نفس المصدر 10 /172 وانظر: المسالك 514/7.
[4] -نفس المصدر 196/10.
[5] -نفس المصدر 209/10.
[6] -نفس المصدر 13/11.
[7] -العارضة 19/11-20.

مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾[1] .الآية قال ابن العربي:"قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وكذلك خرجّه البخاري بلفظ والدّارقطني فهو صحيح".[2]

15) حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه قال:(كان رجل يقال له مرثد ابن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسرى من مكّة حتى يأتي بهم المدينة. قال وكانت امرأة بغيٌّ يقال لها عَنَاق وكانت صديقةً له وإنّه كان وعد...)الحديث. قال ابن العربي:"ذكر حديث مرثد وهو حسن صحيح جدًا وإن كان أبو عيسى قد أغربه وحسّنه".[3]

16) حديث أبي الأحوص عن عبد الله قال:(علّمنا رسول الله ﷺ التّشهد في الصّلاة والتّشهد في الحاجة قال التّشهد في الصّلاة التّحيات لله والصَّلوات والطيّبات السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله والتّشهد في الحاجة إنّ الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا فمن يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله ويقرأ ثلاث آيات...)الحديث. قال أبو عيسى حديث عبد الله حديث حسن. قال ابن العربي:"الحديث وإن كان رواه من وصله وروي عن من انقطع له فإنّه صحيح".[4]

17) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النّبي ﷺ سئل عن الثمر المعلَّق فقال من أصاب منه من ذي حاجة غير متخذ خُبْنَةً فلا شيء عليه .قال أبو عيسى حسن. قال ابن العربي:"حسن جميعها وعوّل أحمد بن حنبل على حديث عمر بن شعيب يرويه الليث عن سعد بن عجلان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه وهو حديث صحيح".[5]

18) وروى النّسائي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدّورقي، حدثنا عبد الرحمان بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن حماد عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال:(رفع القلم عن ثلاث عن النّائم حتى يستيقظ وعن الصّغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل ويفيق). قال أبو عيسى حديث حسن غريب وقال ابن العربي:"وهذا صحيح من غير كلام.[6]

---

[1] -سورة المائدة، من الآية 106 .
[2] أحكام القرآن 714/2.
[3] -العارضة 41/12-42.
[4] -العارضة20/5 وانظر القبس 682/2.
[5] -نفس المصدر 289/5.
[6] -العارضة 196/6.

المطلب الثاني: تصحيح ابن العربي أحاديث ضعّفها التّرمذي.

ليس بالضرورة عند ابن العربي قبول كلّ الأحكام التي ذهب إليها التّرمذي في نقده للأحاديث، لذلك نراه يعارضها في أكثر الأحيان، فمثلما صححَّ الكثير ممَّا حسّنه الترمذي، كذلك صححَّ ما ذهب الترمذي إلى تضعيفه في عدة مواضع، كما توضحه الأمثلة التالية:

1- قال ابن العربي:"روى أبو عيسى، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه أنّ النّبي عليه السلام قام إلى قربة معلّقة فخنثها ثم شرب من فمها عليه السلام فشرب من في قربة معلقة قائما_فقمت إلى فيها فقطعتها. وحديث أبي عيسى ضعّفه لأجل رواية العمري له لتضعيف يحي بن سعيد وهو ثقة والحديث صحيح".[1]

2-حديث ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ خطب النّاس يوم فتح مكة فقال:(يا أيّها النّاس إنّ الله قد أذهب عنكم عُبْيَة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالنّاس رجلان برٌّ تقيّ كريم على الله وفاجر شقي هيّن على الله والنّاس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعرفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير). قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلاّ من هذا الوجه وعبد الله بن جعفر يُضعَّفُ ضَعَّفَهُ يحي بن معين وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني قال وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس. قال ابن العربي:"فيه والد علي بن المديني ولذلك ضعّفوه وهو عندي صحيح".[2]

3-روى الزّهري، عن عروة بن الزّبير، عن عبد الرّحمن بن عبد القاري، قال:(سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان النّبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه كدويِّ النّحل، فأُنزل عليه يوما، فلبثنا ساعة، ثم سُرِّي عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال:(اللّهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا)،ثم قال:(أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة.ثم قال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[3] حتى ختم عشر آيات).رواه التّرمذي وغيره، وهو صحيح وإن كان قد تكلّم فيه أبو عيسى وقطعه".[4]

وقال ابن العربي أيضا في تعليقه على نفس الحديث في العارضة:"حديث عبد الرّحمن بن عبد عن عمر أنّ النّبي ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدويّ النّحل إلى آخره. علّله أبو عيسى بأنّه تارة يروى عن يونس بن سليم عن الزهري وتارة يروى عن يونس بن سليم عن يونس بن يزيد".[5]

[1]-نفس المصدر 82/8-83.

[2]- العارضة 156/12.

[3]-المؤمنون:الآية،01.

[4]-انظر:أحكام القرآن 1307/3.

[5]-العارضة،33/12.

4-حديث زيد بن خالد الجهني؛ أنّه أرسل إلى أبي جهيم يسأله ماذا سمع من رسول الله ﷺ في المارِّ بين يدي المصلي؟ قال أبو جهيم: قال رسول الله ﷺ:(لو يعلم المارّ ما له في ذلك، لكان له أن يقف أربعين) الحديث. قال ابن العربي:"وغرَّبه أبو عيسى، وقال فيه: حديث غريب،[1] وهو عندي صحيح".[2]

5-وفي باب -ما جاء لا نذر في معصية- ذكر حديث أبي سلمة عن عائشة (لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين). قال أبو عيسى هذا حديث لا يصح وإنّما يرويه الزّهري عن سليمان بن أرقم عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمه وقال غيره سليمان بن أرقم ضعيف. قال ابن العربي:"إن كان هذا خفاء فكيف تقلّده الزهري، هذا ممّا لا وجه له عندي".[3]

المبحث الرابع: تضعيف ابن العربي لما صححه الترمذي أوحسنه.

تظهر جهود ابن العربي النّقدية أيضا، في تضعيفه لعدّة أحاديث صحّحها التّرمذي أو حسّنها، وهى أمارة واضحة على تميّزه في هذا المجال، وعلى استقلالية آراءه، وسعة اطّلاعه واجتهاده.

وفيما يلي ذكر لأغلب تلك الحالات كما وردت في مؤلفاته، لاسيّما في العارضة، وقد جعلتها في مطلبين:

الأول: ذكرت فيه جانبا من تلك التّطبيقات دون مناقشتها. وأمّا الثاني: فجعلته لدراسة ومناقشة جملة من تلك الأمثلة والأحكام كما وردت عند ابن العربي، وكذا مقارنتها بأحكام غيره من أهل العلم، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: نماذج من تضعيف ابن العربي لأحاديث صحّحها التّرمذي أو حسّنها.

وهنا اكتفيت هنا بسرد الأمثلة كما رصدتها من مظانّها عند ابن العربي، وذلك للتّأكيد على جهود ابن العربي في هذا الجانب، من ذلك.

1.حديث (إن الله أعطى كلّ ذي حقّ حقّه، لا وصية لوارث).[4] قال ابن العربي:"وقالت طائفة...هذا الحديث اتفقت الأمّة عليه. قلنا هذا باطل لأنّ الأمّة لم تتّفق عليه لفظا، ولو كان قويّا لنقله العدل عن العدل، وما جاز نسخ القرآن به لأنّه خبر واحد، ونسخ القرآن لا يجوز".[5]

2.حديث ابن لبيد، عن رافع بن خديج قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:(أسفروا بالفجر فإنّه أعظم للأجر). قال الترمذي: حديث رافع بن خديج حديث حسن . وقال ابن العربي:"وأمّا حديث محمود عن رافع ففيه من علوم الحديث رواية صاحب عن صاحب وهو محمود بن لبيد عقل عن رسول الله ﷺ مجّة مجَّها في فيه...ورافع بن خديج صاحب. رواه أبو عيسى عن محمّد بن إسحاق عن عاصم بن قتادة وذكر أنّ ابن

---

[1]- الذي في جامع الترمذي: "وحديث أبي جهيم حديث حسن صحيح".

[2]- المسالك، 101/3.

[3]-العارضة:2/7.

[4]-أخرجه الطيالسي(1217)، وأحمد:186/4، والدارمي (2532)، وابن ماجة (2712)، والنسائي:247/6، والترمذي (2121) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والبيهقي: 264/6.

[5]-المسالك 546/6.

عجلان رواه عنه وعاصم في الرّواية غير قوّي ولا قائم بالعلم لذلك لم يصحّ هذا الحديث إذ مداره عليه وهو بهذه الصفة".[1]

3.حديث أبي الحوزاء السّعدي قال:(قال الحسن بن علي رضي الله عنهما علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهنّ في الوتر: اللّهم أهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولّني فيمن تولّيت وبارك لي فيما أعطيت وقني شرّ ما قضيت فإنّك تقضي ولا يقضي عليك وإنّه لا يذِلّ من واليت تباركت ربّنا وتعاليت). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. وقال ابن العربي:"...اختلف قول مالك فيه في صلاة رمضان والحديث لم يصحّ وقد ذكر أبو عيسي اختلاف العلماء فيه والصّحيح عندي تركه فيه إذ لم يصحّ عن النّبي ﷺ فعله ولا قوله".[2]

4.حديث ابن عمر قال (جاء رجل إلى النّبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحجّ قال الزّاد والرّاحة). قال أبو عيسي هذا حديث حسن والعمل عليه عند أهل العلم أنّ الرّجل إذا ملك زادا وراحة وجب عليه . قال ابن العربي:"الإسناد فيهما أنّ كليهما ضعيف لا يوجب علما ولا عملا ولا يقضي حكما".[3]

5.حديث أبي الأبرد مولى بني خطمة أنّه سمع أسيد بن ظهير الأنصاري وكان من أصحاب النّبي ﷺ يحدِّث عن النّبي ﷺ قال:(الصلاة في مسجد قباء كعمرة). قال أبو عيسى: حديث أسيد حديث حسن غريب. وقال ابن العربي:"...قد ورد في فضل مسجد قباء أحاديث صحاح وضعيفة. من الصّحاح إتيان رسول الله ﷺ إيّاه، ومن الضّعيف ما ذكره أبو عيسى أنّ الصلاة فيه كعمرة."[4]

6. حديث سهل بن معاد عن أبيه أنّ النبي ﷺ (نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب). قال أبو عيسى هذا حديث حسن وأبو مرحوم اسمه عبد الرحيم بن ميمون يضرب بجبهته حبوته. وقال بن العربي:"قد جاء هذا النّهي من هذه الطّريق ولم يصحّ ولا عمل به أحد".[5]

7.حديث أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال:(لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوما من غير شهر رمضان إلاّ بإدنه) . قال أبو عيسى"حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح وقد روي هذا الحديث عن أبي الزّناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ. وقال ابن العربي:"كذا ذُكر عن أبي هريرة وقال حسن. قال وقد روي هذا الحديث عن أبي الزّناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة عن النّبي عليه السلام...أنا القاضي أبو الحسن الزّاهد بالقرافة أنا محمّد بن سيار أنا يحي بن عبد الرحمن قال نا سفيان عن أبي الزّناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال:رسول الله ﷺ فذكره دون ذكر رمضان. وقال الشافعي أنا أبو اليماني أنا شعيب عن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي

---

[1]-العارضة 261/1.

[2]- نفس المصدر 253/2.

[3]-نفس المصدر 28/4.

[4]-العارضة 122/2.

[5]-نفس المصدر 303/2.

هريرة قال قال رسول الله ﷺ فذكره. فلما كان أبو الزّناد يضّطرب فيه مرّة يصله ومرّة يقطعه خرج عن رسم الصّحة وأصحّ شيء".[1]

8.حديث أم هاني قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[2] الآية قالت فلم أكن أحلّ له لم أهاجر كنت من الطّلقاء. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح لا أعرفه إلاّ من هذا الوجه. تعقّبه ابن العربي بقوله:"وهو ضعيف جدًا، ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتجّ في مواضعه بها".[3]

9.حديث أبي صالح عن أبي هريرة (من أنظر معسرا أو وضع له أظلّه الله يوم القيامة تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه). قال التّرمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. و قال ابن العربي معقبا عليه:"الذي ثبت هو الحديث الثاني فأمّا الأوّل أنّ الذي ثبت أنّ الله يظلّ تحت ظلّه سبعة ذكرهم هو وغيره".[4]

10.حديث العرباض في موعظة الرسول: قال:(وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجلٌ: إنّ هذه موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله. قال: أوصيكم بتقوى الله والسّمع والطّاعة وإن عبد حبشي فإنّه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإيّاكم ومحدّثات الأمور فإنّها ضلالة فمن أدرك منكم فعليه بستّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين عضوا عليها بالنواجذ).قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .تعقّبه ابن العربي بقوله:"حكم أبو عيسى بصحّته وفيه بقيّة بن الوليد وقد تكلم فيه".[5]

المطلب الثاني : مناقشة الأمثلة ودراستها.

وهنا نذكر جملة من أحكام ابن العربي كما وردت في المطلب السابق مقرونة بالدّراسة والمقارنة، وقد جاءت كما يلي :

1. حديث صلاة التّسبيح: عن أنس بن مالك أنّ أم سليم غدت على النّبي ﷺ فقالت علمني كلمات أقولهنّ في صلاتي فقال:(كبّري الله عشرا وسبّحي الله عشرا واحمديه عشرا ثم سلي ما شئت يقول نعم نعم). قال

[1]-نفس المصدر 3/310-311.

[2]-الأحزاب: الآية 50.

[3]-أحكام القرآن 3/1553، وانظر تفسير القرطبي 14/206.

[4]-العارضة 6/42.

[5]-المصدر نفسه 10/144.

أبو عيسى حديث أنس حديث حسن غريب. وقد تعقّبه ابن العربي، وضعّف هذا الحديث لرواية عكرمة بن عمار فقال:"خرّجها أبو عيسى عن ابن المبارك عن عكرمة بن عمّار وهو ضعيف، سمعت الشّيخ أبا الحسن بن أيوب يقول سمعت البرقاني يقول سمعت الإسماعيلي يقول:عكرمة بن عمّار ضعيف إلاّ في إيّاس بن سلمة...أمّا البخاري فلم يخرج عن عكرمة بن عمّار حرفا وأمّا مسلم فخرج عنه ما حدث..." [(1)]

المناقشة:

هذا الحديث، أخرجه الإمام أحمد، والنّسائي من طريق وكيع عن عكرمة بن عمار به. وأخرجه أبو يعلى، والطّبراني من طريق عبد الرّحمن بن إسحاق عن حسين بن أبي سفيان عن أنس ﷺ:(أتى رسول الله ﷺ أمّ سليم في بيتها فصلّى تطوعا ثم قال: يا أمّ سليم إذا صلّيت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشرا...) الحديث.[2]

فبالنّسبة للطّريق الأوّل فإنّ فيه عكرمة بن عمار، وهو عكرمة بن عمار العجلي، اليماني. قال يحي:كان أميّا حافظا. وقال البخاري: عكرمة بن عمّار يغلط الكثير في أحاديث يحي بن أبي كثير.وقال داود:ثقة، في حدثيه عن يحي بن أبي كثير اضطراب. وقال أبو حاتم: كان صدوقا، وربّما وهم في حديثه، وربّما دلّس، وفي حديثه عن يحي بن أبي كثير بعض الأغاليط[(3)].

قال ابن حجر: صدوق يغلط، وفي روايته عن يحي بن أبي كثير اضطراب، ولم يكن له كتاب، مات قبل سنة (160هـ). وقال يحي بن سعيد القطّان: أحاديثه عن يحي بن أبي كثير ضعاف إستشهد به مسلم. وقال الذّهبي: من جملة الحجّة وأوعية الصدق. وقال العجلي: عكرمة بن عمار اليماني ثقة. وقال ابن العجمي: عكرمة بن عمّار إمام ثقة...وقد أنكر ابن الصلاح على ابن حزم وبالغ في الشّناعة عليه. قال: وهذا القول من جسارته فإنّه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار وإطلاق اللّسان فيهم. قال: ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة إلى وضع الحديث وقد وثّقه وكيع وابن معين وغيرهما وكان مجاب الدعوة.[(4)]

وبمقارنة تلك الأقوال نستنتج أنّ عكرمة بن عمار لا يضعّف على الإطلاق، فإنّه صدوق إلاّ في روايته عن يحي بن أبي كثير فإنّه يخطئ كما ذُكر في ترجمته، وقد وثّقه عدد كبير. وعليه فإنّ إسناد الحديث من طريقه حسن كما ذهب إليه الترمذي ولا يضعّف كما قال ابن العربي.

أمّا الطّريق الثّاني: فإنّ إسناده ضعيف، لأنّ عبد الرّحمن بن إسحاق ضعيف الحديث وحسين بن أبي سفيان، قال البخاري: حديثه ليس مستقيم.[(5)] ومن خلال ما سبق نتبين: أنّ إسناد الحديث حسن، وهو غريب لتفرد عكرمة بن عمار به من هذا الوجه.

[(1)]-نفس المصدر 265/2-266.

[(2)]-ينظر أحمد في مسنده 3 /120. والنسائي في سننه الصغرى، كتاب السهو، باب الذكر بعد التشهد 51/3،ح 1299. وأبو يعلى في مسنده 271/7 – 272،ح4292. و الطبراني في معجمه في الدعاء 1132/2 ح 725.

[(3)]–ينظر: سؤالات الآجري 378/1 – 379. وأبو حاتم: الجرح والتعديل 11/7.

[(4)] - ينظر: تقريب التهذيب 396/1. ومن تكلم فيه 137/1. وسير أعلام النبلاء 137/7. ومعرفة الثقات 144/2..وانظر أيضا: الثّقات 233/5، والكامل في ضعفاء الرجال 272/5، وتاريخ أسماء الثقات 177/1، ، وضعفاء العقيلي 378/3، والكاشف 33/2، وتهذيب الكمال 256/20.

[(5)]-الضعفاء الصغير (الترجمة 77)، وانظر لسان الميزان 525/2. والجرح والتعديل 213/5، وتهذيب الكمال 515/16.

2. باب النهي أن يتخذ الخمر خلا. قال الترمذي:حدّثنا محمّد بن بشار حدّثنا يحي بن سعيد حدّثنا سفيان عن السّدي عن يحي بن عبّاد عن أنس بن مالك قال سئل النّبي ﷺ أنتخذ الخمر خلاً قال لا. هذا حديث حسن صحيح. قال ابن العربي:"وقد انسدّ باب الصحة عليه بكون السّدي فيه".[1]

هذا الحديث أخرجه أيضا ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم[2]، وأبو داود، وأبو يعلى، وابن الجارود، وأبو عوانة، والدّارقطني، والبيهقي من طريق سفيان الثوري، عن السّدي، عن أبي هبيرة يحي بن عباد، عن أنس بن مالك.[3]

ورواه اللّيث بن أبي سليم، واختلف عليه فيه: فأخرجه أحمد، من طريق إسرائيل، عن اللّيث، عن يحي بن عباد، عن أنس كحديث السّدي، عن يحي بن عباد. وأخرجه الترمذي، والدّارقطني، من طريق المعتمر بن سليمان وأخرجه الدارقطني[4]، من طريق موسى بن أعين كلاهما عن الليث، عن يحي بن عباد، عن أنس، عن أبي طلحة فجعله من مسند أبي طلحة وهذا وهم من الليث بن أبي سليم، وهو سيء الحفظ، وقد تغيّر حفظه. قال الترمذي[5]:وهذا – أي عن حديث أنس – أصح من حديث الليث.

3. حديث عبد الرحمن بن محيريز قال:(سألت فضالة بن عبيد عن تعليق اليد في عنق السّارق أمن السنة هو؟ قال:أتى رسول الله ﷺ بسارق فقطعت يده ثم أمر بها فعلّقت في عنقه).[6] قال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عمر بن علي المقدمي عن الحجّاج بن أرطاة . قال ابن العربي:"ويرويه الحجّاج بن أرطاة وكأنّه من باب التّعريف به والإشادة بذكره ليرتدع به ولو ثبت لكان حسنا صحيحا ولكنه لم يثبت".[7]

المناقشة:

هذا الحديث: أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدّارقطني، والبيهقي[8] كلّهم من طريق عمر بن علي المقدّمي به. وتابعه أخوه أبو بكر بن علي المقدّمي[9] . فيما رواه النسائي، والبيهقي[10] من طريقه عن الحجّاج

---

[1]-العارضة 294/5.

[2]-ينظر: بن أبي شيبة، المصنف 99/5. و أحمد، المسند 119/3. ومسلم الصحيح 1573/3 رقم 1983.

[3]-أبوداود: السنن 351/2 رقم 3675. و أبو يعلى: المسند 4045، 4051. و ابن الجارود: المسند 150/3 رقم 854. و أبو عوانة: المصنف 106/5 – 107 رقم 8977. والدارقطني : السنن 265/4. والبيهقي: السنن 37/6.

[4]-ينظر: أحمد في مسنده 260/3. والترمذي في سننه 588/2 رقم 1293. والدارقطني في سننه 265/4-266.

[5]-في سننه 588/3 رقم 1293.

[6]-العارضة 227/6.

[7]-المكان نفسه

[8]-ينظر: أحمد في مسنده 19/6. وأبو داود في سننه،كتاب الحدود، باب في تعليق يد السارق في عنقه 567/4: 4411. وابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب تعليق يد السارق في العنق 863/2: 2587. والدارقطني في سننه 208/3. والبيهقي في سننه الكبرى 275/8.

[9]-قال الحافظ المزي: هو عزيز الحديث. تهذيب الكمال 124/33.وقال الحافظ ابن حجر: مقبول، مات سنة 176هـ تقريب التهذيب- ترجمة7982.

[10]- ينظر: النسائي في سننه ، كتاب قطع السارق، باب تعليق يد السارق في عنقه 92/8: 4982. والبيهقي في سننه الكبرى 275/8.

الحجّاج بن أرطاة به.ـقال العجلي: يرسل عن مكحول، ولم يسمع منه شيئا. وقال النّسائي . بعد إخراجه لهذا الحديث-: الحجَّاج بن أرطاة ضعيف، ولا يحتجّ بحديثه.

ولذلك استشكل الحافظ العراقي تحسين أبي عيسى له، فقال:"حَكَمَ المصنّف على حديث فضالة بأنه «حسن غريب»، وهو مشكل من حيث اصطلاحه؛ لأنّه لم يُرو من غير وجه، كما اشترط هو في آخر الكتاب في «العلل»".

وأيضا انفراد الحجّاج بن أرطاة به يقتضي ضعفه، وكذلك انفراد عمر بن علي المقدمي به على ما زعم المصنّف، فإنّ عمر بن علي وإن كان من رجال الصّحيح، فإنّه شديد التّدليس، ولم يكونوا يحتجون بأفراده. قال أبو حاتم:محلّه الصدق، ولو لا تدليسه لحكمنا له إذا جاء بزيادة، غير أنّا نخاف أن يكون عن غير ثقة.[1]

فقد حكم عليه أبو حاتم أنّه لا يُقبل زيادته إذا حدَّث بها عن ثقة، فكيف إذا حدّث بها عن الحجّاج بن أرطاة، والله أعلم.

وأمّا انفراد عمر بن علي بروايته عن الحجّاج فقد تقدّم أنّ أخاه أبا بكر تابعه، فلا يُعَلُّ الحديث بانفراده به. فالخلاصة ممّا سبق نتبيّن أنّ إسناد هذا الحديث ضعيف، كما قال ابن العربي.

خـــاتمة.

إن مكانة الإمام الترمذي عند أهل الحديث، وما اتّصفت به أحكامه في سننه من دقة وإتقان، حتى أنها محط عناية النقاد وتقديرهم، لم يمنع الحافظ ابن العربي في انتقاد بعضها والاعتراض عليه، كيف لا وهو من فتح عياره النقدي أيضا على أصح الكتب صحيح البخاري ومسلم، وقد تبيّنّا من خلال هذه الدراسة النتائج التالية:

ـ يمكن اعتبار هذا البحث الأثر الواضح والتطبيق الميداني لمنهج ابن العربي في التّصحيح والتّضعيف، إذ يكن رحمه الله مجرّد ناقلٍ أو مرددٍ ومتبع، وإنّما كان يناقش وينتقد ويعترض كل ما يظهر له أنّه جدير بالاعتراض،

ـ صحّح ابن العربي العديد من الأحاديث التي حسّنها الترمذي أو ضعّفها، وذلك لأنّه رأى أن شروط الصّحّة تشملها.

ـ ضعف ابن العربي أيضا العربي العديد من الأحاديث التي صححها الترمذي أو حسنها ، وذلك لأنّه رأى أن شروط الصّحّة لا تشملها.

ـ رأينا من خلال المناقشة أن العديد من أحكام ابن العربي يؤيدها الواقع الحديثي للرواية، حيث بنى رحمه الله أحكامه على استقراء أحكام العديد من النقاد لاسيما ما تعلق بجرح الرواة وتعديلهم.

---

[1] -انظر العلل الصغير ،في خاتمة الجامع 758/5. والجرح والتعديل 125/6.

ـ تعرّفنا من خلال البحث على ابن العربي النّاقد والمناقش الذي ينفرد بآراءه وطروحاته شأنه شأن علماء الحديث ونقاده، فلم يكن رحمه الله مجرّد ناقلٍ أو مرددٍ ومتبع، وإنّما كان مناقشا ومنتقدا ومعترضا على كلّ ما يجده مناسبا لذلك.

ـ توصي هذه الدراسة بضرورة مواصلة البحث والدراسة للكشف عن منهج ابن العربي وآراءه في علم الحديث، وهو ما من شأنه أن يبرز دوره في هذا العلم، كما أنه يظهر مكانة المغاربة عموما في خدمة الحديث الشريف.

قائمة المصادر والمراجع.

1. إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي(ت799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تح: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية-بيروت، 1996م،ط1.
2. ابن أبي شيبة (ت235هـ): المصنف ، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد-الرياض1409هـ،ط1.
3. ابن الأثير (ت630هـ): الكامل في التاريخ، دار الكِتَاب العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 1967م.
4. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، القاهرة– 1963م.
5. ابن حبان البستي (ت354هـ): الثقات ،تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، 1975م.
6. ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ): تقريب التهذيب، تح : مُحَمَّد عوامة، ط1.
7. ابن خلكان (ت681 هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: د. إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .
8. ابن خير الأموي الإشبيلي(575هـ): الفهرسة، تح ابراهيم الأنباري، دار الكتاب-القاهرة-دار الكتاب-بيروت.
9. ابن عدي الجرجاني (ت365هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تح: يحي مختار غزاوي، دار الفكر،ط3، 1988م
10. ابن منظور جمال الدين بن مكرم المصري: لسان العرب، ط1، م 15، دار صادر، بيوت.
11. أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي(ت261هـ): معرفة الثقات،تح:عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار-المدينة المنورة، 1985م،ط.1
12. أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت385هـ): السنن،تح: عبد الله هاشم يماني، دار المعرفة-بيروت،1966م.
13. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صَحِيْح مُسْلِم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت .
14. أبو العباس أحمد بن إبراهيم القرطبي(656هـ): المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، تح: محي الدين ديب مستور وغيره، دار ابن كثير، ودار الطيب-بيروت-دمشق-1996م.

15. أبو العلى محمد بن عبد الرحيم المباركفوري(1353هـ): تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المقدمة، ضبطه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر.
16. أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري(734هـ): النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، تح أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة- الرياض-1409هـ.
17. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ): المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، تح:حسن مقبولي الأهدل، مكتبة الجيل –صنعاء،ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت1986م.
18. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ): تدريب الرَّاوِي في شرح تقريب النواوي، تح: عَبْد الوهاب عَبْد اللطيف، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط3، 1989م .
19. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ): طبقات المفسرين ، راجعه لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
20. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تح:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-دمشق-بيروت،1987م.
21. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ)، طبقات الحفاظ،دار الكتب العلمية-بيروت1403هـ،ط1.
22. أبو الفضل بن أبي بكر السيوطي: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، مصر- المكتبة التجارية الكبرى، 1969م.
23. أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ): الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض،تح ماهر زهر جرار، دار الغرب الإسلامي-بيروت،ط1 1992م.
24. أبو الفلاح بن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط دار ابن كثير دمشق-بيروت.
25. أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة،1994م.
26. أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني (ت360هـ): المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي ، مطبعة العلوم والحكم ، الموصل - العراق ، الطبعة الثانية، 1983م.
27. أبو بكر ابن العربي: القبس، تح: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،1992م.
28. أبو بكر بن العربي: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: عبد الكريم العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة.ونسخة بحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت،2006م، ط3.
29. أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، تح: محمد السليماني،دارالغرب الإسلامي-بيروت،1990م،ط2.
30. أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (ت322هـ): الضعفاء، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط1، 1984م .

31. أبو حفص عمر بن شاهين: تاريخ أسماء الثقات، دار السلفية –الكويت- ط1. 1984م. وطبعة دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر-القاهرة-ط1، 2009م.
32. أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني(ت562هـ): الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دارالجنان-بيوت، 1988م، ط1 .
33. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ): السنن الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1991 م .
34. أبو عبد الله الذهبي(ت748هـ): الكاشف، تح: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية -جدة 1992م،ط1.
35. أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ): من تكلم فيه، تح:محمد شكور أمرير المياديني، مكتبة المنار-الزرقاء، 1406هـ،ط1.
36. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(275هـ): سنن ابن ماجه ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت.
37. أبو عبيد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م،ط 2.
38. أبو عوانة: المسند، تح: أيمن عارف الدمشقي، دار المعرفة، 1989م، ط1 .
39. أبو محمد بن منذر الرازي (ت327هـ): الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي-بيروت، 1952م، ط1.
40. أبو يعلى الموصلي (ت307هـ): المسند، تح: إرشاد الحق الأثري،إدارة العلوم الأثرية-فيصل آباد- دار المأمون للتراث ، ط1، 1407هـ
41. أحمد بن الْحُسَيْن البَيْهَقِيّ (ت458هـ): السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة،1994م.
42. أحمد بن حنبل (ت241هـ): المسند، مؤسسة قرطبة-مصر.
43. أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ): الضعفاء والمتروكين، تح محمود إبراهيم زايد، دار الوعي-حلب،1369هـ،ط1.
44. أحمد بن علي بن حجر(ت852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري،تح:محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت 1379هـ
45. أحمد بن يَحْيَى الضبي (ت599هـ): بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، دار الكِتَاب العربي، القاهرة، 1967م.
46. الخطيب البغدادي (ت463هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1983م .
47. الدارمي(ت255هـ): السنن، تح:فواز أحمد زمولي وخالد العلمي،دار الكتاب العربي-بيروت1407هـ، ط1.

48. الرامهرمزي (ت360هـ): المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، تح:محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط3 ، 1404هـ.
49. الزركلي: الأعلام ، ط3 ، 1969م .
50. سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد.
51. سليمان بن داود بن الجارود(204هـ): مسند أبي داود طيالسي،تح محمد بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر،1999م.
52. سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني(ت275هـ) في الجرح والتعديل، تح:محمد علي قاسم العمري، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة،1979م،ط1.
53. شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي-(ت945هـ): طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة.
54. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، اعتنى به صلاح الدين الهواري-مكتبة المصرية، ط1، 2006م.
55. العجلي (ت261هـ): معرفة الثقات، تح: عَبْد العليم عَبْد العظيم البستوي، مكتبة الدار، ط1- المدينة المنورة 1985م.
56. عز الدين بن الأثير (ت630هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد .
57. القرطبي (ت671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد عبد العليم البردوني، مطبوعات دار الشعب-القاهرة، 1372هـ،ط2 .
58. محمد ابن إبراهيم الوزير اليماني: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م.
59. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ): العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية – بيروت .
60. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، تح: المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان
61. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة-بيروت،1413هـ،ط9.
62. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1958م.
63. محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبعة إدارة المعارف بالرباط 1340هـ.
64. محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ): السنن، تح أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

65. محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري(ت1353ه): تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية-بيروت. تح صدقى محمد جميل، دار الفكر.
66. المقري أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-1968م.
67. يوسف بن عبد الرحمن المزي(ت742ه): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح:بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت- 1980م، ط1.

الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي

دراسة ميدانية بثانوية شريف مساعدية بالمسيلة

أ.ياحي جمال – د.خلافية محمد
جامعة الجزائر 02

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي، وكذا الكشف عن العلاقة بين التحصيل الدراسي والذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة طرح الباحث التساؤلات التالية :

1- ما مستوى الذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟

2- هل توجد علاقة ارتباطيه بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟

3- هل توجد فروق درجات تلاميذ السنة الثانية ثانوي في الذكاء الانفعالي بين تلاميذ مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي؟

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب لها، وقد أجريت الدراسة على عينة تعدادها 120 تلميذ وتلميذة من مجموع تلاميذ السنة الثانية ثانوي المتواجدين في ثانوية شريف مساعدية (380 تلميذ) بالمسيلة الجزائر للعام الدراسي 2017/2016، تم اختيارها بطريقة عشوائية منتظمة.

ولجمع البيانات طبق الباحث مقياس الذكاء الانفعالي لعبده عبد الهادي وعثمان فاروق 2002 بعد تكييفه على البيئة الجزائرية وحساب خصائصه السيكومترية، كما اعتمد على معدل ما حصل عليه التلاميذ في امتحانات الفصلية من خلال المقررات الدراسية المختلفة التي درسوها خلال السنة الدراسية 2016/ 2017.

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- مستوى الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة مرتفع.
- عدم وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين كل من الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى أفراد عينة الدراسة.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة(0.01)، بين مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي في الدرجة الكلية للذكاء الانفعالي وكانت الفروق لصالح مرتفعي التحصيل الدراسي.

الكلمات المفتاحية : الذكاء الانفعالي - التحصيل الدراسي - التعليم الثانوي

Abstract :

The present study aimed to identify the level of emotional intelligence in the second year secondary school students, as well as to reveal the relationship between educational achievement and emotional intelligence among students in the second year secondary school.

In order to achieve the objectives of the study, the researcher asked the following questions:

1 - What is the level of emotional intelligence in the second year secondary students?

2 - Is there a relationship between emotional intelligence and academic achievement for students of the second year secondary?

3 - Are there differences between the grades of second year secondary students in emotional intelligence between students of high achievement and low achievement?

The study was based on a descriptive analytical method as the appropriate method. The study was conducted on a sample of 120 students of the second year secondary students (380 students) who are present in Cherif Messaadia Secondary School in Msila, Algeria for the academic year 2016/2017, the sample was randomized.

In order to collect the data, the researcher applied the emotional intelligence scale of Abd al-Hadi and Othman Farouk (2002) after adapting it to the Algerian environment and calculating its psychometric characteristics. It also relied on the average of the students in the term exams through the various courses they studied during the academic year 2016/2017

The study found the following results:

- The level of emotional intelligence in the study sample is very high.
- There is no correlation between emotional intelligence and academic achievement in the study sample.
- There were statistically significant differences at the level of (0.01) between high and low scholastic achievement in the total score of emotional intelligence and the differences were in favor of high achievement levels.

Keywords: Emotional Intelligence - Achievement - Secondary Education.

مقدمة:

يحتل مفهوم الذكاء مكانة مرموقة في ميدان علم النفس وعلوم التربية ولا يزال حتى الآن، فمنذ التعرف على معامل الذكاء أثناء الحرب العالمية الأولى والعلماء يعتبرونه العامل الأول للنجاح والتفوق، ومنبئا دالا على إدراك العلاقات والمتعلقات، ولقد احتار الباحثون في الكثير من الدراسات أن الأذكياء يتعثرون في حياتهم العملية ويعانون من القلق والاكتئاب، في حين هناك آخرون أقل ذكاء يتخذون مواقع هامة وناجحة، وليس ذلك إلا لتمكنهم من مهارات أخرى مثل الدافعية الذاتية، والقدرة على تفهم الآخرين والتواصل معهم، وفهم الانفعالات والسيطرة عليها.

وفي ذلك يؤكد جاردنر في كتابه عن أنواع الذكاء، أن فهم الإنسان لنفسه وللآخرين وقدرته على استخدام وتوظيف هذا الفهم يعد أحد نماذج الذكاء، وأن الذكاء الشخصي، الذكاء في العلاقة بالآخرين، وتعد مهارات ذات قيمة في الحياة . **(سكوت، 2000، صفحة 77)**

وقد عرض فؤاد أبو حطب تصورا للذكاء على أنه دالة لنشاط الشخصية ككل، فالمعرفة والانفعال طرفان لمتصل واحد يقع بينهما الذكاء الاجتماعي، ومن ثم صنف أنواع الذكاء إلى الذكاء المعرفي والذكاء الاجتماعي والذكاء الانفعالي. **(أبوالحطب، 1996، صفحة 389)**

ولقد ربط كل من ماير وسالوفى بين الانفعال والعقل، وأوضحا أن كثيرا من المشاكل العقلية تحتوى على معلومات انفعالية يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وقدما مفهوما جديدا يعبر عن الانفعال وهو الذكاء الانفعالي كنوع من الذكاء الاجتماعي والذي يشمل القدرة على إدارة انفعالات الفرد لذاته وللآخرين . **(Mayer J. S., 1999, p. 433)**

ويعد الذكاء الانفعالي من العوامل التي تساعد الفرد على التوافق في حياته، فقد أشار سالوفي وماير 1999 أن الذكاء الانفعالي من العوامل المساهمة في توافق الفرد مع بيئته حيث يمنحه القدرة على فهم نفسه وفهم الآخرين، ولا يقتصر نجاح الفرد في حياته على الذكاء المعرفي فقط، بل أصبح يتوقف على تمتعه بمجموعه من السمات والمهارات الذاتية التي تمكنه من الاستجابة الملائمة لمشاعره ومشاعر الآخرين والتوظيف الفعال للمعلومات الوجدانية . **(بدوي، 2011، صفحة 453)**

كما أشار الياسي 2004 أن التلاميذ ذو الذكاء الانفعالي يستطيعون إدارة انفعالاتهم وعواطفهم بشكل جيد, وتحديد عواطف وانفعالات الآخرين تجاههم وكيفية الاستجابة لها كما أن لديهم علاقات اجتماعية ناجحة ويتمتعون بصحة نفسية أفضل، ويكونون أكثر تركيزا وإنجازا في مهامهم الدراسية، أما التلاميذ ذو الذكاء الانفعالي المنخفض فهم متمركزون حول ذواتهم، ولا يستطيعون تكوين علاقات اجتماعية ناجحة، كما أنهم غير قادرين على تنظيم عواطفهم وانفعالاتهم، ولديهم شعور بالقلق والإحباط نتيجة لعدم قدرتهم على التعامل مع الصراعات والمشكلات التي قد تنشأ بينهم وبين الآخرين مما يؤدي إلى ظهور مشاعر الغضب والعدوانية. **(بدوي، 2011، صفحة 454)**

فالوجدان الذي يمثل الانفعال سواء أكان سلبي أو إيجابي ضروري للحياة اليومية، فهو يشبع حاجتنا اليومية، ويقود الإنسان ويتحكم بقراراته، فمن المهم جدا توفر الذكاء الوجداني عند الفرد، فهذا النوع من الذكاء هو الذي يفسر تفوق الفرد في كثير من النشاطات ومنها التحصيل الدراسي ونسعى في دراستنا الحالية، إلى الكشف عن وجود أو عدم وجود العلاقة الارتباطية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة ثانية ثانوي من خلال خطة تبدأ بمقدمة، وهي عبارة عن نظرة ممهدة لدراستنا، وقمنا بتقسيم الدراسة إلى جانبين هما :الجانب النظري والجانب الميداني، فالجانب النظري هو عبارة عن الإطار العام للدراسة تناولنا فيه إشكالية الدراسة، الفرضيات، أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، ضبط المصطلحات الإجرائية للدراسة، الدراسات السابقة. **(خوالدة، 2004، صفحة 27)**

أما الجانب الميداني، فيحتوي على منهج الدراسة، حدود الدراسة، عينة الدراسة، أدوات جمع البيانات أساليب تحليل البيانات ثم عرض وتحليل النتائج و مناقشتها، ثم مناقشة عامة، لنلخص بعد ذلك إلى جملة من الاقتراحات والتوصيات، فخاتمة الدراسة.

1- إشكالية الدراسة :

يرتبط التحصيل الدراسي للتلاميذ بالعديد من العوامل المعرفية مثل الذكاء والمهارات المعرفية وعمليات التفكير والعوامل الانفعالية مثل السمات الشخصية ومتغيراتها التي تؤثر في نوعية التحصيل لدى التلاميذ بصفة عامة، ويُعد الذكاء الانفعالي أحد أهم متغيرات الشخصية التي تم تناولها بالدراسة والبحث في علاقتها بالتحصيل الدراسي لدى فئة التلاميذ والطلبة الجامعيين.

وتظهر أهمية الاهتمام بالتلميذ كثروة من خلال تطويرها بشكل مستمر، فالمتعلم بصفة عامة يمتلك قدرات خاصة القدرات العقلية فإنه ينتج ويعطي عطاء لا مثيل له، ولا يتم ذلك إلا من خلال العناية به وتوجيهه الوجهة الصحيحة، إذ أصبح الاهتمام بالمتفوقين دراسيا ضرورة تحتمها الرغبة بمستقبل مشرق باعتبارهم إحدى الركائز الأساسية لبناء المجتمع وتطوره.

ويرى جولمان 1995 أن المدرسة هي المسؤولة عن تحقيق الكفاءة الانفعالية من خلال بناء وتحسين مهارات الذكاء الانفعالي بدءا من مرحلة رياض الأطفال حتى المرحلة المدرسية العليا، وتنقسم الكفاءة الانفعالية إلى الكفاءة الشخصية والكفاءة الاجتماعية.

وأضاف جولمان أن البيئة الصفية التي لا توفر الأمن الانفعالي للتلميذ تجعله يشعر بالقلق والغضب والإحباط والتوتر في علاقاته بالآخرين، مما ينعكس على تركيزه في المواقف التعليمية فيقل تحصيله، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى شعوره بالنقص، وفقدان الثقة بقدراته، ويؤثر بالتالي في توافقه ومفهومه عن ذاته الأكاديمية. **(رندة، 2006، صفحة 71)**

إن التحصيل هو ما يحققه المتعلم من خلال دراسته و مجموع الخبرات والمعلومات التي تحصل عليها، ونجد أن مفهوم التحصيل الدراسي يتأثر بعوامل كثيرة، يمكن أن تزيد من نسبة مردوديته أوتخفضها، وقد تختلف هذه العوامل فمنها الاجتماعية و الاقتصادية، التي تتعلق ببيئة المتعلم الأسرية و محيطه الخارجي، وهناك أيضا العوامل المدرسية و التي تتعلق بالمؤسسة التعليمية، و كذا العوامل الشخصية المتعلقة بالمتعلم ذاته أو تكون جسمية أو نفسية أو اجتماعية.

و بما أن التحصيل الدراسي يعتبر أهم احد المتغيرات التي حاولت العديد من الدراسات لفحص درجة ارتباطها مع عدد كبير من العوامل، وذلك أن التحصيل الدراسي هو المخرجات النهائية لمجموعة العمليات والإجراءات التي تبدأ بصياغة مجموعة محددة من الأهداف ثم تصاغ الطرق والإجراءات التي من شأنها الوصول إلى اقرب ما يمكن من تحقيق لهذه الأهداف، فهو احد أهم المخرجات التي تقوم على أساسها المؤسسات التعليمية. **(نصار، 2006، صفحة 70)**

فالذكاء الوجداني له أهمية كبيرة في حياة الفرد إلى جانب الذكاء العقلي، حيث يعتبر من الذكاءات التي لها تأثير قوي على نجاح الفرد اجتماعيا ومهنيا وأسريا وعاطفيا ونفسيا، وهو يؤكده دانيال جولمان إذ يقول :أن مابين 10٪ -20 ٪ فقط من التباين في اختبارات النجاح المهني يمكن إيعازه لقدرات عقلية في حين يتطلب النجاح المهني قدرات أوسع من ذلك كالمهارات الاجتماعية وضبط الانفعالات وحفز الذات. **(معمرية، 2007، صفحة 397)**

و قد أكدت بعض الدراسات والتي تناولت دراسة الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي على وجود علاقة ارتباطيه بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي كدراسة فوقية محمد (2001) و دراسة إسماعيل بدر (2002)، ومن دراسات من بينت عدم وجود علاقة ارتباطيه بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي كدراسة مارثا وجورج (2001)) ودراسة نيوسام وكاتانو (2000) ودراسة سهاد المللي (2010).

ومن خلال استقراء لبعض الدراسات نستلخص مشكلة الدراسة الحالية و المتمثلة في الكشف عن العلاقة التي تربط الذكاء الانفعالي بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي بمدينة المسيلة.

تساؤلات الدراسة :

1- ما مستوى الذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟

2- هل توجد علاقة ارتباطيه بين الذكاء الانفعالي و التحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟

3- هل توجد فروق في درجات تلاميذ السنة الثانية ثانوي في الذكاء الانفعالي بين تلاميذ مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي

2- فرضيات الدراسة:

مستوى الذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي مرتفع جدا.- 1

2- توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي و التحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

3- توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي في درجة الذكاء الوجداني

3- أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة أساسا للكشف عن العلاقة بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي

- التحقق من وجود فروق ذات دالة إحصائية عند أفراد عينة الدراسة على مقياس الذكاء الانفعالي ترجع إلى ارتفاع التحصيل أو انخفاضه

التعرف على مستوى الذكاء الانفعالي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي .-

4- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يأتي:

- أهمية عينة الدراسة، التي تمثل مرحلة التعليم الثانوي، والتي تتوافق و مرحلة المراهقة، وما لهذه المرحلة من خصائص معرفية انفعالية و اجتماعية، وتميزها عن غيرها من المراحل الأخرى.
- تناولت الدراسة على جانب مهم من الجوانب النفسية للمراهقين المتمدرسين وهو متغير الذكاء الانفعالي حيث تؤكد الدراسات النفسية أهميته في رفع مستوى التحصيل الدراسي.
- تعتبر هذه الدراسة مهمة لأنها سوف تتيح المجال أمام الباحثين في علم النفس وعلوم التربية للبحث في مفهوم الذكاء الانفعالي وعلاقته بالمتغيرات الأخرى.
-تفيد الدراسة الحالية في لفت انتباه المسؤولين في مجال الإرشاد النفسي والتربوي إلى أهمية وضع البرامج الإرشادية
- تكمن أهمية هذه الدراسة في أنه جاء استجابة لتوصيات ومقترحات العديد من الدراسات السابقة وتوصيات بعض المؤتمرات العالمية التي تنادي بدراسة الجوانب الإيجابية للسلوك.

5- مفاهيم ومصطلحات الدراسة :

5-1- الذكاء الانفعالي :

يعرف سالوفي ومابر الذكاء الانفعالي بأنه: القدرة على إدراك الانفعالات بدقة، وتقويمها والتعبير عنها وكذلك القدرة على توليدها والوصول إليها عندما تسير عملية التفكير والقدرة على فهم الانفعال المعرفة العاطفية،والقدرة على تنظيم الانفعالات بما يعزز النمو العاطفي والعقلي للفرد. **(Mayer J. D., 1990, p. 189)**

ويشير جولمان **Goleman** 1995 إلى أن الذكاء الانفعالي يعني قدرة المتعلم على إدراك مشاعره الخاصة وإدراك مشاعر الآخرين من حوله، وقدرة على إدارة انفعالاته بطريقة فعالة ويظهر الذكاء الانفعالي لدى المتعلم في صورة كفايات شخصية متمثلة في ضبط النفس والحماس والمثابرة والقدرة على حفز الذات والإيثار والتعاون.

ويعرف بار-أون **(Bar-On,2006)** الذكاء الانفعالي بأنه مقطعا عرضيا مترابطا من الكفاءات الاجتماعية والوجدانية والمهارات والميسرات التي تحدد كيف نفهم ونعبر عن أنفسنا وكيف نفهم الآخرين ,ونتواصل معهم وكيف نتحمل ضغوط الحياة اليومية . (موسى رشاد، 2012، صفحة 18)

وبناء على ما سبق يرى الباحث بأن الذكاء الانفعالي يمكن تعريفه على النحو الآتي: مجموعة من القدرات والمهارات التي تشتمل على إدراك الفرد ووعيه بمشاعره وانفعالاته وعواطفه، وفهمه لها والاستفادة منها في دفع نفسه نحو تحقيق ذاته وأهدافه وحل مشكلاته الوجدانية، وفهم مشاعر وعواطف وانفعالات الآخرين وتوظيفها في التواصل الجيد معهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم الاجتماعية.

التعريف الإجرائي:

ويعرف الباحث الذكاء الانفعالي إجرائيا: هو ما تعبر عنه الدرجة الكلية التي سيحصل عليها تلميذ السنة الثانية ثانوي في مقياس الذكاء الوجداني لفاروق عثمان ومحمد عبد السميع (1998) المستخدم في هذه الدراسة وأبعادها الفرعية والمكيف وفق البيئة الجزائرية .

وقد استخدم الباحث ثلاث مصطلحات للتعبيرعن الذكاء الانفعالي وهي :الذكاء العاطفي، الذكاء الوجداني، الذكاء الانفعالي.

2-5- مفهوم التحصيل الدراسى: Academic Achievement:

يعرف روبر لافون (R.LAFON) التحصيل الدراسي بأنه: المعرفة التي يحصل عليها الطفل من خلال برنامج مدرسي قصد تكييفه مع الوسط والعمل المدرسي. **(سعد الله، 1991، صفحة 46)**

و يعرف بول باروت بقوله:التحصيل الدراسي هو العلاقة الموجودة بين محتوى المعلومات المكتسبة وبين الوقت اللازم لاكتسابها من طرف التلميذ.

كمايعرف التحصيل الدراسى بأنه درجة الاكتساب التى يحققها الفرد، أو مستوى النجاح الذى يحرزه أو يصل إليه فى مادة دراسية أو مجال تعليمى. **(علام م.، 2000، صفحة 305)**

أما إبراهيم عبد المحسن الكناني فيرى بأن التحصيل الدراسي: هو كل أداء يقوم به الطالب في الموضوعات المدرسية المختلفة والذي يمكن إخضاعه للقياس عن طريق درجات اختبار أو تقديرات المدرسين أو كليهما **(سعد الله، 1991، صفحة 47)**

في حين نجد جابلين:(Jablin) يعرفه على أنه: هو مستوى محدد من الأداء أو الكفاءة في العمل المدرسي كما يقيم من طرف المعلمين أو عن طريق الاختبارات المقننة أو كليهما معا .

(اسماعيلي، 2011، صفحة 16)

وبعرف التحصيل الدراسي كذلك: بأنه مجموعة المعارف والمعلومات التي يحصلها التلميذ ويكتسبها عند مستويات التذكر، الفهم، التطبيق ويقاس بالدرجة النهائية التي يحصل عليها في اختيار التحصيل الدراسي عند مستويات (التذكر، الفهم، التطبيق). **(ثناء مليجي، 2011، صفحة 182)**

ويعرّفه قاموس القياس للعلوم التربوية التحصيل الدراسي بأنه: تحديد التقدم الذي يحرزه الطالب من المعلومات أو المهارات ومدى تمكنه منها . **(السلخي، 2013، صفحة 25)**

نستنتج من هذه التعريفات أن التحصيل الدراسي يتمثل في مقدار ما حصل عليه المتعلم من معارف ومهارات في المواد الدراسية بتقدير نشاط التلميذ وجهده من خلال الامتحانات أو تقديرات الأساتذة.

التعريف الإجرائي :هو المجموع العام لنقاط التلميذ في جميع المواد الدراسية التي يحصل عليها في اختبارات الفصلية معدة من قبل الأستاذ سواء كانت هذه الاختبارات شفوية أو تحريرية أو كليهما معا.

6- الدراسات السابقة: اختار مجموعة من الدراسات ذات العلاقة، فمنها ماهو محلي ومنها ماهو عربي وأخرى من بيئة غير عربية ولقد صنف الباحث هذه الدراسات إلى صنفين دراسات عربية، ودراسات أجنبية ويقصد بها الباحث الدراسات التي أجريت في الدول الغير عربية هذا من حيث البيئة .

6-1- الدراسات العربية :

6-1-1- دراسة فوقية محمد (2001): بعنوان الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والقدرة على التفكير الابتكاري. هدفت الدراسة إلى تحديد الفروق بين الذكور والإناث في عوامل الذكاء الانفعالي(ضبط الانفعالات– التعاطف- إدارة العلاقات– الدافعية الذاتية– والدرجة الكلية) وكذلك التعرف على الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الذكاء الانفعالي في التحصيل الدراسي وقدرات التفكير الابتكاري(الطلاقة الفكرية المرونة التلقائية– الأصالة- الدرجة الكلية)، وتحديد طبيعة العلاقة بين الذكاء الانفعالي(الأبعاد والدرجة الكلية) والتحصيل الدراسي والتعرف على طبيعة العلاقة بين الذكاء (الأبعاد والدرجة الكلية) والقدرة على التفكير الابتكاري حيث تكونت عينة الدراسة من(298) طالبا بالفرقة الرابعة شعبة لغة إنجليزية بجامعة المنصورة بمتوسط عمري قدره (20.1سنة) للعام الدراسي 2000/ 2001 واستخدم في الدراسة الأدوات التالية: اختبار الذكاء الانفعالي إعداد الباحثة، واختبار القدرة على التفكير الابتكاري إعداد(سيد خير الله) وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.05 بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث في أبعاد الذكاء الانفعالي (التعاطف-إدارة العلاقات-الدافعية الذاتية– والدرجة الكلية) وذلك لصالح الإناث، بينما تبين عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث في ضبط الانفعالات.

- وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.05 بين متوسط درجات الطلاب مرتفعي الذكاء الانفعالي ومتوسط درجات الطلاب منخفضي الذكاء الانفعالي في التحصيل الدراسي لصالح مرتفعي الذكاء الانفعالي.

- وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.05 بين متوسط درجات الطلاب مرتفعي الذكاء الانفعالي ومتوسط درجات الطلاب منخفضي الذكاء الانفعالي في قدرات التفكير الابتكاري (الطلاقة الفكرية– المرونة التلقائية– الأصالة-الدرجة الكلية) لصالح مرتفعي الذكاء الانفعالي.

- وجود معاملات ارتباط موجبة دالة إحصائيا عند مستوى 0.01 بين أبعاد الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي، وبين أبعاد الذكاء الانفعالي ودرجاتهم في قدرات التفكير الابتكاري. **(محمد فوقية، 2001)**

6-1-2- دراسة إسماعيل بدر (2002):بعنوان برنامج إرشادي لتحسين مستوى الذكاء الانفعالي لدى الطلاب الموهوبين منخفضي التحصيل الدراسي. استهدفت الدراسة تقديم برنامج إرشادي لتحسين مستوى الذكاء الوجداني لدى الطلاب الموهوبين منخفضي التحصيل الدراسي للتغلب على مشكلة انخفاض التحصيل الدراسي، كما حاولت الدراسة الكشف عن العوامل التي تكمن وراء انخفاض التحصيل الدراسي لدى هؤلاء الطلاب، اعتمدت هذه الدراسة على الأدوات الآتية : اختبار الذكاء الوجداني لبار-أون، وقائمة زملة

الأعراض الانفعالية والسلوكية للطلاب الموهوبين، واختبار القدرة على التفكير الابتكاري،البرنامج الإرشادي، ومما يجدر ذكره أن البرنامج الإرشادي تكون من تسع جلسات تم تطبيقه بواقع جلسة واحدة أسبوعيا، وقد تضمنت الجلسات تكونت عينة هذه الدراسة من مجموعة تجريبية قوامها 10 طلاب وطالبات بكلية التربية ببنها ممن صنفوا على أنهم موهوبون منخفضو التحصيل الدراسي، استخدم في هذه الدراسة المنهج التجريبي، توصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات التطبيق القبلي ومتوسط درجات التطبيق البعدي للمجموعة التجريبية على أبعاد الذكاء الوجداني وذلك لصالح التطبيق البعدي، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب في التطبيق القبلي ومتوسط درجات الطلاب في التطبيق البعدي للمجموعة التجريبية على قائمة زملة الأعراض الانفعالية والسلوكية للطلاب الموهوبين منخفضي التحصيل الدراسي وذلك لصالح التطبيق البعدي. **(بدر، 2002)**

6-1-3- دراسة محمد حسين، وجاد الله أبو المكارم(2004) :بعنوان المكونات العالمية للذكاء الانفعالي لدى عينة من المتفوقين أكاديميا وغير المتفوقين من طلاب التعليم الثانوي،هدفت الدراسة إلى التحقق من جودة مطابقة النموذج الذي قدمه بار - أون لقائمة نسبة الذكاء الوجداني على عينة من طلاب الفرقة الثالثة بالتعليم الثانوي العام، ومقارنة البناء العاملي لقائمة نسبة الذكاء الوجداني بين المتفوقين وغير المتفوقين، وبين الطلبة والطالبات، وبين طلاب القسم العلمي وطلاب القسم الأدبي، وتحديد العلاقة بين مكونات الذكاء الوجداني والتحصيل الدراسي، وتحديد الإسهام النسبي لمكونات الذكاء الوجداني في التنبؤ بالتحصيل الدراسي لعينة البحث، وقد تكونت عينة الدراسة من 416 طالبا وطالبة من أربع مدارس بالتعليم الثانوي العام، بواقع مدرستين للمتفوقين، ومدرستين لغير المتفوقين، وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم مطابقة النموذج الذي اقترحه بار - أون لمكونات الذكاء الوجداني، كما يقاس بقائمة نسبة الذكاء الوجداني مع البيانات المستمدة من عينة الدراسة من طلاب الفرقة الثالثة بالتعليم الثانوي العام، ووجود تطابق جزئي لمكونات الذكاء الوجداني كما يقاس بقائمة بار أون بين المتفوقين وغير المتفوقين، وبين الذكور والإناث وبين القسمين العلمي و الأدبي، كما توصلت الدراسة إلى وجود علاقة موجبة ذات دلالة إحصائية بين توكيد الذات كأحد أبعاد الذكاء الوجداني والتحصيل الدراسي، بينما لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التحصيل الدراسي وكل من الوعي بالذات الانفعالية، التعاطف، والتفاؤل. **(جادالله، 2004)**

6-1-4- دراسة موسى فاروق عبد الفتاح (2005) بعنوان: الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من التحصيل الدراسي والذكاء العام لدى طلاب الجامعة.

وآخرين، ومعرفة العلاقة بين الذكاء الوجداني (Schutte) هدفت إلى تعريب وتقنين مقياس اسكوت وكل من التحصيل الدراسي، والذكاء العام. تكونت عينة الدراسة من (394) طالبا وطالبة من تخصصات مختلفة في كلية التربية بجامعة الزقازيق، واستخدم فيها مقياس الذكاء الوجداني من تعريب وتقنين الباحث، واختبار القدرة العقلية للباحث، وكشف درجات التحصيل الدراسي للطلاب. وفيما يلي أبرز نتائج الدراسة:

لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات في الذكاء الوجداني.-

توجد فروق في الذكاء الوجداني تبعا لمتغير للعمر -
لا توجد علاقة ارتباطية بين الذكاء الوجداني والتحصيل الدراسي. -
لا توجد علاقة ارتباطية بين الذكاء الوجداني والذكاء العام. **(فاروق، 2005)**

6-1-5- دراسة غادة الجندي(2006): بعنوان الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والقدرة على التفكير الابتكاري لدى طلاب الجامعة، هدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق في الذكاء الانفعالي بين الطلبة الموهوبين والعاديين وعلاقته بالتحصيل الأكاديمي على عينة (420) طالبا وطالبة تراوحت- أعمارهم بين(15-17) سنة حيث طبقت مقياس بار- أون للذكاء الانفعالي وكشفت النتائج عن:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(0,05) بين متوسطات استجابات الطلبة الموهوبين ومتوسطات استجابات الطلبة العاديين على بعدي الكفاءة الشخصية وإدارة الضغوط والعلاقة الكلية لمجموع الأبعاد الأربعة الأولى وبعدي المزاج العام والانطباع الإيجابي، وذلك لصالح الطلبة الموهوبين.
- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين درجات أبعاد الذكاء الانفعالي ومعدل علامات التحصيل الدراسي لجميع أفراد عينة الطلبة الموهوبين باستثناء بعد إدارة الضغوط .
- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين درجات أبعاد الذكاء الانفعالي ومعدل علامات التحصيل الدراسي للطلبة الموهوبين الذكور باستثناء بعد إدارة الضغوط والمزاج العام.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين درجات أبعاد الذكاء الانفعالي ومعدل علامات التحصيل الدراسي للطلبة الموهوبين من الإناث. **(الجندي، 2006)**

6-1-6- دراسة إسماعيل الصاوي (2006): بعنوان مكونات الذكاء الوجداني في إطار نموذج بار- أون، وعلاقتها بالتحصيل و المستوي الدراسي لدي الطلاب المعاقين سمعا من الجنسين بالمرحلة الثانوية.

تهدف الدراسة إلى إعداد مقياسا للذكاء الوجداني للمعاقين سمعيا، يستند إلى تصوره كنموذج مختلط وفقا لنموذج بار- أون وينطلق من ضرورة وضع الثقافة الخاصة بهذه الفئة في الاعتبار بالإضافة إلى التحقق من مطابقة البناء العاملي لنموذج بار- أون للذكاء الوجداني لدى الطلاب المعاقين سمعيا بالمرحلة الثانوية المهنية، وفقا لاختلافهم في كل من :النوع والمستوى التحصيلي والصف الدراسي والكشف عن العلاقة بين الذكاء الوجداني - وفقا لهذا النموذج - والتحصيل الدراسي لدى هذه الفئة من المعاقين سمعيا، تكونت عينة الدراسة من 109 طالبا معاقا سمعيا من الجنسين بالصفين الثاني والثالث الثانوي المهني بمدرسة الأمل للصم سلطنة عمان- تراوحت أعمارهم مابين (18-22) سنة،وأشارت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها، تطابق البناء العاملي لنموذج بار- أون للذكاء الوجداني لدى الطلاب المعاقين سمعيا بالمرحلة الثانوية المهنية، وفقا لاختلافهم في كل من :النوع (ذكور- إناث)، والمستوى التحصيلي (منخفض- مرتفع) والصف الدراسي (الثاني- الثالث)، غير أن النتائج أشارت إلى عدم وجود ارتباطات دالة إحصائيا بين الدرجة الكلية للذكاء الوجداني ودرجات التحصيل الدراسي،وتم مناقشة النتائج في ضوء الإطار النظري، وخصائص

العينة، والدراسات السابقة،واختلاف محتوى وشروط تطبيق كل من أدوات قياس المتغيرين (الذكاء الوجداني / التحصيل الدراسي). **(الصاوي، 2006)**

6-1-7- دراسة محمد الأحمدي(2007):بعنوان الذكاء الوجداني وعلاقته بالذكاء المعرفي والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذكاء العاطفي وكل من (الذكاء المعرفي، والتحصيل الدراسي) لدى عينة من طلاب جامعة طيبة وطالباتها بالمدينة المنورة, وأشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود علاقة دالة إحصائيا بين الذكاء العاطفي والذكاء المعرفي، في حين أظهرت النتائج وجود علاقة موجبة ودالة إحصائيا بين التحصيل الدراسي والذكاء العاطفي بمكوناته ودرجته الكلية، ما عدا مكوني (إدارة الانفعالات الشخصية، والتعاطف). **(الأحمدي، 2007)**

6-1-8- دراسة سهاد المللي (2010): بعنوان الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة من المتفوقين والعاديين. هدفت الدراسة إلى كشف عن العلاقة بين التحصيل الدراسي و الذكاء الانفعالي للطلبة الموهوبين و الطلبة العاديين لدى كل من الذكور و الإناث. تكونت عينة الدراسة من (246) طالبا، منهم (85) طالبا وطالبة من المتفوقين (59) ذكور و26 إناث من الصف الأول الثانوي في مدارس المتفوقين في مدينة دمشق، (161) طالبا وطالبة منهم(101 ذكور و 60 إناث) من الطلبة العاديين اختيروا بالطريقة العشوائية من الصف الأول الثانوي في مدارس دمشق. استخدمت الباحثة مقياس بار– أون. وكانت النتائج توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى الطلبة العاديين.
- توجد علاقة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة0.5 بين بعد التكيف و التحصيل الدراسي عند الطلبة.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى الطلبة الذكور العاديين.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى الطالبات الإناث العاديات.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى الطالبات الإناث. المتفوقات. **(المللي، 2010)**

6-1-9- دراسة المومني(2010):بعنوان الذكاء الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية في ضوء بعض المتغيرات هدفت إلى التعرف إلى مستوى الذكاء الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية في الأردن ومعرفة أثر التحصيل الأكاديمي ونوع التعليم (علمي/ أدبي) والنوع في الذكاء الانفعالي، تكونت عينة الدراسة من (405) من الطلبة، منهم (176) طالبا و (229) طالبة من طلاب الثانوية في محافظة إربد، استخدمت الباحثة كل من مقياس الذكاء الوجداني إعداد صفاء الأعسر، كما أنه اعتمد في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي . توصلت نتائج الدراسة إلى عد وجود فروق ذات دلالة بين أفراد عينة الدراسة على مقياس الذكاء الانفعالي تعزى للتحصيل الأكاديمي ونوع التعليم، والنوع، كما توصلت النتائج إلى وجود فروق لصالح الإناث في بعد

التعاطف، ووجود فروق لصالح الطلبة ذوي التحصيل المرتفع والمتوسط مقارنة بذوي التحصيل المنخفض على بعد تنظيم الانفعالات. **(المومني، 2010)**

6-2- الدراسات الأجنبية :

6-2-1- دراسة مايير وآخرون (1990بالتحصيل الدراسي .Mayer , et al): بعنوان الذكاء الانفعالي علاقته للطلاب.

استهدفت تعريف الذكاء الانفعالي وفحص مكوناته، ودراسة قدرة الطلاب على التعرف على المستوى الانفعالي للمثيرات البصرية، والكشف عن علاقة الذكاء الانفعالي بالتحصيل الدراسي للطلاب. وتم ذلك بتطبيق مقياس الذكاء الانفعالي على عينة مكونة من (139) طالبا جامعيا، طلب منهم تقدير حالتهم الانفعالية بعد مشاهدتهم لفيلم سار وآخر غير سار. وأسفرت الدراسة عن أن الطلاب مرتفعي الذكاء الانفعالي كانوا أكثر دقة في تقدير حالتهم الانفعالية كما كان تحصيلهم الدراسي مرتفعا عن ذوي الذكاء الانفعالي المنخفض . **(Mayer J. D., 1990)**

6-2-2- دراسة نيوسام وكاتانو (Newsame ,S;Day.AL.& Catan , V.M, - 2000)

الولايات المتحدة الأمريكية. بعنوان قياس القدرة التنبؤية للذكاء الانفعالي.

وهدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الذكاء الانفعالي وكل من القدرة المعرفية والتحصيل الدراسي.

وتكونت عينة الدراسة من (62) طالبا، و(118) طالبة من الدراسة الجامعية طبقت:

أ- قائمة الذكاء الانفعالي إعداد بار-أون.

ب- اختبار القدرة المعرفية إعداد وندرليك (Wonderlik).

وأشارت النتائج إلى أنه توجد معاملات ارتباط ضعيفة بين الذكاء الانفعالي وكل من القدرة المعرفية مقداره (0,08)، والتحصيل الدراسي مقداره(0,01). وهما غير دالين إحصائيا، مما يؤكد عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي وكل من القدرة المعرفية والتحصيل الدراسي.

(Newsame, 2000)

6-2-3- دراسة مارثا وجورج (Martha and George, 2001) بعنوان أثر الجنس والتحصيل:

الدراسي والعرق في الذكاء الوجداني وللكشف عن أثر الجنس والتحصيل الدراسي والعرق في الذكاء الوجداني بدراسة طبقت على عينة من (319) طالبا(Martha and George, 2001) وجورج قام كل من مارثا وطالبة، بالمدارس المتوسطة بمدينة المكسيك، وكشفت النتائج على مايلي:

- دلت البيانات الإحصائية على وجود أثر ضعيف لمتغيري الجنس والتحصيل الدراسي في أبعاد الذكاء الانفعالي (تدبر العلاقات والانخراط بها، ضبط النفس،التعاطف وإدارة المشاعر).

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كل من تدبير العلاقات والانخراط بها والتحصيل الدراسي، وذلك لصالح الذكور.

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كل من ضبط النفس والتحصيل الدراسي لصالح الإناث. **(Newsame, 2000)**

ثانيا الجانب الميداني:

1- منهج الدراسة :

إن تحديد المنهج المتبع في أي دراسة يأتي في مقدمة الإجراءات المنهجية، لأن كل خطوة منها مرتبطة بتحديد المنهج، من خلال هذه الدراسة التي تهدف إلى كشف العلاقة بين الذكاء الوجداني والتحصيل الدراسي ووفقا لطبيعة الموضوع والمشكلة التي بصدد دراستها فان الباحث استخدم في الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه أنسب المناهج الملائمة لأهداف الدراسة، ويعد المنهج الوصفي من أساليب البحث العلمي،ويعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع الزمني للدراسة , ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، والتعرّف على العلاقات المتداخلة في نطاقها .

2-حدود البحث:

تتمثل حدود البحث الحالي بالآتي:

* **الحدود البشرية** :تلاميذ السنة الثانية ثانوي والذين مضى على التحاقهم بالدراسة سنة دراسية كاملة (ثلاثة فصول دراسية) بثانوية شريف مساعدية بالمسيلة.

***الحدود المكانية** :ثانوية شريف مساعدية ببلدية المسيلة ولاية المسيلة –الجزائر.

***الحدود الزمانية** : الفصل الثالث للعام الدراسي:2017/2016.

***الحدود الموضوعية** :العلاقة بين الذكاء الانفعالي و التحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

3- مجتمع الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من جميع تلاميذ السنة الثانية ثانوي المتواجدين في ثانوية شريف مساعدية بالمسيلة (الجزائر)، تعدادهم يقدر380 تلميذ، ويخضعون لشروط وقوانين وزارة التربية الوطنية.

4- عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 120 تلميذ وتلميذة من مجموع تلاميذ السنة الثانية ثانوي المتواجدين في ثانوية شريف مساعدية للعام الدراسي 2017/2016.

وقد اعتمد الباحث العينة العشوائية المنتظمة لاختيار أفراد عينة الدراسة والتي تشمل كل التخصصات (العلمية والأدبية).

1-4- خصائص عينة الدراسة الأساسية :الجدول رقم (1) يبين خصائص العينة التي سيطبق عليها مقياس الذكاء الانفعالي

العينة	العدد	النسبة المئوية
مرتفعو التحصيل الدراسي	80	%58.34
منخفضو التحصيل الدراسي	60	%41.66
المجموع	120	%100

5- أدوات جمع البيانات :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على:

- مقياس الذكاء الانفعالي لعبده عبد الهادي وعثمان فاروق (2002).
- كشوف النقاط للحصول على معدلات التلاميذ.

6- الدراسة الاستطلاعية:

- الغرض من الدراسة الاستطلاعية: حيث هدفت الدراسة الاستطلاعية إلى:
- استكشاف ميدان الدراسة الأساسية بصورة عامة.
- التعرف على مدى ملائمة أداة الدراسة على العينة المختارة (تلاميذ الثانية ثانوي).
- التعرف على مدى فهم عينة الدراسة لعبارات مقياس الذكاء الانفعالي.

إن القيام بدراسة استطلاعية على عدد محدود من الأفراد، حيث تحقق الدراسة الاستطلاعية الأهداف التالية:

1- التأكد من جدوى الدراسة التي يرغب الباحث في القيام بها.

2- توفر الفرصة للباحث لتقويم مدى مناسبة البيانات التي يحصل عليها للدراسة، كما يتأكد من صلاحية الأدوات التي يستخدمها لهذه الدراسة

3- تساعد الدراسة الاستطلاعية الباحث على اختبار أولي للفروض.

4- تمكن الدراسة الاستطلاعية الباحث من إظهار مدى كفاية إجراءات البحث والمقاييس الذي اختير لقياس المتغيرات . (علام ر.، 2012، صفحة 79)

وقد قام الباحث بإجراء الدراسة الاستطلاعية خلال شهر أفريل 2017 بثانوية شريف مساعدية ببلدية المسيلة

ولاية المسيلة، على عينة قوامها (20) تلميذا وتلميذة يدرسون بالسنة الثانية ثانوي وقد شملت العينة الاستطلاعية تلاميذ منخفضي ومرتفعي التحصيل بهدف التأكد من مدى فهم التلاميذ لعبارات المقياس.

وقد استغرقت الفترة الزمنية للدراسة الاستطلاعية يومين، بهدف التحقق من صلاحية أداة الدراسة للتطبيق على أفراد العينة الأساسية من خلال حساب الصدق والثبات بالطرق الإحصائية الملائمة.

7- قياس الذكاء الانفعالي : ولقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على مقياس الذكاء الانفعالي للباحثين فاروق عثمان و محمد عبد السميع .

7-1- وصف المقياس:

قام الباحثان فاروق عثمان ومحمد عبد السميع (1998) ببناء مقياس الذكاء الانفعالي، ويعتبر المقياس الأول الذي تم تناوله في البيئة العربية لقياس الذكاء الانفعالي، ويتكون المقياس من خمسة أبعاد،الهدف منها هو قياس الذكاء الانفعالي لدى طلبة الجامعة، وهذه الأبعاد هي :(المعرفة الانفعالية، إدارة الانفعالات، تنظيم الانفعالات، التعاطف،التواصل الاجتماعي)، ويتكون المقياس في صورته النهائية من(58)عبارة موزعة على خمسة أبعاد فرعية، وقد جرى بناء الأداة بالاستعانة بالدراسات السابقة والمقاييس الأجنبية، كما جرى التحقق من صدق المقياس من خلال استخدام أسلوب التحليل العاملي والاتساق الداخلي، كذلك تم الاستعانة به في العديد من الدراسات التي أجريت في البيئة الفلسطينية، الأمر الذي يطمئن الباحثين من استخدامه في دراستهم، وبالرغم من ذلك قام الباحثان بالتحقق من صدق المقياس من خلال الأسلوب الإحصائي الاتساق الداخلي، حيث تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة مع البعد الذي تنتمي إليه، حساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد والدرجة الكلية وتوصل الباحثان إلى وجود ارتباطات دالة إحصائيا بين درجة كل بعد من أبعاد مقياس الذكاء الانفعالي والدرجة الكلية للمقياس،حيث تراوح معامل ارتباط أبعاد الذكاء الانفعالي بين (0.71-0.78) عند مستوى دلالة (0.01). ثم حسابا ثبات مقياس الذكاء الانفعالي باستخدام طريقة إعادة تطبيق مقياس الذكاء الانفعالي على نفس أفراد العينة الاستطلاعية، بعد ثلاثة أسابيع من التطبيق الأول، وتم حساب معامل الارتباط بين درجات الطلبة في التطبيقين الأول والثاني، وتوصلا إلى وجود أن الارتباطات بين درجات أبعاد مقياس الذكاء الانفعالي في التطبيقين الأول(0.98) والثاني (0.68) و جميعها دالة عند مستويات دلالة (0.01). يتكون هذا المقياس من 58 عبارة، وكل عبارة تحتوي على خمس بدائل و هي : يحدث دائما، يحدث عادة، يحدث أحيانا، يحدث نادرا، لا يحدث.

7-2- **أبعاد وعبارات مقياس الذكاء الانفعالي :**

والجدول رقم (2): يوضح موقع عبارات كل بعد من أبعاد المقياس حيث لم ترتب ترتيبا تسلسليا بل وضعت بطريقة عشوائية تجنبا للاستجابات النمطية:

الرقم	أبعاد القياس	عبارات الأبعاد الوجبة	عبارات الأبعاد السالبة	المجموع
1	**أدارة الانفعالات**	6-9-11-12-13-17-18-26-28-31-50-53.	4-16-56.	**15**
2	**التعاطف**	33-34-35-37-38-40-41-44-55-57.	لايوجد	**11**
3	**تنظيم الانفعالات**	19-20-21-22-23-24-25-27-29-30-32-58.	15	**13**
4	**المعرفة الانفعالية**	1-3-5-7-8-10-14-49-51.		**10**
5	**التواصل الاجتماعي**	36-39-42-43-45-46-47-48-52.		**09**
عدد العبارات الإجمالي				**58**

(فاروق السيد، 2002، الصفحات 256-264)

8- الخصائص السيكومترية لمقياس الذكاء الانفعالي للدراسة الحالية :

8-1- صدق عبارات المقياس بطريقة الاتساق الداخلي : وذلك عن طريق حساب معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة من مفردات المقياس، والدرجة الكلية للمقياس، ويوضح الجدول التالي نتائج هذا الإجراء :

جدول رقم (3) معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من مفردات مقياس الذكاء الانفعالي والدرجة الكلية للمقياس

رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط	رقم المفردة	معامل الارتباط
1	0.639**	2	0.612**	3	0.460**	4	0.471**	5	0.401**
6	0.460**	7	0.553**	8	0.615**	9	0.540**	10	0.519**
11	0.615**	12	0.702**	13	0.555**	14	0.481**	15	0.175 **
16	0.555**	17	0.603**	18	0.570**	19	0.701**	20	0.654 **
21	0.547**	22	0.475 **	23	0.515**	24	0.496**	25	0.657**
26	0.567**	27	0.401**	28	0.620**	29	0.567**	30	0.553**
31	0.639**	32	0.472**	33	0.693**	34	0.683**	35	0.702**
36	0.700**	37	0.476**	38	0.570**	39	0.652**	40	0.603**
41	0.665**	42	0.573**	43	0.555**	44	0.481**	45	0.571 **
46	0.406**	47	0.578**	48	0.460**	49	0.611**	50	0.521**
51	0.701**	52	0.529**	53	0.567**	54	0.632**	55	0.572**
56	0.396**	57	0.639**	58	0.639**				

** مستوى الدلالة 0.01

يتضح من الجدول رقم (3)أن معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات المقياس، والدرجة الكلية للمقياس دالة عند مستوى (0.01)، مما يدل على صدق عبارات المقياس

8-2- صدق أبعاد المقياس بطريقة الاتساق الداخلي : وذلك عن طريق حساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من أبعاد المقياس، والدرجة الكلية للمقياس، الجدول التالي يوضح نتائج ذلك :

جدول رقم (4) معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من أبعاد مقياس الذكاء الانفعالي، والدرجة الكلية للمقياس .

البعد	معامل الارتباط
الوعي بالذات	0.912**
تنظيم الذات	0.899**

الدافعية	0.927**
التعاطف	0.932**
المهارات الاجتماعية	0.920**

**** مستوى الدلالة 0.01**

يتضح من الجدول رقم (4)أن معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من أبعاد المقياس، والدرجة الكلية للمقياس دالة عند مستوى 0.01، مما يدل على صدق أبعاد المقياس.

8-2- صدق المقارنة الطرفية : كما تم حساب صدق هذا المقياس كذلك باستخدام طريقة المقارنة الطرفية وذلك بترتيب الدرجات تنازليا ثم أخذ نسبة 27% من طرفي المقياس الأعلى والأدنى، أي ما يقابلها 11 درجة عليا و11 درجة دنيا وكان عدد أفراد العينة 20 فرد ثم المقارنة بينهما باستخدام اختبار الدلالة الإحصائية (T_{test}) . وبالنظر إلى قيمة اختبار الدلالة (T_{test}) كما هو موضح يتضح بأن هذا المقياس صادق حيث بلغت قيمته (8.28) وهي دالة عند درجة الحرية (19) ومستوى الخطأ أو الدلالة (α= 0.01).

8-3- الثبات: اعتمد الباحث في حساب ثبات المقياس على مجموعة من الطرق هي: طريقة ألفا كرونباخ وطريقة التجزئة النصفية.حيث تم حساب ثبات هذا المقياس عن طريق التناسق الداخلي باستخدام معادلة ألفا كرونباخ القائمة على أساس حساب معدل الارتباطات بين عبارات المقياس ككل حيث بلغ **0.82** وهي قيمة مرتفعة ومنه نستطيع القول بأن هذا المقياس ثابت وتم التأكد من ثبات المقياس وفق طريقة التجزئة النصفية، على عينة. تقوم هذه الطريقة على تطبيق الاختبار على عينة قوامها (20) من تلاميذ السنة الثانية ثانوي ثم تقسيم بنوده أو شطرها إلى نصفين متعادلين ؛ ثم حساب معامل الارتباط بين الدرجات التي حصل عليها المفحوصين على بنود النصف الأول ودرجاتهم على بنود النصف الثاني وقد بينت النتائج وجود معامل ثبات مقبول وفق هذه الطريقة يتراوح بالنسبة لجميع مكونات المقياس بين (0.84) .وهذا ما يوضحه الجدول أدناه:

الجدول رقم (5) يبين معامل ألفا كرونباخ و معامل التجزئة النصفية لحساب معامل الثبات:

معامل ألفا كرونباخ	معامل التجزئة النصفية (سبيرمان براون)	عدد االعبارات
0.826	**0.849**	**58**

نلاحظ من خلال نتائج الجدول (5) المحصل عليها أن معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ قد بلغ (0.82) وبطريقة التجزئة النصفية بلغ (0.84) وهذا ما يدل على ثبات المقياس كون القيمتين تقتربان من الواحد، وبالتالي فإن ثبات المقياس مرتفع.

9- التحصيل ا الدراسي:

اعتمد الباحث على معدل ما حصل عليه التلاميذ في امتحانات الفصلية من خلال المواد الدراسية المختلفة التي درسوها خلال السنة الدراسية 2017/2016. وقد وضع الباحث معيار لمرتفعي التحصيل الدراسي وهو كل من تحصل على 10 من 20 فما فوق فهو مرتفع التحصيل الدراسي، و كل من تحصل على أقل من10 من20 فهو منخفض التحصيل الدراسي.

6- أساليب المعالجة الإحصائية :لقد اعتمد الباحث في دراسته هذه التعامل مع البيانات المتحصل عليها، على أسلوب إحصائي بسيط يتمثل في تبويبها في جداول إحصائية سهلة القراءة والفهم من حيث الشكل وأيضا المحتوى واشتملت على:

- التكرارات : حيث يتم حساب تكرارات إجابات التلاميذ على كل عبارة.
- النسب المئوية :لإعطاء دلالة للتكرارات تمت ترجمتها إلى نسب مئوية .
-المتوسط الحسابي :يعد احد مقاييس النزعة المركزية حيث يعبر عن قيم المجوعة التي يشملها بقيمة واحدة.
- معامل الارتباط بيرسون: استخدم معامل الارتباط بيرسون لحساب صدق الأداة بطريقة الاتساق الداخلي
- اختبار(Ttest) لحساب صدق المقارنة الطرفية.
- معامل ألفا كرونباخ لحساب الثبات .

10- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

10-1- عرض ومناقشة الفرضية الأولى:

والتي تنص على مستوى الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة مرتفع.

تم حساب مستوى الذكاء الانفعالي ل120 تلميذ السنة الثانية ثانوي موزعين على التخصصين (علمي /أدبي) بثانوية شريف مساعدية بالمسيلة، وذلك باستخدام اختبار (T) لحساب الفروق بين مستوى التلاميذ والمتوسط النظري لمقياس الذكاء الانفعالي تم تحديد المتوسط النظري للمقياس من خلال المعادلة التالية:(3×58) =174

حيث تمثل3 متوسط درجات المقياس الخماسي و 58 عدد فقرات المقياس وبالتالي فإن المتوسط النظري للمقياس يساوي 174وهذا ما تبينه النتائج المدونة في الجدول أدناه:

الجدول رقم (6) يوضح متوسط النظري لمقياس الذكاء الانفعالي لعينة الدراسة :

مقياس الذكاء الانفعالي	عدد الأفراد	الوسط الحسابي المحسوب	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي الفرضي	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدلالة المعنوية	مستوى الدلالة
	120	198.69	14.84	174	18.95	119	0.000	0.05

يتبين من خلال الجدول(6) أن قيمة المتوسط الحسابي للعينة قد بلغ 198.69 في حين بلغ المتوسط الفرضي 174وقيمة اختبار (ت) تساوي18.95 وقيمة الدلالة المعنوية (Sig) تساوي (0.000) وهي أقل عند مستوى الدلالة (0.05) وهي دالة إحصائيا.

ومنه توجد فروق بين مستوى الذكاء الانفعالي للتلاميذ ومستوى الفرضي للمقياس وذلك لصالح مستوى الذكاء الانفعالي للتلاميذ لأنه أكبر من المتوسط الحسابي الفرضي وهذا ما يؤكد أن مستوى الذكاء الانفعالي للتلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية شريف مساعدية بالمسيلة مرتفع جدا.

مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

من خلال نتائج التحليل الإحصائي للفرضية الأولى يتضح أن تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية شريف مساعديه بالمسيلة يتمتعون بذكاء الانفعالي مرتفع جدا يتمثل في قدرتهم على إدارة انفعالاتهم والتحكم بها وقدرتهم على فهم مشاعر الآخرين، وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة إبراهيم باسل أبوعمشة (2013)التي توصلت إلى أن الوزن النسبي للذكاء الانفعالي هو 73.8 %.

10-2- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

التي تنص أنه توجد علاقة ارتباطية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي .

وللتحقق من هذه الفرضية فقد تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين أبعاد مقياس الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي. كما هو مبين في الجدول التالي:

الجدول (7) يبين العلاقة الارتباطية بين الذكاء الوجداني والتحصيل الدراسي لعينة الدراسة:

		المعرفة الانفعالية	إدارة الانفعالات	تنظيم الانفعالات	التعاطف	التواصل الاجتماعي	المجموع
التحصيل الدراسي	معامل ارتباط بيرسون	-0.035	0.038	0.117	0.072	0.153	0.092
	مستوى الدلالة	0.223	0.076	0.071	0.85	0.326	0.243
	العينة	120	120	120	120	120	120

يلاحظ من الجدول السابق رقم (7) أن قيمة معامل الارتباط بيرسون ليست ذات دلالة إحصائية. وبالتالي فإننا نقبل بالفرضية الصفرية أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مقياس للذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي.

مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تشير نتائج الفرضية الثانية إلى عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي وقد اتفقت هذه النتائج مع دراسة كل دراسة نيوسام وكاتانو (2000) حيث توصلت إلى عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي وكل من القدرة المعرفية والتحصيل الدراسي. كما اتفقت الدراسة الحالية دراسة غادة الجندي 2006 على أنه لا توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين درجات أبعاد الذكاء الانفعالي ومعدل علامات التحصيل الدراسي لجميع أفراد عينة الطلبة الموهوبين.كما جاءت دراسة سهاد المللي 2010 مدعمة للدراسة الحالية، حيث كشفت النتائج عن عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي و التحصيل الدراسي لدى الطلبة العاديين .

وقد اختلفت نتائج الدراسة الحالية عن نتائج كل من الدراسات التالية من حيث وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل والنجاح الأكاديمي عند كل من ماير وآخرين 1990 حيث أسفرت الدراسة عن أن الطلاب مرتفعي الذكاء الانفعالي كانوا أكثر دقة في تقدير حالتهم الانفعالية كما كان تحصيلهم الدراسي مرتفعا عن ذوي الذكاء الانفعالي المنخفض، وفوقية راضي 2001 التي توصلت إلى وجود علاقة ارتباطيه دالة عند مستوى (0,01) بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى أفراد العينة، بالإضافة إلى دراسة باركر 2004 التي بينت على أنه توجد علاقة ارتباطية قوية بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الأكاديمي. ويمكن تفسير نتائج الدراسة الحالية بعدم وجود علاقة بين الذكاء الانفعالي ودرجات التحصيل الدراسي بأن مهارات الذكاء الانفعالي لم تحظ بالاهتمام والممارسة عند التلاميذ مع عدم وجود محاولات لتنمية هذا النوع من الذكاء ويذكر جولمان 1998 أن ارتفاع معدل الذكاء الانفعالي لا يعني أن الفرد قد أتقن المهارات الانفعالية بل يعني أنه يمتلك القدرة الفائقة على تعلم هذه المهارات، ومثال ذلك أن يتميز الفرد بالقدرة على التواصل مع الآخرين، ولكنه لم يتعلم المهارة القائمة على التواصل، والتي تأخذ شكل المعاملة الجيدة مع الآخرين. ويؤكد جولمان 1998 أن الذكاء الانفعالي قوة كامنة تسهم بنسبة 80 % من النجاح في الحياة، بينما يسهم الذكاء الأكاديمي بنسبة 20%.

10-3-عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

التي تنص توجد فروق بين متوسطات درجات مرتفعي التحصيل الدراسي ومتوسطات درجات منخفضي التحصيل الدراسي في الذكاء الانفعالي. وللتحقق من صحة هذا الفرض طبق الباحث اختبار (ت)

الجدول (8) يبين نتائج اختبار(ت) للفروق بين متوسطات درجات الذكاء الوجداني لدى مرتفع ومنخفضي التحصيل الدراسي لعينة الدراسة:

الدرجة الكلية	مرتفعي التحصيل الدراسي	منخفضي التحصيل الدراسي	قيمة (ت)	مستوى

للذكاء الانفعالي	م	ع	م	ع		الدلالة
	196.9	10.48	142.82	27.15	21.64	0.01

يتضح من الجدول رقم (8) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة(0.01)، بين مرتفعي ومنخفضي التحصيل الدراسي في الدرجة الكلية للذكاء الانفعالي وكانت الفروق لصالح مرتفعي التحصيل الدراسي، وترجع أهمية هذه النتيجة إلى أثر مهارات الذكاء الانفعالي في تحسين التحصيل الدراسي وذلك لأن مرتفعي التحصيل الدراسي يتسمون بالقدرة على وعي انفعالاتهم وضبطها والتخلص من الانفعالات السلبية وتحفيز ذواتهم بطريقة جيدة تمكنهم من تحقيق أهدافهم الدراسية، مع قدرتهم على المشاركة الوجدانية و إدارة العلاقات الاجتماعية بفعالية تساهم في إنجاز أهدافهم الشخصية والتعليمية، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء ما توصل إليه جولمان (1998) بأن الاتجاه الذي نحتاجه للوصول إلى النجاح يبدأ بالقوة العقلية ولكن الإنسان يحتاج للكفاءة الوجدانية أيضا لكي يتمكن من الاستفادة من قدراته على الوجه الأكمل،

فالسبب فى العجز عن الاستفادة بقدراتنا العقلية والمعرفية إلى الحد الأقصى هو غياب الكفاءة الوجدانية، فالتلاميذ ذوى درجات التحصيل الدراسي المرتفعة كانوا ذوى قدرة على إدراك انفعالاتهم المختلفة والتفريق بين الانفعالات الإيجابية والسلبية، وتحفيز ذواتهم، ولديهم مهارات المشاركة الوجدانية والتواصل مع الآخرين، وهم أكثر فهما لذاتهم وللمحيطين بهم بما يتميزون به من فراسة وجدانية.

يسهم على أعلى تقدير ويذكر جولمان أن الذكاء المعرفي بنسبة 20 % فقط فى نجاح الفرد فى حياته، بينما تسهم العوامل الأخرى وأهمها الذكاء الانفعالي، بنسبة 80 %.

(Mayer J. D., 1990, p. 434)

ويرى الباحث إنّ إمكانية زيادة التحصيل الدراسي للتلاميذ تتوقف على تنمية المهارات الانفعالية والاجتماعية لديهم ويتم ذلك من خلال رفع مستوى الوعي بالذات لديهم، والتفهم العطوف، وحل المشكلات، و إدارة الانفعالات في محيط بيئة التعلم، ولا بد من الاهتمام بفهم طبيعة الذكاء الانفعالي وأهمية في إدراك النجاح وتأثيره على العاملين في البيئة المدرسية من تلاميذ ومعلمين ومديرين نظرا لوجود ثلاث منافع تتحقق من توسيع دائرة الاهتمام بالذكاء الانفعالي في المدرسة .

الاقتراحات:

بناء على النتائج التي تم التوصل إليها في الدراسة الحالية يمكن استخلاص الاقتراحات التالية:

1- الاهتمام بالذكاء الانفعالي للتلاميذ والدارسين من خلال نشر الثقافة النفسية بينهم، و ضرورة تضمين المناهج الدراسية على تدريبات وأنشطة تسهم في تنمية وترقية مهارات الذكاء الانفعالي لديهم.

2- الاهتمام بالبيئة المدرسية التي تعمل على توفير المناخ الأكاديمي الإيجابي الذي يسهم برفع كفاءة التلاميذ المعرفية والانفعالية من خلال مجموعة من الممارسات الجيدة والضرورية لعملية التعلم مثل الرحلات، التعلم التعاوني، التعلم بالنموذج، المناقشة الجماعية، وحل المشكلات .

3- زيادة الاهتمام بالتلاميذ ذوي التحصيل الدراسي المنخفض والعمل على تقديم كافة أشكال الدعم والمساندة لهم بهدف تعزيز ثقتهم بذواتهم .

4- تقديم برامج لكل المراحل يتعلم من خلالها التلاميذ المهارات الانفعالية من مرحلة الحضانة إلى مرحلة المراهقة مع مراعاة نوعية الأنشطة في كل مرحلة من هذه المراحل.

5- برامج إرشادية لإعداد المعلم الفعال بهدف شحذ الطاقات الانفعالية للتلاميذ وجعلها ذات تأثير إيجابي على الحالة العقلية لديهم .

6- الاهتمام بتنمية الذكاء الانفعالي لدى الطفل بدءا من الأسرة إلى جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية نظرا لدور الذكاء الانفعالي في حياة الأفراد المختلفة بخلاف الذكاء الأكاديمي الذي يضمن النجاح في الحياة الدراسية فقط.

7- تطبيق برامج إرشادية للتعزيز من مهارات الذكاء الانفعالي (الشخصية والاجتماعية) لدى التلاميذ في مرحلة المراهقة، مما قد يعزز من قدرتهم على حل مشكلات الحياة اليومية سواء المدرسية أو الاجتماعية

8- التركيز أثناء تكوين المعلمين والأساتذة على مهارات الذكاء الانفعالي نظرا لما أكدته العديد من الدراسات على أن الذكاء الانفعالي للمعلم يلعب دور كبير في نجاح العملية التعليمية/ التعلمية .

قائمة المراجع

1. اسماعيل ابراهيم بدر. (2002). *برنامج إرشادي لتحسين مستوى الذكاء الانفعالي لدى الطلاب الموهوبين، منخفضي التحصيل الدراسي.* مصر: مجلة كلية التربية بنها العدد 15 المجلد 12 ص 1-49.
2. اسماعيل الصاوي. (2006).): *مكونات الذكاء الوجداني في إطار نموذج بار- أون، وعلاقتها بالتحصيل و المستوي الدراسي لدي الطلاب المعاقين سمعا من الجنسين بالمرحلة الثانوية المهنية.* مصر: مجلة الدراسات النفسية العدد 16 (51)،ص79-170.
3. اسماعيل زهير عبد الحميد النواجحة صالح الفرا. (2012). *الذكاء الوجداني وعلاقته بجودة الحياة والتجصيل الاكاديمي لدى الدارسين بجامعة القدس المفتوحة .* امصر: مجلة جامعة الازهر، سلسلة العلوم الانسانية، المجلد 14، العدد .
4. السيدة عودة عبد الرحمان محمد السعدان ثناء مليجي. (2011). *التربية وعلم النفس والتربية العلمية والبيئة.* القاهرة: ط1 دار الكتاب الحديث.

5. الطاهر سعد الله. (1991). *علاقة القدرة على التفكير الابتكاري والتحصيل الدراسي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
6. بام روبسن وجاك سكوت. (2000). *الذكاء الوجداني* . القاهرة:، ترجمة صفاء الأعسر وعلاء الدين كفافى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. .
7. بشير معمرية. (2007). *بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس*. الجزائر: منشورات الحبر، ط1، الجزائر.
8. رجاء محمودأبو علام. (2012). *مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوي*. مصر: دار النشر للجامعات، القاهرة.
9. رزق الله رندة. (2006). *) فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الانفعالي،دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق على عينة من تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي*. دمشق: أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة دمشق.
10. سهاد المللي. (2010). *الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتفوق التحصيلي لدى عينة من المتفوقين والعاديين دراسة تطبيقية على طلبة الصف العاشر من مدارس المتفوقين والعاديين في مدينة دمشق*. سوريا : مجلة جامعة دمشق، .
11. عبد اللطيف عبد الكريم، المومني. (2010). *الذكاء الانفعالي لدى طلبة المرحلة الثانوية في ضوء بعض المتغيرات*. البحرين : مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية جامعة البحرين العدد 11 المجلد 1، ص191-324.
12. عثمان عبد الهادي السيد عبده فاروق السيد. (2002). *القياس والاختبارات النفسية (الأسس والأدوات)*. مصر: ط1، دار الفكر العربي، القاهرة .
13. علي عبد النور موسى رشاد. (2012). *ال>كاء الوجداني وتنميته في مرحلتي الطفولة والمراهقة* . القاهرة : ط1، عالم الكتب .
14. غادة مظهر، الجندي. (2006). *): الفروق في الذكاء الانفعالي بين الطلبة الموهوبين والطلبة العاديين وعلاقتهم بالتحصيل الأكاديمي*. الاردن : رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا .
15. فؤاد أبوالحطب. (1996). *القدرات العقلية* . القاهرة: ط5، مكتبة الأنجلو المصرية.
16. محمد أحمد علي بدوي. (2011). *أثر برنامج إثراء في تنمية مهارات الذكاء الوجداني لدى عينة من المتفوقين دراسيا في المرحلة العمرية (15-12) في ضوء نموذج دانيال جولمان*. مصر: مجلة دراسات تربوية واجتماعية، العدد 17،السنة الثانية، ص.57-107.
17. محمد الأحمدي. (2007). *): الذكاء الوجداني وعلاقته بالذكاء المعرفي والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب جامعة طيبة بالمدينة المنورة* . المملكة العربية السعودية : مجلة العلوم الاجتماعية، العدد4، المجلد 35، ص 57-107.

18. محمد راضي محمد فوقية. (2001). *الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والقدرة على التفكير الابتكاري لدى طلاب الجامعة*. مصر: مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد45.

19. محمد محمدحسين أبو المكارم، جادالله. (2004). *المكونات العالمية للذكاء الانفعالي لدى عينة من المتفوقين أكاديميا وغير المتفوقين من طلاب التعليم الثانوي*. مصر: مجلة الدراسات النفسية رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية العدد 14 المجلد 3 ص 181-385.

20. محمد محمود عبد الله خوالدة. (2004). *الذكاء العاطفي*. عمان: دار الشروق، الأردن.

21. محمود جمال السلخي. (2013). *التحصيل الدراسي* . عمان : ط1، دار الرضوان .

22. محمودصلاح الدين علام. (2000). *القياس والتقويم التربوى والنفسى .أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة*. القاهرة: دار الفكر العربي.

23. موسى، عبدالفتاح فاروق. (2005). *الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من التحصيل الدراسي والذكاء العام لدى طلاب الجامعة*. مصر: مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق فرع بنها، العدد 60، ص105-133.

24. يامنة عبد القادر اسماعيلي. (2011). *أنماط التفكير ومستويات التحصيل الدراسي* . عمان : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.

25. يحي حياتي نصار. (2006). *أثر تدريب طلبة الجامعة الهاشمية على مهارات التعامل مع بعض أنواع الفقرات المستخدمة في الاختبارات على تحصيلهم الأكاديمي*. عمان، الأردن : المجلة التربوية، المجلد 20 العدد79، ص 69-119.

26-Mayer, J. D. (1990). journal of personalty assessment .N54.

27-Mayer, J. S. (1999). USA; new york: educational implication.

.Assessing the predictive validity of emotional intelligence(2000).catano,.and Newsame -28-
.personality and individual differencces ;N29 .pp105-116.

التفاؤل وعلاقته بجودة الحياة

لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي

د. سليمة سايحي، د. مليكة مدور ، أ. نجمة محمدي

جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي، وكذلك التعرف على الفروق بين الجنسين في التفاؤل وجودة الحياة. وقد استخدم المنهج الوصفي الارتباطي ومقياسين: مقياس التفاؤل لأحمد عبد الخالق (1996)، ومقياس جودة الحياة لكاظم ومنسي (2006)، وتم تطبيقهما على عينة تكونت من (30) تلميذا وتلميذة من السنة الثانية ثانوي من ثانوية مشونش بولاية بسكرة. وتوصلت الدراسة إلى أنه توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي، وكذلك وجود فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في التفاؤل وفي جودة الحياة لدى أفراد العينة.

الكلمات المفتاحية: التفاؤل، جودة الحياة.

Abstract:

The present study aims to revealing the relationship between optimism and the quality of life among the secondary students. As well as to identify gender differences in optimism and quality of life. by following The Correlative methodology and the measure of optimism for Ahmad Abdul Khaliq (1996) and the musure of the quality of life for Kazem and Mensi (2006), and were applied the study sample on 30 students from the secondary school of Mashunesh in the state of Biskra. The study found that there was a statistically significant correlation between optimism and quality of life among second year secondary students, as well as statistically significant differences between the sexes in the optimism and quality of life among them .

Keywords: Quality of life - optimism

مقدمة:

بدأ يسود مجال البحث في علم النفس والصحة النفسية تيار جديد ينتمي إلى علم النفس الإيجابي، سرعان ما احتل مكان الصدارة بين البحوث وبدأ يتطرقون إلى مواضيع لم تكن متطرقة من قبل مثل: السعادة والأمل والتفاؤل وجودة الحياة والثقة والتوافق، مما أحدث نقلة نوعية في مجال الاهتمام البحثي، فلم يعد البحث قاصرا على مجرد تناول موضوعات تتعلق بعلم النفس المرضي كالقلق والقلق والخوف والاكتئاب والعدوان والانحراف...الخ أو محاولة إصلاح الخلل في الشخصية، بل يجب أن يتعداه إلى مجال أوسع حيث السعي نحو إبراز الجوانب الإيجابية ومكامن القوة في الشخصية. (حرطاني، 2014: 1).

ويعد التفاؤل من أحد المفاهيم الهامة والأساسية في هذا الاتجاه، وخاصة لما له من آثار إيجابية عديدة على الفرد، فقد توصلت نتائج العديد من البحوث إلى أن التفاؤل أمر أساسي للصحة النفسية، والصحة الجسمية، وقد برهنت دراسة وانشتاين (Weinstine, 1980) على أن التفاؤل يؤثر على سلوك الفرد، فالفرد يكون أفضل تكيفا للانتقالات الحياتية المهمة. (مخلوفي، 2015: 1)

ويشير التفاؤل إلى أن الفرد يتوقع أن الحياة تسير دائما على ما هو سليم، وأنه قادر على مواجهة مجريات الحياة. فالمتفائل ينظر بعد فشله في المرة الأولى على أنه سينجح في المرة الثانية، ومن هنا يقلل من خطر التعرض للمشاكل الصحية والنفسية. فالمتفائلين أقل قلقا وأكثر قدرة على تحمل الشدائد، فالتفاؤل يرتبط إيجابيا بجودة الحياة والسيطرة على الضغوط ومواجهة المشكلات وحلها بنجاح، فهو يلعب دورا بعيد المدى في العلاقات الاجتماعية. (البوسعيدية، 2014: 3) لما له من تأثير كبير في سلوك الفرد وفي حالتهم النفسية، وذلك من خلال رفع معنوياته فعندما تلبى وتشبع حاجاته يشعر بالراحة والسعادة والتفاؤل، وبأنه يستطيع أن يحقق أهدافه مما يجعله يشعر بالسعادة والانبساط وبالتالي يحفزه على أن يقبل على الحياة بهمة ومثابرة ورغبة، ويضع في اعتباره احتمالات النجاح. (المجدلاوي، 2012: 208)

ومن هنا تكمن أهمية دراسة التفاؤل وجودة الحياة لتوضيح طبيعة العلاقة بين هذين المتغيرين الإيجابيين لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

مشكلة الدراسة:

يعد التعليم الثانوي من أهم المراحل التعليمية التي تؤثر في تنمية مدركات التلاميذ لجودة حياتهم فتلاميذ الثانوية يستعدون للالتحاق بالجامعة التي تعتبر نتائجها ومخرجاتها أساسا للإعداد الكوادر العلمية المتخصصة والتي سوف تسهم في التطور العلمي للمجتمع، وما يترتب عن ذلك من اختيارات دراسية قد تحقق لهم طموحاتهم المهنية، ومن ثم فإن نظرة التلاميذ لجودة حياتهم قد تؤثر في أدائهم الدراسي وفي دافعيتهم للإنجاز.

وتعد جودة الحياة من المفاهيم الحديثة التي ارتبطت بعلم النفس الإيجابي وهدف أساسي في حياة الإنسان، ويؤدي تحقيقها إلى شعور الفرد بالرضا والبهجة والاستمتاع وتحقيق الذات والتفاؤل، بالتالي تؤدي إلى التوجه الإيجابي نحو الحياة. (شيخي، 2014: 2)

ومنه أصبح ينظر لإدراك الفرد لجودة حياته من المنظور النفسي كقضية تداخل مع ابعد جودة الحياة من المنظورات الأخرى، باعتبارها من العوامل الأساسية المساعدة على حسن استثمار ما لدى الفرد من طاقات وإمكانات تؤثر، بصورة مباشرة على الفرد في سعادته وتكيفه واستقراره ومدى إجابتيه أو إعاقته عن أداء أدواره الطبيعة في الحياة. (مشري، 2014: 216)

فجودة الحياة تتأثر بشكل كبير بالصحة البدنية، والحالة النفسية والحالة الاجتماعية والعلاقة بالمستقبل، ويبحث الإنسان في سعيه لتحقيق العلاقة في أن يكون هناك معنى لوجوده، ومعنى لحياته التي يعيشها. (المشاقبة، 2012: 34)

ومن ثم أصبح هذا الأخير مفهوما محوريا في البحوث والدراسات واستخدم بمعان متعددة في سياقات مختلفة في العلوم الطبيعية والإنسانية، ومن بين هذه الدراسات التي تناولته دراسة كاظم والبهادلي (2006) التي توصلت إلى أن مستوى جودة الحياة كان مرتفعا في بعدين هما جودة الحياة الأسرية والاجتماعية، ومتوسطا في بعدين هما جودة الصحة العامة، وجودة شغل وإدارة الوقت، ومنخفضا في بعدين هما جودة الصحة النفسية وجودة الجانب العاطفي. (كاظم والبهادلي، 2006: 1)

وفي نفس السياق توصلت دراسة نعيسة (2012) التي أجريت على عينة من طلبة جامعتي دمشق وتشرين بلغت (360) طالبا وطالبة للتعرف على مستوى جودة الحياة توصلت إلى وجود مستوى متدن من جودة الحياة لدى أفراد العينة. (نعيسة، 2012: 145)

فجودة الحياة تؤثر بصورة مباشرة على الفرد في سعادته وتفاؤله ومدى إيجابيته وإعاقته على أداء أدواره الطبيعية في الحياة، فيرى فرانك (frank) حسن إمكانية توظيف إمكانيات الإنسان العقلية والإبداعية وإثراء وجدانه ليتسامى بعواطفه ومشاعره وقيمة الإنسانية وتكون المحصلة هي جودة الحياة وجودة المجتمع والسعادة والتفاؤل والتوجه نحو الحياة والأمل وغيرها من المفاهيم الإيجابية. (شيخي، 2014: 6)

فالتفاؤل من الخصائص الشخصية المستقرة والثابتة إلى حد بعيد ويعتقد بعض الباحثين أن هذا الأخير عادة يكون موروثا في حين يرى باحثون آخرون أنه مكتسب في المقام الأول، يرى أحمد عبد الخالق بأن التفاؤل نظرة استبشار نحو المستقبل، يجعل الفرد يتوقع الأفضل، وينتظر حدوث الخير ويرنو إلى النجاح، ويستبعد ما خلا ذلك. (حسن، 2006: 88)

وينظر إلى التفاؤل بوصفه خلفية عامة تحيط بالحالة النفسية العامة للفرد، وتؤثر فيه تأثير واضحا على سلوكه وتوقعاته بالنسبة للحاضر والمستقبل، فقد يكون أميل للتفاؤل، وأشارت بعض البحوث الحديثة إلى أن التفاؤل والمزاج الإيجابي أمران أساسيان للصحة العامة والتحصيل الدراسي والتخطيط للمستقبل، وغيرها من جوانب الحياة الهامة. (العنكوشي، 2011: 165)

حيث برهنت الدراسات على أن التفاؤل له دور مهم في الارتقاء بحياة الإنسان وتحقيق رفاهيته وسعادته ورضائه عن عمله وصحته النفسية والجسمية. (بسيوني، 2011: 86) ومن أمثلة هذه الدراسات دراسة روثينج وآخرون (Routhing, 2009) التي أظهرت أن التفاؤل والدعم الاجتماعي يزيد للطلاب الوقاية الإضافية والصحة النفسية. أما دراسة فروه وآخرون (Froh & al, 2009) توصلت إلى وجود علاقة إيجابية بين التخرج وبين كل من الرضا عن الحياة، التفاؤل، الدعم الاجتماعي، الأمل، الإبداع، التسامح، كما أن الخريجين أظهروا علاقة سالبة مع الأعراض الجسمية. (المجدلاوي، 2012: 212) كما أظهرت دراسات كل من عبد الخالق (2000)، وشريتون (charyton et al, 2009) وكيلونيني (kellonieni et al, 2005)، وهينونن (heinonen et al, 2005) أن التفاؤل يقلل من خطر التعرض للمشاكل الصحية وأن المتفائلين أقل قلقا، وأكثر قدرة على تحمل الشدائد، وأكثر قدرة على اتخاذ القرار، وأكثر إبداعا، كما أظهرت وجود علاقة إيجابية مرتفعة بين النظرة التفاؤلية والسعادة، وأن التفاؤل يرتبط إيجابيا بالسيطرة على الضغوط

ومواجهتها وحل المشكلات بنجاح، وضبط النفس، وتقدير الذات والتوافق والصحة الجسمية والنفسية وعادات غذائية صحية. (محيسن، 2012: 54)

وكذلك أشارت دراسات من أمثلتها: دراسة المشعان (2001)، ودراسة اليسون وآخرون (2000 alison et al)، ودراسة بيرنس وآخرون (byrnes et al , 1998)، ودراسة مارتا وآخرون (maruta et al, 2000) إلى أن هناك علاقة عكسية بين التفاؤل والاضطرابات النفسية والجسمية. فالتفاؤل يؤدي بالشخص إلى الحياة بشكل أفضل وتفسير مرغوب لأحداثها، ويدعم الصحة الجسمية الجيدة، وفي الوقت نفسه فإن الصحة الجسمية الجيدة تؤدي إلى توقع الأفضل في الحياة أي أن هناك تفاعلا بين الصحة والتفاؤل، فعند حدوث أي مرض فإن المتفائلين يتبعون بعناية أكثر النظام الطبي الذي وصف لهم، ويعدلون عن السلوكيات التي تتسبب في حدوث المرض. (بوعافية ومأمون، 2017: 294)

والإحساس بالتفاؤل وارتفاع مستواه وتوفر الإمكانات الموضوعية وتنوعها، تكفي لبلوغ الأهداف وتحقيق النجاح في الحياة، من خلال التوافق مع الحياة، والشعور بالرضا في الحياة، والتفكير والتفسير الإيجابي للحياة وتحمل المصاعب ومواجهتها، وحل المشكلات بنجاح، والتمتع بالصحة النفسية والجسمية يرتبط إلى حد كبير بجودة الحياة.

وعلى الرغم من تناول العديد من الدراسات للتفاؤل وجودة الحياة في علاقة كل منهما بمتغيرات أخرى، إلا أنه لم نجد في حدود علمنا دراسات تتناول العلاقة بين المتغيرين، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة للكشف عن طبيعة العلاقة بين التفاؤل وجودة الحياة، وتتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1. هل توجد علاقة ارتباطية بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟
2. هل توجد فروق بين الجنسين في التفاؤل لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟
3. هل توجد فروق بين الجنسين في جودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي؟

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية: تتجلى أهمية الدراسة النظرية في:

- ✓ انتماء هذه الدراسة إلى مجال علم النفس الإيجابي الذي يهدف إلى تنمية واستثمار جوانب شخصية الإنسان والوصول بها إلى أسمى معاني الحياة.
- ✓ تساهم في فتح آفاق جديدة للبحث في هذا المجال من خلال الاقتراحات والتوصيات التي تقدمها الدراسة.
- ✓ تعتبر الدراسة الحالية إضافة للتراث النظري من خلال ما تقدمه من معلومات لكلا المتغيرين.
- ✓ تنبع أهميتها في أهمية المتغيرات التي تتناولها الدراسة وهي التفاؤل وجودة الحياة.

الأهمية التطبيقية: تتجلى أهمية الدراسة التطبيقية في:

✓الإفادة في عملية الإرشاد والتوجيه التربوي والنفسي والمهني للتلاميذ كتقديم للتلاميذ الخدمات والبرامج الإرشادية والتربوية المناسبة والوصول إلى حياة خالية من الضغوط والاستمتاع بها والنظرة الإيجابية للمستقبل.

✓استخدام المعلمين وأولياء أمور التلاميذ لأساليب التعزيز المختلفة مما يشجع الطلبة وخاصة فيما يتعلق بتعزيز التفكير الإيجابي والنظرة التفاؤلية إلى الحياة بعيدا عن الإحباط واليأس.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يلي:

- ✓ الكشف عن طبيعة العلاقة بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
- ✓ التعرف على الفروق بين الجنسين في كل من التفاؤل وجودة الحياة.

فرضيات الدراسة: للإجابة على تساؤلات الدراسة تم صياغة الفرضيات كإجابات محتملة لها:

- ✓ توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.
- ✓ توجد فروق دالة إحصائية بين الجنسين في التفاؤل لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.
- ✓ توجد فروق دالة إحصائية بين الجنسين في جودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

مفاهيم الدراسة: تتمثل في:

التفاؤل: تمثل استجابات أفراد عينة البحث حيال بدائل الأجوبة (لا، قليلا، متوسط، كثيرا، كثيرا جدا) على فقرات المقياس المستخدم في الدراسة الحالية لأحمد عبد الخالق معبرا عنه بالدرجة الكلية التي يتحصل عليها المستجيب.

جودة الحياة: تمثل استجابات أفراد عينة البحث حيال بدائل الأجوبة (أبدا، قليلا، إلى حد ما، كثيرا، كثيرا جدا) على فقرات مقياس جودة الحياة لمنسي وكاظم المستخدم في الدراسة الحالية، المقياس المستخدم في الدراسة الحالية معبرا عنه بالدرجة الكلية التي يتحصل عليها المستجيب.

الإطار النظري للدراسة:

أولا: التفـاؤل:

تعريف التفـاؤل:

عرفه تايجر بأنه: " دافع بيولوجي يحافظ على بقاء الإنسان، ويعد الأساس الذي يمكن الأفراد من وضع الأهداف أو الالتزامات. إنه الأفعال أو السلوكيات التي تجعل أفراد المجتمع يتغلبون على الصعوبات والمحن التي قد تواجههم في حياتهم. (الأنصاري، 1998: 14)

وعرفه وبستر بأنه: " مذهب يتضمن فكرة أن الواقع أساسا جيد وخير في الحياة يفوق ألم الحياة وشرها، وهو صفة التميز بالأفضل أو السعي نحوه، وهو الحالة المدركة لإمكانية أفضل ما يكون، وهو الميل نحو وضع التركيب المرغوب أكثر من غيره موضع التطبيق لتقليل الظروف والاحتمالات المضادة، وهي التوقع والتنبؤ لأفضل نتيجة ممكنة تبعث على الفرح والسرور". (الموسوي والعنكوشي، 2011: 58)

كما عرفه سيلجمان أيضا بأن: " التفاؤل هو إدراك الفرد للأشياء من حوله بطريقة إيجابية ". (حمدان، 1998: 8)

وعرفه أيضا مخيمر وعبد المعطي بأنه: " صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية نحو الحياة بصفة عامة، يستبشر الخير، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقا وأحسن حالا ". (محيسن، 2012: 58)

وفي هذا الإطار تعرف سحر فاروق التفاؤل بأنه: " الإصرار على تحقيق الأهداف بالرغم من العقبات والعوائق، ومن يمتلكون هذه المهارات: - يصرون على تحقيق أهدافهم بالرغم من العقبات والعوائق - يعملون على أمل النجاح وليس خوفا من الفشل - يرجعون العقبات لظروف يمكن التعامل معها وليس لعيوب في شخصيتهم ". (بدير، 2006: 25)

مما سبق ذكره نلاحظ تعددت التعاريف في التفاؤل، وما نستنتجه من خلالها هو تركيز بعضها على جوانب معينة، كاعتباره النظرة الإيجابية والتوقع الأفضل للحياة والمستقبل والنجاح وتحقيق الأهداف.

أنواع التفاؤل: للتفاؤل أنواع مختلفة ونذكرها فيما يلي:

التفاؤل الديناميكي: والذي عرفه مور(1992) على أنه: " اتجاه عقلاني إيجابي نحو إمكانياتنا الفردية والجماعية ويفسر المتفائل الديناميكي الخبرات بشكل إيجابي ".

كما أنه يهيئ الظروف للنجاح من خلال التركيز على القدرات والفرص، وكما يؤثر على النتائج بصورة إيجابية وقد حدد مور عشرة سمات رئيسية للتفاؤل وتندرج تحت أمرين هما:

- تفسير الخبرات بشكل إيجابي: التركيز الانتقائي، الامتناع عن الشكوى، المزاج، تحدي القيود، إحساس الحرية، جدارة الذات.

- التأثير في النتائج بشكل إيجابي: المسؤولية الشخصية، البحث عن البدائل، العقلانية والتقييم الموضوعي، الثقة بالذات، اختيار البيئة الإيجابية، تحسين الذات.

التفاؤل غير الواقعي: ويرى عبد الخالق (1998) أن التفاؤل غير الواقعي يعني: " التفاؤل المتحيز، أو التفاؤل الذي لا تسوغه المقدمة أو الوقائع، مما يعرض الإنسان للمخاطر الصحية، ويحدث التفاؤل غير الواقعي عندما يخفض الأفراد تقديراتهم أو توقعاتهم الشخصية أو الذاتية لمواجهة الأحداث السيئة، كما أن لا يحدث فقط عندما يقلل الأفراد من احتمالات حدوث الأسوأ من الأحداث ". (مخلوف، 2013: 94)

التفاؤل الفعال: أكد مور أن التفاؤل يعد جزءا أساسيا في حياة الفرد الانفعالية، وإن أردنا أن نعيش حياة نشطة وفعالة فعلينا أن نبتعد عن التشاؤم وأن نحل مكانه تفاؤلا نشطا، ولكي يكون الفرد متفائلا فعالا عليه أن يتبنى الاتجاهات الإيجابية المتفائلة، وأن يؤمن بقدراتها على التأثير بإيجابية في تفكيره وسلوكه وإنجازاته وفي شعوره بالسعادة. (البوسعيدية، 2014: 40)

خصائص وصفات المتفائلين: يمتازون المتفائلون بخصائص وصفات يمكن من خلالها التنبؤ باتجاهاتهم نحو التفاؤل ومن بينها:

- الثقة بالنفس، حيث يشعرون بأنهم واسعوا الحيلة بما يكفي للتوصل إلى تحقيق أهدافهم.
- الاتصاف بالمرونة من أجل الوصول إلى أهدافهم، أو تغيير الأهداف التي يستحيل تحقيقها، وهم يتمتعون بالحاسة الذكية التي تمكنهم من تقسيم مهمة صعبة إلى أجزاء صغيرة يمكن التعامل معها.
- هم أكثر قدرة على التكيف الفعال مع مواقف الحياة الضاغطة، ولديهم القدرة على اتخاذ الأساليب المباشرة لحل المشكلات التي تواجههم، وأنهم أكثر تركيز في نمط تفكيرهم وأكثر إصرارا على اجتيازها، وأكثر استخداما لأساليب المواجهة الفعالة التي تركز على المشكلة، ويزداد لجوء المتفائلين إلى التخطيط عند مواجهة موقف عصيب، والاستفادة من الخبرة والتعلم السابق. (بوقفة، 2006: 84-85)
- دائما ما يبحث عن حلول جزئية لأجزاء المشكلة بغرض الوصول إلى حل المشكلة الكلية.
- لديه اعتقاد راسخ بأن كل فرد يمتلك القدرة على التحكم بمستقبله.
- يميل إلى التجديد في حياته والبعد عن الروتين ولا يسمح للأفكار السلبية بأن تطغى على تفكيره.
- يعتقد بأنه يمتلك قوة عالية على تحقيق النجاح. (بسيوني،2011: 75-77)

العوامل المؤثرة على التفاؤل: فيما يلي بيان لأثر بعض العوامل التي تؤثر بالتفاؤل لدى الأفراد:

العوامل البيولوجية: تشمل المحددات الوراثية والاستعدادات الموروثة، حيث تلعب دورا هاما في التفاؤل، فقد كشفت نتائج دراسة قام بها (plomin, 2006) أن الوراثة تلعب دورا مهما في التفاؤل وتسهم بنسبة (25%) في شخصية الفرد في جعلها شخصية متفائلة، كما أن البيئة والوراثة هما اللتان تعملان على توجيه الموروثات التفاؤلية، فتعمل التربية على إخراجها إلى حيز الوجود جميعا لكن بقوتين غير متساويتين، فقد يجد الفرد نفسه أكثر ميلا للتفاؤل. (البوسعيدية، 2014: 44)

العوامل الاجتماعية: وهي تتمثل في التنشئة الاجتماعية من لغة وعادات و قيم و اتجاهات سائدة في المجتمع، ولها في تنشئة المفهوم، فالمواقف الاجتماعية المفاجئة تجعل الفرد يميل في الغالب إلى التشاؤم والعكس إلى حد بعيد. إن الأساليب الخاطئة، كاللجوء إلى العقاب من أجل إسكات الرغبات التي تريد الاستمتاع بمباهج الحياة وإحباط سعي المراهق الذي يحاول الاستقلال عن أسرته، ومعاملة الراشدين وضعف الإمكانيات المادية مما يؤدي إلى سوء استغلال أوقات فراغهم والأضرار بهم وبمجتمعهم. (مهدي، 2013: 4)

مستوى التدين: إن المتدينين يميلون إلى أن يكونوا أكثر تفاؤلا من غير المتدينين، وقد حاولت بعض الدراسات أن تتخذ من درجة تدين الفرد متغيرا هاما في الكشف عن التفاؤل، فقد كشفت نتائج الدراسات عن وجود علاقة دالة إيجابية بين التفاؤل والتدين.

التنشئة الأسرية: تلعب أساليب التنشئة التي تتبعها الأسرة في تربية أبنائها دورا هاما في نمو أبنائها، فكلما كانت عملية التنشئة إيجابية وتشعر الطفل بأهميته وقيمته واحترامه وتقديره، وبأنه مرغوب فيه كلما كان الطفل أكثر توافقا وتفاؤلا. (محيسن، 2012 : 61)

فوائد التفاؤل: هناك عدة فوائد نذكر منها ما يلي:

- إن حسن الظن بالله تعالى يجلب السعادة لنفس الإنسان وروحه، وبهذا فإن من حسن الظن وتفاؤل يعيش في سعادة روحية، وسكينة نفسية.
- وكذلك فإن من فوائد التفاؤل وآثاره ترويح الفرد و سروره في نفسه وأسرته ومجتمعه.
- في التفاؤل تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وهو في حقيقته باعث على الجد.
- تظهر فوائد التعامل في الحياة بروح متفائلة من خلال تجديد الشخص لقوته الذاتية، واستفسار إرادته الروحية والبدنية لتحقيق أهدافه وغاياته، إذ يمنح التفاؤل صاحبه طاقة روحانية منشطة نحو الوصول إلى ما يعتبره غاية سامية. (السامراني، 2011: 117-118)

ثانيا: جودة الحياة:

تعريف جودة الحياة:

جودة الحياة تعبر عن التوافق والسعادة والرضا عن الحياة المختلفة كناتج للظروف المعيشية الحياتية للأفراد وعن الإدراك الذاتي للحياة، حيث ترتبط جودة الحياة بالإدراك الذاتي للحياة لكون هذا الإدراك يؤثر على تقييم الفرد للجوانب الموضوعية للحياة كالتعليم والعمل ومستوى المعيشة والعلاقات الاجتماعية من ناحية، وأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للفرد في وقت معين وظروف معينة من ناحية أخرى. (عضبان، 2015: 55)

وتشير أيضا جودة الحياة إلى: " الاستمتاع بالظروف المادية في البيئة الخارجية والإحساس بحسن الحال وإشباع الحاجات والرضا عن الحياة، وإدراك الفرد لقوى ومضامين حياته وشعوره بمعنى الحياة إلى جانب الصحة الجسمية الإيجابية، وإحساسه بالسعادة وصولا إلى أن يعيش حياة متوافقة بين جوهر الإنسان، والقيم السائدة في مجتمعه ". (النجار والطلاع، 2015: 223)

وتعرف جودة الحياة بأنها: " الإحساس بمعنى الحياة والمفهوم الشامل لأهدافها المختلفة وكيفية تحقيق هذه الأهداف بأسلوب مناسب ". (خضر ومبروك، 2011: 90)

ويعرف جود (Goode, 1994) جودة الحياة بأنها: " هي نتاج لتفاعلات فريدة بين الفرد والمواقف الحياتية الخاصة، وكذلك درجة استمتاع الفرد بإمكانياته المهمة في حياتيه، أو بصورة أخرى إلى أي حد يرى الفرد مدى جودة حياته ". (الشيراوي، د. س: 78)

ويعرف منسي وكاظم جودة الحياة بأنها: " شعور الفرد بالرضا والسعادة وقدرته على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورقي الخدمات التي تقدم له في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية مع حسن إدارته للوقت والاستفادة منه ". (مشري، 2014: 227)

ويعرفه كذلك جسام (2009) بأنه: " درجة رضا أو عدم الرضا التي يشعر بها الفرد اتجاه المظاهر المختلفة في الحياة ومدى سعادته بالوجود الإنساني، وتشمل الاهتمام بالخبرات الشخصية لمواقف الحياة، كما أنها تشمل على عوامل داخلية ترتبط بأفكار الفرد حول حياته، وعوامل خارجية كتلك التي تقيس سلوكيات الاتصال الاجتماعي، النشاطات، ومدى إنجاز الفرد للمواقف ". (مبارك، د. س: 27)

يتضح من خلال التعاريف أن مفهوم جودة الحياة بأنها تتفق على كونها تعبر عن مدى إدراك الفرد في العيش حياة جيدة من خلال الاستمتاع بها وتحقيق وإشباع حاجاته والشعور بالرضا والسعادة وحسن الحالة الصحية النفسية وترتبط بشكل مباشر بالفرد بحد ذاته، وأنه شعور داخلي يحسن الحال والطمأنينة النفسية وتحقيق ذاته.

مبادئ جودة الحياة: إن هناك مجموعة من المبادئ لجودة الحياة نذكر منها ما يلي:

- إن جودة الحياة مرتبطة بمجموعة من الاحتياجات الرئيسة للإنسان، وبمدى قدرته على تحقيق أهدافه في الحياة.
- إن معاني الحياة تختلف باختلاف وجهات النظر الإنسانية، بمعنى أنها تختلف من شخص إلى آخر، ومن عائلة إلى أخرى، ومن برنامج إلى آخر.
- إن مفهوم جودة الحياة له علاقة قوية ومباشرة في البيئة التي يعيش فيها الإنسان ويعكس التراث الثقافي للإنسان وللأشخاص المحيطين به، فهذه المبادئ مشتركة بين الشخص الطبيعي والشخص المعاق. (المشاقبة، 2015: 36)

مؤشرات جودة الحياة: لقد حدد فولفيلد (Fallowfield, 1990) مؤشرات جودة الحياة فيما يلي:

- الإحساس بجودة الحياة: هي حالة شعورية تجعل الفرد قادرا على إشباع حاجاته المختلفة (الفطرية والمكتسبة) والاستماع بالظروف المحيطة به.
- المؤشرات النفسية: تشمل في التوافق مع المرض أو الشعور بالسعادة والرضا. (آدم والجاجان، 2014: 352)
- المؤشرات الاجتماعية: تتضح من خلال القدرة على تكوين العلاقات الشخصية ونوعيتها، فضلا عن مدى ممارسة الفرد للأنشطة الاجتماعية والترفيهية.
- المؤشرات المهنية: تتمثل بدرجة رضا الفرد عن مهنته وحبه لها، ومدى سهولة تنفيذ مهام وظيفية، وقدرته على التوافق مع واجبات عمله. (يحي، 2016: 37)
- المؤشرات الجسمية والبدنية: تتمثل في رضا الفرد عن حالته الصحية، وقدرته على التعايش مع الآلام والنوم والشهية في تناول الغذاء والقدرة الجنسية.

ويؤكد كاظم ومنسي (2010) أن المؤشرات السابقة تعتبر جيدة لقياس جودة الحياة، ويمكن استخدامها عند إعداد مقاييس موضوعية في هذا المجال. (منسي وكاظم، 2006: 65)

كما وقد أقترح نوردنفالت (1994) مخططا يبين فيه وجهة نظره التي تتمثل في كون مفهوم جودة الحياة بإدماج مختلف المؤشرات كالسعادة التي هي ذات أصل فلسفي، والراحة المادية والوجود الذاتي ذوي الأصل الاجتماعي والنفسي، والصحة الجسمية ذات الأصل الطبي بالإضافة إلى الصحة العقلية.

أبعاد جودة الحياة: من خلال المفاهيم يمكن تمييز ثلاثة أبعاد لجودة الحياة وهي:

- جودة الحياة الموضوعية: وتشمل هذه الفئة الجوانب الاجتماعية لحياة الأفراد والتي يوفرها المجتمع من مستلزمات مادية.

- جودة الحياة الذاتية: يقصد بها مدى الرضا الشخصي بالحياة، وشعور الفرد بجودة الحياة.

- جودة الحياة الوجودية: وتمثل الحد المثالي لإشباع حاجات الفرد، واستطاعته العيش بتوافق روحي ونفسي مع ذاته ومع محيطه. (نعيسة، 2012: 153)

ووضع شالوك (Schalock, 2004) ثمانية أبعاد لجودة الحياة وهي:

* جودة المعيشة الانفعالية: وتشمل الشعور بالأمن، والجوانب الروحية، والسعادة، ومفهوم الذات، والرضا أو القناعة.

* العلاقات بين الأشخاص: وتشمل الصداقة الحميمة، والجوانب الوجدانية، والعلاقات الأسرية، والتفاعل، والمساندة الاجتماعية.

* جودة المعيشة المادية: وتشمل الوضع المادي وعوامل الأمن الاجتماعي، وظروف العمل والممتلكات والمكانة الاجتماعية والاقتصادية.

* الارتقاء الشخصي: ويشمل مستوى التعليم والمهارات الشخصية، ومستوى الإنجاز.

* جودة المعيشة الجسمية: وتشمل الحالة الصحية والتغذية، والنشاط الحركي، والرعاية الصحية، والتأمين الصحي، ووقت الفراغ، ونشاطات الحياة اليومية.

* محددات الذات: وتشمل الاستقلالية، والقدرة على الاختيار الشخصي، وتوجيه الذات، والأهداف والقيم.

* التفاعل الاجتماعي: ويشمل القبول الاجتماعي، والمكانة الاجتماعية، وخصائص بيئة العمل والتكامل والمشاركة الاجتماعية، والنشاط التطوعي.

*الحقوق: وتشمل الخصوصية، والحق في الانتخاب والتصويت، وأداء الواجبات، والحق في الملكية. (المشاقبة، 2015: 36)

من خلال هذه الأبعاد نستخلص أن جودة الحياة هي القدرة على ممارسة أنشطة الحياة اليومية التي تعكس الوجود البدني والنفسي والاجتماعي الذي يشمل تحقيق وإشباع حاجاته الذاتية والموضوعية من خلال جودة المعيشة الانفعالية والمادية والجسمية والعلاقات بين الأشخاص ومحددات الذات والتفاعل الاجتماعي والحقوق.

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي (الإرتباطي) الذي يهتم بوصف ظاهرة أو موضوع معين، والتي تؤكد مدى ارتباط متغيرين وتقدير العلاقة بينهما، وإلى أي حد تتطابق تغيرات عامل مع متغيرات عامل آخر، وهو ما يتناسب مع موضوع الدراسة الحالية. (دويدي، 2000: 209)

عينة الدراسة:

تألف مجتمع الدراسة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية أحمد منصوري بدائرة مشونش- بسكرة، والبالغ عددهم (110) تلميذ وتلميذة حسب إحصاءات السنة الدراسية 2017/ 2018.

تم اختيار عينة عرضية تتكون من (30) تلميذ وتلميذة تمثل نسبة 27% من المجتمع الأصلي.

أدوات الدراسة:

استخدم في هذه الدراسة مقياسين لتحقيق أهداف الدراسة وهما:

مقياس التفاؤل لأحمد عبد الخالق: هو عبارة عن قائمة تم بنائها من طرف أحمد عبد الخالق (1996) يتكون من مقياسين فرعيين واحد للتفاؤل والآخر للتشاؤم، ويحتوي على (15) بند لكل مقياس فرعي ويشمل خمسة بدائل للإجابة (لا، قليلا، متوسط، كثيرا، كثيرا جدا)، ويتم إعطاء الاستجابة كثيرا جدا (5) درجات، والاستجابة كثيرا (4) درجات، والاستجابة متوسط (3) درجات، والاستجابة قليلا (2) درجات، والاستجابة لا (1) درجة، وتشير الدرجة العالية على مقياس التفاؤل إلى وجود مستوى عال من التفاؤل لدى التلاميذ.

الخصائص السيكومترية للمقياس:

صدق المقياس:

الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية): تم تطبيق المقياس على عينة التحليل الإحصائي (ن= 30) تلميذ، وبعد ترتيب الدرجات المتحصل عليها، تم أخذ (33%) من أعلى درجات المقياس و(33%) من أدنى درجات المقياس، وتم ترتيبها من أعلى إلى أدنى درجة، لتصبح مجموعتان تتكون كل منهما من (10) أفراد، وتم استخدام اختبار "ت" لحساب دلالة الفروق بين متوسطي المجموعتين، وتم الحصول على النتائج المبينة في الجدول التالي:

الجدول رقم (01):

يوضح نتائج صدق مقياس للتفاؤل بطريقة المقارنة الطرفية

الفئات	ن	م	ع	"ت" محسوبة	د. ح	مستوى الدلالة
الفئة العليا	10	66.3	14.34	5.19	18	0.01
الفئة الدنيا	10	9.6	5.72			

من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (01) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للفئة العليا يبلغ (66.3)، بانحراف القيمة عنه بدرجة (14.34)، بينما المتوسط الحسابي للفئة الدنيا بلغ (39.6)، بانحراف القيمة عنه بدرجة (5.72)، وعند درجة الحرية (18)، لوحظ أن قيمة "ت" المحسوبة والمقدرة (5.19) أكبر من قيمة

"ت" المجدولة المقدرة (2.10) عند مستوى الدلالة (0.01) وبالتالي فإن المقياس يتمتع بنسبة الصدق يسمح بالاعتماد عليه في الدراسة.

ب- ثبات المقياس:

تم الاعتماد على طريقة التجزئة النصفية، وذلك بتقسيم المقياس إلى قسمين متساويين (فقرات فردية وفقرات زوجية)، ومن ثم تم حساب بمعامل الارتباط "بيرسون"، وبما أن استخدام طريقة التجزئة النصفية لا تسمح بالتأكد من تجانس المقياس في شكله الكلي لذا فإنها اعتمدت على تصحيح معامل الثبات هذه وفق التجزئة النصفية، بمعادلة إحصائية أخرى كمعامل "سبيرمان براون" فجاءت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم: (02):

يوضح نتائج ثبات مقياس التفاؤل بطريقة التجزئة النصفية

معامل الثبات	معامل الثبات
معامل بيرسون	0.60
معامل سبيرمان بروان	0.75

يتضح من خلال الجدول رقم (02) أن معامل الثبات بمعادلة بيرسون قدر بـ (0.60)، وبعد تصحيحه بمعامل "سبيرمان براون" قدر بـ (0.75) فهذا يتبين لنا أنه يصلح الاعتماد عليه للقياس في الدراسة الأساسية.

مقياس جودة الحياة لكاظم ومنسي: يتكون المقياس من (60) فقرة، أعد من طرف كاظم ومنسي (2006) يتوزع المقياس على ستة أبعاد يحتوي كل منها عشرة بنود تشمل: جودة الصحة العامة، جودة الحياة الأسرية والاجتماعية، وجودة التعليم والدراسة، وجودة العواطف(الجانب الوجداني)، وجودة الصحة النفسية، وجودة الشغل والوقت وإدارته، ويصحح وفق التالي: يعطى للبنود الموجبة الفردية الدرجات (1، 2، 3، 4، 5)، في حين يعطى عكس الميزان السابق للبنود السالبة التي تحمل الأرقام الزوجية، والجدول التالي يوضح طريقة التصحيح:

الجدول رقم (03):

يوضح طريقة تصحيح مقياس جودة الحياة لكاظم ومنسي

البدائل / الفقرات	أبدا	قليل جدا	إلى حد ما	كثيرا	كثيرا جدا
البنود الإيجابية التي تحمل الأرقام الفردية	1	2	3	4	5
البنود السالبة التي تحمل الأرقام الزوجية.	5	4	3	2	1

الجدول رقم (04):

يوضح أرقام الفقرات الموجبة (الفردية) والفقرات السالبة (الزوجية)

العبارات	**أرقامها**
الفقرات الموجبة	1-3-5-7-9-11-13-15-17-19-21-23-25-27-29-31-33-35-37-39-41-43-45-47-49-51-53-55-57-59.
الفقرات السلبية	2-4-6-8-10-12-14-16-18-20-22-24-26-28-30-32-34-36-38-40-42-44-46-48-50-52-54-56-58-60.

الجدول رقم (05):

يوضح أرقام بنود كل بعد من أبعاد مقياس

أبعاد المقياس	أرقام البنود من
جودة الصحة العامة.	10-01
جودة الحياة الأسرية والاجتماعية.	20-11
جودة التعليم والدراسة.	30-21
جودة العواطف (الجانب الوجداني).	40-31
جودة الصحة النفسية.	50-41
جودة شغل الوقت وإدارته.	60-51
مقياس جودة الحياة بشكل عام.	60-1

الخصائص السيكومترية للمقياس:

صدق المقياس:

الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية): تم تطبيق المقياس على عينة التحليل الإحصائي (ن = 30) تلميذ، وبعد ترتيب الدرجات المتحصل عليها، أخذ (33%) من أعلى درجات المقياس و(33%) من أدنى درجات المقياس، وتم ترتيبها من أعلى إلى أدنى درجة، لتصبح مجموعتان تتكون كل منهما من (10) أفراد، وتم استخدام اختبار"ت" لحساب دلالة الفروق بين متوسطي المجموعتين، وتم الحصول على النتائج المبينة في الجدول التالي:

الجدول رقم: (06):

يوضح نتائج صدق مقياس جودة الحياة بطريقة المقارنة الطرفية

الفئات	ن	م	ع	"ت" محسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الفئة العليا	10	30.7	14.87	7.66	18	0.01
الفئة الدنيا	10	89.3	6.16			

من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (06) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للفئة العليا يبلغ (230.7)، بانحراف القيمة عنه بدرجة (14.87)، بينما المتوسط الحسابي للفئة الدنيا بلغ (189.3)، بانحراف القيمة عنه بدرجة (6.16)، وعند درجة الحرية (18)، لوحظ أن قيمة "ت" المحسوبة والمقدرة (7.66) أكبر من قيمة "ت" المجدولة المقدرة بـ (2.10) عند مستوى الدلالة (0.01) وبالتالي فإن المقياس يتمتع بالصدق يسمح بالاعتماد عليه في الدراسة.

ب- ثبات المقياس: تم الاعتماد على طريقة التجزئة النصفية، وذلك بتقسيم المقياس إلى قسمين متساويين (فقرات فردية وفقرات زوجية)، ومن ثم تم حساب معامل الارتباط "بيرسون"، والتصحيح بمعادلة "سبيرمان براون" فجاءت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم: (07):

يوضح نتائج ثبات جودة الحياة بطريقة التجزئة النصفية

معامل الثبات	معامل الثبات
معامل بيرسون	0.50
معامل سبيرمان بروان	0.66

يتضح من خلال الجدول رقم (07) أن معامل الثبات بمعامل بيرسون قدر بـ (0.50) ، وبمعامل "سبيرمان براون" قدر بـ (0.66) فهذا يبين أن المقياس يصلح الاعتماد عليه في الدراسة الحالية.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

الفرضية الأولى: والتي تنص بأنه: توجد علاقة إرتباطية دالة إحصائيا بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي. وللتحقق من صحة الفرضية تم حساب معامل ارتباط بيرسون وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول رقم (08).

جدول رقم (08):

يوضح الارتباط بين التفاؤل وجودة الحياة

المتغيرات	العينة	القيمة المحسوبة(R)	درجة الحرية	مستوى دلالة
التفاؤل	30	0.57	28	0.01
جودة الحياة				

من خلال النتائج الموضحة في الجدول السابق يتضح أن القيمة المحسوبة والمقدرة بـ (0.57) أكبر من القيمة المجدولة والمقدرة بـ (0.45) عند مستوى دلالة 0.01 فإن القيمة دالة إحصائيا، ومنه توجد علاقة بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي. وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسات تشابهت في متغير التفاؤل وهي دراسة أحمد عبد الخالق (1998)، حيث أكدت النتائج ارتباط التفاؤل إيجابيا بالسعادة والصحة النفسية والجسمية. (مخلوفي، 2015: 5) كما أشارت دراسة روسيل (1989) وجود ارتباط إيجابي بين التفاؤل والدافعية، كما توصلت دراسة كوهن ولماي (1995) إلى أن التفاؤل يعد مؤشر للتنبؤ بالصحة النفسية، وأكدت بعض الدراسات على وجود علاقة قوية بين النظرة التفاؤلية للمستقبل والسعادة الحالية. (نصيف، 2015: 14-20)

ويمكن تفسير ذلك بأن المتفائل عندما تكون نظرته للحياة إيجابية وثقته بنفسه ومواجهة التحديات والصعوبات والتكيف مع مواقف الحياة الضاغطة والإحساس بالأمل والسعادة والتقبل والرضا بالحياة التي تظهر في حالة الإشباع يؤدي إلى جودة الحياة. فالتفاؤل يقلل من خطر التعرض للمشاكل الصحية والنفسية، والشعور بالرضا عن الحياة يعبر عن شعور الفرد بجودة الحياة. فإحساس الفرد بالرضا عن

حياته يجعله أكثر قدرة على مواجهة صعوبات وعقبات الحياة، لأنه كلما كان الفرد على درجة مرتفعة من الرضا عن الحياة كلما أدى ذلك بالفرد إلى تحمل مشكلات الحياة ومواجهتها والقدرة على حلها، ومن ثم دعم إيجابية توقعاته المستقبلية (التفاؤل)، وهذا لا يتحقق إلا من خلال نظرة الفرد التفاؤلية والتفكير الإيجابي نحو الحياة والرضا عنها وتقبلها والتشبع من حاجاتها. فعندما تكون توقعاتنا وأفكارنا إيجابية للحياة يستطيع الفرد أن يتقبل حياته حتى وإن تملؤها المشاكل مما يدل على مؤشر ينبئ عن جودة الحياة.

الفرضية الثانية: التي تنص بأنه: توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في التفاؤل. وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب قيمة "ت" والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (09):

يوضح الفروق بين الجنسين في التفاؤل

	ن	م	ع	"ت" محسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
إناث	15	58.13	10.13	1.58	28	0.01
ذكور	15	63.13	6.11			

يتضح من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (09) أن المتوسط الحسابي للإناث قدر بـ (58.13) وينحرف عند القيمة بدرجة (10.13)، بينما المتوسط الحسابي للذكور بلغ (63.13) بانحراف القيمة عند درجة (6.11) وعند درجة الحرية (28) نلاحظ أن قيمة "ت" المحسوبة التي قدرت بـ (1.58) أكبر من القيمة المجدولة المقدرة بـ (0.31) فهي دالة عند مستوى دلالة (0.01)، وبالتالي فإن الفرق دال باختلاف الجنس.

وأشارت النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في التفاؤل لصالح الذكور، وقد اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة محمد أبو العلا (2009) إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات الدرجات التي حصلت على الطالبات على مقياس التفاؤل، ودراسة الحميري (2004) التي توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في التفاؤل، ودراسة المشعان (2000) التي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في التفاؤل، ودراسة حسن عبد اللطيف ولولو حمادة (1998) التي كشفت عن وجود فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في التفاؤل لصالح الذكور، واختلفت مع دراسة هشام مخيمر ومحمد عبد المعطي (2000)، ودراسة فريح العنزي (2001) التي توصلتا إلى عدم وجود فروق بين الجنسين في التفاؤل. (بسيوني، 2011: 48، و88)

من خلال نتائج الدراسة والدراسات السابقة يتضح وجود اختلاف وفروق بين الجنسين في التفاؤل، ومعظمها لصالح الذكور، فنجد أن الذكور أكثر تفاؤلا لأن نظرتهم للحياة نظرة إيجابية وتفكيرهم وتفسيرهم للحياة إيجابي، فهم أكثر تعبيرا عن آرائهم واتجاههم وميولهم كونهم يتمتعون بفرص وخيارات أكثر من تلك التي تتمتع بها الإناث، ويمتلكون القرار في تحديد مصيرهم مثل: استمرارهم في التعليم أو عدم الاستمرار فيه.

فالذكور لهم مجال أكبر في التعبير عن آرائهم واتجاهاتهم فهذا يخلق لديه روح التفاؤل والأمل نحو المستقبل والنظرة الإيجابية للحياة والتفكير بإيجابية نحوها. (نصيف، 2015: 15)

فالمتفائل يمكن من وضع الأهداف المحددة ويميل إلى التجديد ويميل إلى تعزيز أفكاره لتكون أكثر إيجابية والاعتقاد بالنجاح وعدم التفكير في الفشل، وهم أكثر ثقة بالنفس، ويعود أيضا إلى مكانتهم في المجتمع فهم أكثر قيمة من البنات في نظرة المجتمع، وأكثر قيمة في الأسرة، وهذا ما أشار إلية الكندي. (السامراني، 2011: 285)

الفرضية الثالثة: التي تنص بأنه: توجد فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في جودة الحياة. وللتحقق من صحة الفرضية تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإيجاد قيمة "ت" وكانت النتائج المتحصل عليها في الجدول التالي:

جدول رقم (10):

يوضح الفروق بين الجنسين في جودة الحياة

	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	"ت" المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
إناث	15	235.2	37.59	1.65	28	0.01
ذكور	15	206.86	51.99			

من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (10) نلاحظ أن المتوسط الحسابي للإناث قدر بـ (235.2) وينحرف عند القيمة بدرجة (37.59)، بينما المتوسط الحسابي للذكور بلغ (206.86) بانحراف القيمة بدرجة (51.99) وعند درجة الحرية (28) نلاحظ أن قيمة "ت" المحسوبة التي قدرت بـ (1.65) أكبر من القيمة المجدولة والمقدرة بـ (0.31) فهي دالة عند مستوى دلالة (0.01) وبالتالي فإن الفرق دال باختلاف الجنس.

وأشارت نتائج الفرضية بأنه توجد فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في جودة الحياة والتي كانت لصالح الإناث، وقد اتفقت نتائج الدراسة مع دراسة نغم جميل (2016) بوجود فروق دالة إحصائيا في مستوى جودة الحياة تبعا لمتغير الجنس لصالح الإناث، كما اتفقت بوجود فروق بين الجنسين لكن لصالح الذكور مع دراسة كل من العادلي (2006) والبهادلي وكاظم (2006) حيث أسفرت نتائج هاتين الدراستين إلى أن الذكور قد حققوا درجات مرتفعة على مقياس جودة الحياة فيما يتعلق بجودة شغل الوقت وإدارته أكثر من الإناث، واختلفت مع دراسة إبراهيم (2011) ودراسة إسماعيل (2011) ودراسة أبو العلا (2009) ودراسة مجدي (2009) التي تشير إلى أنه لا يوجد تأثير دال لعامل الجنس في الشعور بجودة الحياة ويفسر أن إدراك جودة الحياة يشعر بها جميع الناس سواء كانوا ذكور أو إناث. (شيخي، 2014: 15)

ويمكن تفسير هذه النتيجة أن الإناث أكثر تشبعا واستقرارا من الناحية الاجتماعية والتعليمية مقارنة بالذكور، حيث يسعون في هذه المرحلة إلى الأفضل وإلى الاستقلال المادي وتحمل مسؤولية أكثر اتجاه مراحل حياتهن المستقبلية، فالإناث غالبا تعتمد على الدعم الأسري في حياتهن العائلية والزوجية، ويشعرن بالاستقرار والرضا ويتطلعن إلى مستقبلهن بإيجابية أكثر، ويشعرن بالارتياح والمثابرة في الدراسة أكثر من الذكور، فالمشاعر الإيجابية اتجاه الحياة الاجتماعية والمدرسية اللتين أصبحن يحصلن على حرية أكبر فيهما، ويحصلن على حقوق أوسع اجتماعيا، ومدرسيا، وحتى مهنيا وهو يزيد الإناث من رضاهن عن جودة حياتهن الاجتماعية والمدرسية، فالإناث بشكل عام يعطين العلاقات الاجتماعية أهمية كبرى فهي مصدر للدعم والتعاطف والمساندة من قبل الآخرين، وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة ليو وآخرون (Liu، et all ،2015) التي توصلت إلى أن الإناث لديهن مستوى أعلى من الرضا عن جودة الحياة مقارنة بالذكور. (جمال، 2016: 81)

الخاتمة:

تمثل متغيرات الدراسة الحالية (التفاؤل وجودة الحياة) أحد المواضيع الهامة في علم النفس الإيجابي، وخاصة لما لهما من آثار إيجابية عديدة على الفرد، حيث توصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين التفاؤل وجودة الحياة لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي ووجود فروق بين الجنسين في التفاؤل وجودة الحياة. وقد اتفقت هذه النتائج مع نتائج بعض الدراسات، واختلفت مع البعض الآخر، وقد يعود السبب إلى خصائص العينات المستخدمة والأدوات بالإضافة إلى الاختلاف بين البيئات التي أجريت فيها الدراسات في بعض العوامل الثقافية والاجتماعية.

ومن هنا ندرك أن أهمية وفائدة التفاؤل وجودة الحياة كمفهومين من مفاهيم علم النفس الإيجابي، حيث من خلال شعور الفرد بالاستقرار والرضا عن الحياة والشعور بالارتياح والنظرة الإيجابية للحياة والإحساس بالصحة النفسية...الخ، يؤدي بالشخص إلى التفاؤل في حياته بشكل أفضل وتفسير مرغوب لأحداثها.

على ضوء ما توصلت إليه نتائج هذه الدراسة نقدم مجموعة من الاقتراحات والتي قد تفيد المهتمين والباحثين في مجال علم النفس، ونلخصها في التالي:

- إجراء دراسات وبحوث حول هذين المتغيرين المهمين لدى فئات عمرية مختلفة خاصة مرحلة المراهقة.
- تقديم خدمات إرشادية في المؤسسات التعليمية لرفع مستوى التفاؤل وجودة الحياة عند المراهقين.
- القيام بدراسة عن تطور التفاؤل لدى شرائح تعليمية وعمرية مختلفة.
- بناء برامج إرشادية لتعليم التفاؤل، من طرف مستشار التوجيه لدى التلاميذ.

قائمة المراجع:

1- آدم، بسماء والجاجان، ياسر (2014)، جودة الحياة وعلاقتها بتقدير الذات، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، دمشق/ سوريا، المجلد (36)، العدد (05)، ص ص 345-.361

2- الأنصاري، بدر محمد (1998)، التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، ط1، الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر.

3- البوسعيدية، مقبولة بنت ناصر بن مصبح (2014)، فاعلية برنامج إرشاد جمعي في تنمية التفاؤل وخفض التشاؤم لدى الأحداث الجانحين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم والآداب، عمان/ الأردن.

4- السامراني، عبد القدوس بن أسامة (2011)، إستراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح دراسة في ضوء القرآن والسنة، ط1، الإمارات العربية المتحدة، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، إدارة البحوث.

5- الشيراوي، مريم عيسى (د.س)، السلوك التكيفي وعلاقته بجودة الحياة لدى التلميذات المعاقات ذهنيا بدرجة بسيطة في دولة قطر، مجلة الطفولة العربية، الكويت، العدد (54)، ص ص6- 123.

6- المجدلاوي، ماهر يوسف (2012)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بالرضا عن الحياة والأعراض النفسجسمية لدى موظفي الأجهزة الامنية الذين تركوا مواقع عملهم بسبب الخلافات السياسية في قطاع غزة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة/ فلسطين، المجلد (20)، العدد (02)، ص ص207-236.

7- المشاقبة، محمد أحمد خدام (2015)، جودة الحياة كمنبىء لقلق المستقبل لدى طلاب كلية التربية والآداب في جامعة الحدود الشمالية، مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية، المملكة العربية السعودية، المجلد (10)، العدد (1)، ص ص33- .49

8- الموسوي، عبد العزيز حيدر والعنكوشي، حليم صخيل (2011)، التفاؤل- التشاؤم لدى طلبة جامعة القادسية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العراق، المجلد (10)، العدادان (1-2)، ص ص 162-182.

9- النجار، يحي والطلاع، عبد الرؤوف (2015)، التفكير الإيجابي وعلاقته بجودة الحياة لدى العاملين بالمؤسسات الأهلية بمحافظة غزة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، غزة/ فلسطين، المجلد (29)، العدد (2)، ص ص 209- .246

10- بدير، كريمان (2006)، التعلم الإيجابي وصعوبات التعلم رؤية نفسية تربوية معاصرة، ط1، القاهرة، عالم الكتب.

11- بسيوني، سوزان بنت صدقة بن عبد العزيز (2011)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالإنجاز الأكاديمي والرضا عن الحياة، مجلة الإرشاد النفسي، مصر، العدد 28، ص ص 68 - .114

12- بن عضبان، فؤاد (2015)، جودة الحياة بالتجمعات الحضرية تشخيص مؤشرات التقييم، ط1، عمان/ الأردن، دار المنهجية للنشر والتوزيع.

13- بوعافية، نبيلة ومأمون، عبد الكريم (2017)، علاقة التفاؤل والتشاؤم بجودة الحياة لدى المراهق مجهول النسب، مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة البليدة 2، الجزائر، المجلد (8)، العدد (15)، ص ص ، 284- .299

14- بوقفة، جمعي (2006)، العلاقة بين أنماط التفكير والتفاؤل والتشاؤم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة/ الجزائر.

15- جمال، نغم سليم (2016)، جودة الحياة وعلاقتها بالحاجات الإرشادية لدى طلبة المرحلة الثانوية (دراسة ميدانية على عينة من طلاب مرحلة التعليم الثانوي في محافظة السويداء)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق/ سوريا.

16- حرطاني، أمينة (2014)، جودة الحياة لدى الأمهات وعلاقتها بالمشكلات السلوكية عند الأبناء (دراسة وصفية تحليلية في وجود بعض المتغيرات: سن الأم، عمل الأم، المستوى التعليمي للأم)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر.

17- حسن، صالح مهدي (2013)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بالاستجابة الانفعالية لدى لاعبي الدوري الممتاز بكرة السلة، مجلة كربلاء لعلوم التربية الرياضية، جامعة كربلاء، العراق، المجلد (1)، العدد (3)، ص ص 205- .223

18- حسن، هدى جعفر (2006)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بضغوط العمل والرضا عن العمل، مجلة دراسات نفسية، الكويت، مجلد (16)، العدد (1)، ص ص 83-.111

19- حمدان، فيصل محمود خليل (1999)، سيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الثانوية العامة في المدارس الحكومية في محافظة جنين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس/ فلسطين.

20- خضر، منار عبد الرحمن محمد ومبروك، أحلام عبد العظيم (2011)، جودة حياة الأسرة وتأثيرها على قدرة الأم لاكتشاف وتنمية الذكاءات المتعددة لدى الأطفال من سن ما قبل المدرسة، مجلة بحوث التربية النوعية، المنصورة/ مصر، العدد (23)، الجزء الأول، ص ص 80- .133

21- دويدي، رجاء وحيد (2008)، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دمشق، دار الفكر.

22- شيخي، مريم (2014)، طبيعة العمل وعلاقتها بجودة الحياة، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان/ الجزائر.

23- عبد الحفيظي، يحي (2016)، تقنين مقياس جودة الحياة لمحمود منسي وعلي كاظم على الطلبة الجامعيين (دراسة ميدانية بجامعة الجلفة)، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/ الجزائر.

24- كاظم، علي مهدي و البهادلي، عبد الخالق نجم (2006): جودة الحياة لدى طلبة الجامعة العمانيين والليبيين - دراسة ثقافية مقارنة -، المجلة العلمية للأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ص ص 24 - 52

25- مبارك، بشرى عناد (د.س)، جودة الحياة وعلاقتها بالسلوك الاجتماعي لدى النساء المتأخرات عن الزواج، مجلة كلية الآداب، جامعة ديالي/ العراق، العدد (99)، ص ص714-.771

26- محيسن، عون عوض يوسف (2012)، التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة جامعة الأقصى بغزة في ضوء بعض المتغيرات، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، غزة/ فلسطين، المجلد (20)، العدد (2)، ص ص 53- .93

27- مخلوف، بلقاسم (2013)، إستراتيجية التعامل مع الضغوط النفسية وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم لدى التلاميذ المقبلين على شهادة امتحان البكالوريا الرياضية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف/ الجزائر.

28- مخلوفي، سمية (2015)، سمة التفاؤل وعلاقتها باضطراب الهلع غير المصاحب لرهاب الأماكن المفتوحة لدى عينة من طلبة الجامعة، مذكرة الماستر غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/ الجزائر.

29- مشري، سلاف (2014)، جودة الحياة من منظور علم النفس الإيجابي (دراسة تحليلية)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي/الجزائر، العدد (8)، ص ص 215-237.

30- منسي محمود عبد الحليم وكاظم، علي مهدي (2006)، مقياس جودة الحياة لطلبة الجامعة، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة، أيام 17-18-19 ديسمبر، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ص ص 63- .78

31- نصيف، عماد عبد الأمير (2015)، التفاؤل المتعلم والإبداع الانفعالي وعلاقتها بالتدفق النفسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد/ العراق.

32- نعيسة، رغداء علي (2012)، جودة الحياة لدى طلبة جامعتي دمشق وتشرين (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق وتشرين)، مجلة جامعة دمشق/ سوريا، المجلد (28)، العدد (1)، ص ص 145-181.

الوضع القانوني للاجئين البيئيين في القانون الدولي

د. زهرة بوسراج
كلية الحقوق –جامعة عنابة

الملخص:
خلال عدة سنوات، كان هناك تزايد في مبادرات الاعتراف باللاجئين البيئيين وحمايتهم. هذا المفهوم يثير تساؤلات: ألا يتسبب ذلك في ارتباك شديد في القانون الدولي الحالي؟ وتنشأ مسألة "وضع اللاجئين الإيكولوجيين" لكفالة بقائهم على قيد الحياة ولتجنب الصراعات في المستقبل. في هذا المقال، سيتم تتبع الإجراءات المختلفة للترويج للمفهوم قبل دراسة الإمكانات (الضعيفة) للأدوات القانونية الحالية لتوفير الحماية لهؤلاء اللاجئين. وأخيرا، تختتم الدراسة بمقترحات لحماية "اللاجئين البيئيين".
الكلمات المفتاحية: لاجئ بيئي، وضع، قانون دولي، مبادرة نانسن.

Abstract :
For several years, there has been a multiplication of actions for the recognition and protection of environmental refugees. This concept raises questions. Does it not lead to serious confusion with existing international law? The question of the « status of ecological refugees'' arises both to ensure their survival and to avoid future conflicts. In this article, the different actions of promotion of the concept will be traced before studying the (weak) potentialities of the current legal tools to offer protection to these refugees. Finally, ends with proposals for protections for "environmental refugees".
Key Words : environmental refugee, status, International Law, Nansen initiative.

مقدمة:

على مدى السنوات العشرين الماضية أو نحو ذلك، تغير السياق الدولي وتفاوتت أسباب تدفقات الهجرة (الاضطهاد من المتمردين ، والفصائل ، وما إلى ذلك). كما ظهرت أسباب جديدة تدريجيا للهجرة. وبالفعل، فقد أدى اختلال الدول القومية وتضاعف الحروب الأهلية والعرقية إلى تغيير سياق الهجرة. في الوقت نفسه، منذ سبعينيات القرن العشرين، كان هناك وعي بضرورة حماية كوكب الأرض من التهديد البيئي، ظهرت معه الحاجة إلى حماية الأشخاص الذين يفرون من الجفاف ومن الكوارث الطبيعية و/أو الصناعية إلى الواجهة. ولكن في الآونة الأخيرة فقط، في أوائل التسعينيات، أصبحت قضية اللجوء البيئي حالة طارئة، رغم أنها كانت موجودة منذ بداية البشرية.

التهجير القسري لأسباب بيئية ليس ظاهرة حديثة، فقد أدت ندرة موارد الأراضي وتدهور البيئة إلى موجات من الهجرة إلى الخارج و/ أو الصراعات عبر التاريخ. الهجرة وحركة السكان بشكل عام هي جزء من التاريخ البشري وآلية تكيفية هامة. لذلك كان من الصعب دائما التمييز بين "اللاجئين البيئيين" و"المهاجرين الاقتصاديين". هرب ثلاثة ملايين شخص من "وعاء الغبار" في ثلاثينيات القرن العشرين، بينما غادر

700000 معظمهم من السود الفقراء إلى الولايات الشمالية في أعقاب فيضان دلتا ميسيسيبي في عام 1927. وعكست قراراتهم في العديد من الحالات مجموعة من الضغوط والطموحات.

منذ عام 1990 دفع الفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ بأن أعظم أثر لتغير المناخ قد يكون على الهجرة البشرية. وفي عام 1998، قدر أن أكثر من 25 مليون شخص تركوا منازلهم أو مناطقهم أو بلدانهم لأسباب بيئية. ووفقا لدراسة نورمان مايرز، أستاذ بجامعة أوكسفورد، فإنه "عندما تهيمن ظاهرة الاحترار العالمي، قد يضطر نحو 200 مليون نسمة إلى النزوح بسبب اضطرابات نظم الرياح الموسمية وغيرها من أنظمة سقوط الأمطار، وبسبب موجات جفاف تصل حدتها ومدتها إلى مستويات لم يسبق لها مثيل، وكذلك بسبب إرتفاع منسوب مياه البحر والفيضانات الساحلية"[1]. وحتى إذا كان هذا التقدير استكشافيًا وقدم بحذر شديد ، فإن عدد "اللاجئين الإيكولوجيين" في المستقبل يتطلب دراسة مبكرة لمستقبلهم.

وتتفاوت التقديرات الأخرى تفاوتا واسعا من حيث الأعداد والإطار الزمني والمسببات، فقد أصدر معهد البيئة والأمن البشري التابع لجامعة الأمم المتحدة في عام 2005 تحذيرا مفاده أنه يجب على المجتمع الدولي الاستعداد للتعامل مع 50 مليون "لاجئ بيئي" بحلول عام 2010. إلا أن برنامج الأمم المتحدة للبيئة يرى أنه بحلول عام 2060 قد يصل عدد "اللاجئين البيئيين" إلى 50 مليون نسمة في إفريقيا وحدها. ويبقى تقدير مايرز الأكثر قبولا ويستشهد به على نطاق واسع، إلا أن تكرار اقتباس أو ذكر هذه الأرقام لا يعني بالضرورة دقتها[2].

أول مرة طرح اللجوء البيئي فيها كإشكالية قانونية دولية كانت عندما طلب رجل يدعى إيوان تيتيوتا من محكمة في نيوزيلندا عام 2013 حق اللجوء البيئي له ولعائلته، بسبب ارتفاع مستوى مياه البحر والمخاطر البيئية التي يسببها الاحتباس الحراري في بلاده كيريباتي. فهذه الدولة الصغيرة في المحيط الهادئ، القائمة على مجموعة جزر، هي موطن لنحو مئة ألف نسمة، لكن علماء يتوقعون أن تصبح غير صالحة للسكن خلال 20 عاماً بسبب ارتفاع مستوى البحر. إلا أن طلب هذا الرجل رُفض، باعتبار أنه لا يوجد بند في القانون الدولي يختص بتنظيم شؤون اللاجئين البيئيين.

رجل آخر يدعى سجيو أليسانا، من دولة توفالو القريبة في المحيط الهادئ التي تضم تسع جزر ويقطنها 11 ألف نسمة وهي مهددة أيضاً بارتفاع مستوى البحر، تقدم أيضاً بطلب اللجوء هو وعائلته إلى نيوزيلندا. وقد رفض الطلب في البداية، لكن بعد سجال قانوني تم قبوله في آب (أغسطس) 2014، وكان من مبررات القبول في المحكمة الآثار الإنسانية الاستثنائية الناتجة عن تغير المناخ.

طرحت هذين الحادثتين مشكلة قانونية جديدة هي: ضمن أي إطار يمكن تصنيف هذه الفئة؟ ومن ثم بدأ البحث لإيجاد إطار قانوني لها من خلال تعريفها ومعرفة علاقتها ببعض المسائل القانونية التي ترتبط بها

[1]- أولي براون، لعبة الأرقام، نشرة الهجرة القسرية "تغير المناخ والنزوح، عدد 31، مركز دراسات اللاجئين، جامعة أكسفورد، ديسمبر 2008، ص 8.

[2]-نفس المقال.

على الصعيد الدولي. يجب أن يفكر رجال القانون أيضًا في هذه المشكلة "الجديدة"، من خلال إيجاد وبناء الأدوات اللازمة لتوفير الحماية للأشخاص الذين يبحثون عن "ملجأ إيكولوجي"[1].

اليوم، تنجم العديد من عمليات الهجرة القسرية عن "أسباب إيكولوجية" متنوعة للغاية، كوارث طبيعية أو تكنولوجية سريعة الأثر (زلازل، أعاصير، عواصف، تسونامي، حوادث صناعية كبرى... إلخ) أو كوارث تدريجية الانتشار، ولكن على نفس القدر من الخطورة (الجفاف، وارتفاع مستوى سطح البحر، والتصحر... إلخ). وقد تم جمع هؤلاء الضحايا تحت التصنيف الجديد "اللاجئين البيئيين" أو "اللاجئين الإيكولوجيين". فمن هم ضحايا هذه الكوارث الحالية والمستقبلية التي تجبرهم على الهجرة؟ كيف يمكن حمايتهم؟

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة هذه الفئة "الجديدة" من اللاجئين (المطلب الأول) ، والبحث عما إذا كان القانون الدولي يمنحها وضع قانوني ومن ثم يوفر لها قواعد حماية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: من هو اللاجئ البيئي؟

في السنوات الأخيرة، ركز الخبراء والأكاديميون - جميع التخصصات مجتمعة - قبل كل شيء على المناقشات حول المصطلحات والتعريفات. هل ينبغي الحديث عن "المهاجرين" أو "اللاجئين" أو "النازحين" أو ببساطة التنقل أو النزوح، وما إلى ذلك؟ ؟ هل ينبغي أن يقتصر النقاش حول لاجئي المناخ (ضحايا تغير المناخ) أم يشمل اللاجئين البيئيين أو الإيكولوجيين (ضحايا الكوارث الطبيعية ، ومشاريع التنمية ، والكوارث الصناعية ، وما إلى ذلك)؟

ولكن وراء هذه المصطلحات المختلفة تكمن حقيقة معقدة وغير مفهومة، أولا وقبل كل شيء، صعوبة إقامة الروابط بين التدهور البيئي والهجرات التي تسببها. والواقع أن أسباب الهجرة متداخلة بسبب الترابط بين أسباب المغادرة (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية، إلخ). بعد ذلك، يصعب إثبات برمجة الهجرة وفقًا لتغير المناخ وتأثيراته بسبب عشوائية التقديرات المقدمة. هناك اختلافات كبيرة بين الدراسات التي تشير إلى عدد اللاجئين البيئيين في السنوات ال 50 المقبلة، ويعود سبب ذلك الاختلاف لكونها لا تأخذ في الاعتبار جهود التكيف التي يمكن أن تقوم بها الشعوب المعنية. وبالتالي، فإن أهمية وجود تعريف واضح ومعترف به بالإجماع سيكون أمراً حاسماً لدقة العمليات الإحصائية ووضع حماية قانونية لهذه الفئة.

الفرع الأول: حول اختيار المصطلح: "لاجئ بيئي" أم "نازح بيئي" أم "مهاجر بيئي".

أدت المناقشات حول الروابط بين التدهور البيئي والهجرة القسرية إلى ظهور مجموعة من المصطلحات شديدة الجدل ولا سيما اللاجئون البيئيون، ولكن أيضًا المهاجر البيئي، والمهاجر البيئي القسري،

---

[1] Christel COURNIL: « Les réfugiés écologiques:Quelle(s) protection(s),quel(s) statut(s) ? », REVUE DU DROIT PUBLIC, No 4-2006, IMPRIMERIE FRANCE QUERCY, France, 24-07-2006, p. 1036.

والمهاجر ذي الدوافع البيئية، واللاجئ المناخي، واللاجئ من تغير المناخ، والمشرد بيئيًا، لاجئ كوارث، نزوح بيئي، لاجئ بيئي، شخص مشرد بيئي ولاجئ بيئي محتمل.

وكما أشار كريستل كورنيل Christel Cournil، استاذ محاضر في القانون العام (جامعة باريس 13) وواحد من مؤلفي كتاب (الهجرة البيئية ، القضايا والحوكمة):

« Réfugiés environnementaux, réfugiés écologiques, réfugiés climatiques, migrants environnementaux, éco réfugiés, personnes déplacées en raison d'une catastrophe naturelle… constituent les nombreuses expressions utilisées pour décrire les déplacements de populations en raison de dégradations de l'environnement. »

من وجهة نظر قانونية، اللاجئ هو الشخص الذي عبر الحدود، ومع ذلك، "هذه الهجرات هي في الأساس هجرات داخلية، والهجرة الدولية هي الاستثناء وليس القاعدة[1]. وكما أشار François Gemenne، فإن مصطلح "لاجئو المناخ"، المستخدم بانتظام اليوم، هو تسمية خاطئة "[2].

تشير الدراسات والأبحاث إلى أن إحدى القضايا الخلافية في هذا الموضوع تتعلق بالصفة التي تلحق بالنازحين بسبب الكوارث البيئية فيما إذا كان من الممكن اعتبارهم لاجئين أو مهاجرين، إذ أن هذا الاختلاف ليس لفظيا فقط بل قد تنطوي عليه التزامات حقيقية من المجتمع الدولي تجاه اللاجئين البيئيين.

كما أن المنظمات الدولية بما فيها المفوضية السامية لشؤون اللاجئين تتجنب استعمال مصطلح (اللاجئ البيئي)، إذ أكدت منظمة الهجرة الدولية أن الأشخاص المهاجرين لأسباب بيئية لا ينتمون إلى أي فئة من الفئات الواردة في الإطار القانوني الحالي[3]، على الرغم من تداول المصطلح في الميادين الأخرى كما أنه مستعمل في المصادر غير الرسمية للقانون الدولي مثل القانون اللين[4]. وهو ما صرح به Christel Cournil في قوله:

"le HCR s'est clairement positionné sur l'utilisation erronée des expressions de 'réfugiés climatiques' ou de 'réfugiés environnementaux' qui, selon lui, conduit à une confusion grave avec le droit international existant."

في سياق التحديات المتزايدة للحق في اللجوء ، يجب أن يظل المفهوم القانوني محددًا بوضوح، لأن التوسع في المفهوم قد يؤدي إلى تضاعف عدد الأشخاص المعنيين عشرين مرة مما يعرض وجود هذه الحماية وآلياتها للخطر. بالإضافة إلى عدم دقتها القانونية وتأثيرها السلبي المحتمل بالنسبة للاجئين

[1] Julien Bétaille, « Des "réfugiés écologiques" à la protection des "déplacés environnementaux" éléments du débat juridique en France », Hommes et migrations [En ligne], 1284 | 2010, mis en ligne le 29 mai 2013, consulté le 22 mai 2018. URL : http://hommesmigrations.revues.org/1257

[2] Frédéric Tiberghien, 'Réfugiés' écologiques ou climatiques : de nombreuses questions juridiques en suspens", Accueillir, n° 246, p. 17.

[3]-عرفت المادة الأولى فقرة أ من اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين اللاجئ بأنه: كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت قبل الأول من كانون الثاني وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة معينة أو آراءه السياسية خارج بلد جنسيته ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابقة نتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك التخوف أن يعود إلى ذلك البلد".

[4]- غسان الجندي، القانون الدولي لحماية البيئة، الأردن، 2004، ص 60.

السياسيين، فإن مصطلح "اللاجئ" يتجاهل أيضاً حقيقة مهمة، وهي أن الغالبية العظمى من المهاجرين البيئيين هم نازحين داخلياً مقارنةً مع النازحين عبر الحدود[1]. وبعبارة أخرى، يؤدي استخدام مصطلح "لاجئ" إلى استبعاد أغلبية الأشخاص الذين ينزحون لأسباب بيئية من النقاش.

التخيير بين مصطلحي "النازحين" و"المهاجرين" هو أقل غموضا، وتميل منظمة الهجرة الدولية إلى الحديث عن الهجرة والتنقل، وتشمل الهجرة النزوح الناجم عن عوامل بيئية ولكنها تكون طواعية وبمبادرة من الأشخاص، ومن ثم يبدو هذا المصطلح أوسع من النزوح.

إن مصطلح "النازحين" استخدم بشكل خاص من قبل أكاديميي ليموج les universitaires limougeauds مؤلفي مشروع اتفاقية نانسن، بالإضافة إلى جزء من المذهب الأنجلو ساكسوني. وتتمثل ميزته الرئيسية في الجمع بين الحركة عبر الحدود "اللاجئين" والنزوح الداخلي. حيث أن هذا المصطلح يستعمل عموما لوصف النزوح الحاصل داخل حدود الدولة، ومع ذلك فإن عدم تدعيم مصطلح "نازح" بالصفة "داخلي" قد يشمل التحرك خارج حدود الدولة[2].

إذا كان مصطلح "المناخ" للوهلة الأولى يبدو أكثر اختزالاً من "بيئي"، فهما مرادفان في الاستعمال. تستخدم مبادرة "نانسن" مصطلحات "النزوح الناجم عن الكوارث" disaster-induced displacement، وقد تكون الكوارث المعنية مفاجئة (الزلازل، الانهيار الأرضي ...) أو تدريجية (ارتفاع منسوب المياه، التصحر ...).

في النهاية، يبدو أن مصطلح "النازحون بيئيا"، الذي تستخدمه المنظمة الدولية للهجرة، هو الأوسع والأكثر ملاءمة. في المقام الأول ، فإن مصطلح "النازحون البيئيون" يحول دون وجود أي لبس مع مصطلح "لاجئ" في اتفاقية جنيف لعام 1951، الذي تبعده عن جميع الاعتبارات البيئية لصالح الاعتبارات السياسية. وثانيا، إن مصطلح " النازحون البيئيون" يفرض مسافة مقابل مسألة الاحترار العالمي، أين تختلف الحلول التي يمكن تصورها بناء على ذلك، عندما يتعلق الأمر بدراسة نزوح السكان الذين يقعون ضحية أحداث لمرة واحدة لا تدوم إن لم يكن للعواقب المستمرة الناتجة عن هذا الاحترار. وأخيراً ، فإن مصطلح "النازحون بيئيًا" يوسع دائرة الحوكمة العالمية المرتبطة بالهجرة لتشمل النازحين البيئيين الذين لا يعبرون بالضرورة حدود الدولة. وتحديد المصطلح الأقرب لهذه الفئة غير كاف إذ يجب البحث عن تعريف دقيق يفرق هذه الفئة عن غيرها من أصناف اللاجئين.

الفرع الثاني: تعريف اللاجئ البيئي.

[1] Patricia Savin, Yvon Martinet, George J. Gendelman, "Problématique des déplacés environnementaux, il est grand temps d'agir", DROIT DE L'ENVIRONNEMENT n° 232 - Mars 2015, pp 86-88.

[2] Julien Bétaille, Op. Cit.

في حين أن قضية النزوح المتعلقة بالكوارث البيئية كانت موجودة منذ بداية الإنسانية ، إلا أنها لم تذكر بوضوح إلا في عام 1948 من قبل عالم البيئة Willian Vogt، هذا الأخير أشار فقط إلى زيادة هذه الهجرات[1]. ثم ظهر مصطلح اللاجئ البيئي في السبعينات من القرن الماضي بواسطة العالم البيئي (ليستر براون) مؤسس منظمة (World watch) – هي أول مؤسسة بحثية معترف بها من قبل قادة الرأي في جميع أنحاء العالم- عندما قامت المنظمة بعمل أبحاث تختص بالبيئة تحت رعاية برنامج الأمم المتحدة للتنمية، وكان من ضمن المواضيع المنبثقة عنها، زيادة الروابط بين الهجرة الداخلية والدولية والبيئة.

وقد حدد عالم البيئة البريطاني نورمان مايرز ، الذي كتب على نطاق واسع حول التغير البيئي وتشريد السكان لعدة عقود، اللاجئين البيئيين على النحو التالي: "الناس الذين لم يعد بإمكانهم كسب رزق آمن في أوطانهم بسبب الجفاف، وتآكل التربة، والتصحر، وإزالة الغابات وغير ذلك من المشاكل البيئية، إلى جانب المشاكل المرتبطة بالضغوط السكانية والفقر الشديد. في حالة يأسهم، يشعر هؤلاء الناس أنه ليس لديهم بديل سوى البحث عن ملاذ في مكان آخر، مهما كانت المحاولة خطرة. لم يفر جميعهم من بلدانهم، حيث نزح العديد منهم داخلياً. لكن الجميع تخلوا عن أوطانهم على أساس شبه دائم إن لم يكن دائمًا، مع أمل ضئيل في عودة متوقعة "[2].

في مطلع التسعينات أي بعد ما يقارب عشرين سنة على التعريف الذي وضعه براون، نشر برنامج الأمم المتحدة للبيئة سنة 1985 بحثا بعنوان "اللاجئون البيئيون". أعده الباحث المصري (عصام الحناوي)، وقد شملت الدراسة التي أجراها الحناوي حالات التشرد بسبب الجفاف في إفريقيا وضحايا بوبال ومشردي زلزال المكسيك، إذ عرف اللاجئين البيئيين بأنهم "اللاجئون الذين اضطروا طوعا أو قسرا لترك مناطقهم وديارهم بسبب أحداث واضطرابات، طبيعية أو من صنع البشر، متصلة بالبيئة، وأدت إلى تهديد وجودهم أو الإضرار بمستوى عيشهم". وحدد ثلاث فئات واسعة من المهاجرين البيئيين: الأشخاص الذين نزحوا مؤقتاً ولكنهم يستطيعون العودة إلى منازلهم الأصلية عند إصلاح الضرر البيئي؛ الأشخاص الذين نزحوا بشكل دائم وتمت إعادة توطينهم في أماكن أخرى؛ والأشخاص الذين يهاجرون من منازلهم الأصلية بحثاً عن نوعية حياة أفضل عندما يتدهور موطنهم الأصلي إلى درجة أنه لا يلبي احتياجاتهم الأساسية.

من الضروري التساؤل عما إذا كان هذا التعريف الذي قدمه الحناوي لا يزال صالحًا أو ما إذا كان قد تم توسيعه أو تضييقه. يبدو من الضروري التشكيك في تعريف اللاجئين الإيكولوجيين الذين يستخدمهم المجتمع الدولي بأكمله: هل ينطبق هذا التعريف على جميع اللاجئين الإيكولوجيين؟ في الواقع، هناك عدة

---

[1] Christel COURNIL et Pierre MAZZEGA : « Catastrophes écologiques et flux migratoires : Comment protéger les « réfugiés écologiques » ? », Revue européenne de droit de l’environnement, n° 4 , Bruxelles, décembre 2006, pp. 417-427.

[2] - Norman Myers and Jennifer kent: "Environmental exodus: An Emergent crisis in the Global Arena", Washington: Climate Institute, 1995, pp. 18- 20.

فئات من اللاجئين الإيكولوجيين. ويمكن أن يكون هؤلاء الضحايا ضحايا لكارثة طبيعية أو صناعية أو مختلطة ولكن أيضا ضحايا التهديدات العسكرية، وسياسات التخطيط، وسياسات حماية البيئة، الخ ...[1]

كان تعريف الاجئين البيئيين الذي ألقاه عصام الحناوي عام 1985 واسعًا للغاية. علاوة على ذلك، لم يذكر فكرة "الكارثة"، في حين يعتمد مصطلح "الكارثة" كمرجع عند طرح إشكالية اللاجئين البيئيين. وعلى سبيل المثال، يشير الإعلان الخطي المقدم إلى البرلمان الأوروبي والمعد من طرف Marie Isler Béguin et Jean Lambert في 9 فيفري 2004 حول "النظام القاري للاجئ الإيكولوجي"[2] إلى مصطلح "الكارثة البيئية" ضمن عقود الصناعة الغربية غير المستدامة « décennies d'industrialisme occidental non soutenable ». لكن اللاجئين البيئيين يمكن أن يكونوا أيضاً ضحايا للتدمير البيئي الناجم عن مشاريع تخطيط استخدام الأراضي مثل بناء السدود، أو حتى الدمار البيئي الذي تسببه الحروب مثل ممارسة سياسة "الأرض المحروقة".

يعرف اقتراح التوصية المقدمة إلى برلمان مجلس أوربا حول مشكل اللاجئين البيئيين[3]، اللاجئ البيئي مقارنة بالتدهور البيئي، في حين أن اللاجئين البيئيين ليسوا فقط ضحايا تدمير البيئة، يمكن أن يكونوا أيضا ضحايا سياسات حماية البيئة. في هذا السياق نذكر مثلا: طرد السكان من المناطق المحمية. وأخيراً، تجدر الإشارة إلى أن فكرة "خرق النظام العام البيئي" تتوافق مع التعريف الذي اقترحه عصام الحناوي حيث أنه يتحدث عن "اضطراب بيئي (طبيعي أو من صنع الإنسان)" عرض للخطر وجودهم وأثر بشكل خطير على نوعية حياتهم ".

حق الإنسان في البيئة هو حق واسع يحيل إلى حقوق أخرى مثل الحق في الحياة والحق في الصحة. وفي هذا الصدد، فإن استخدام حق الإنسان في البيئة سيجعل من الممكن فهم كل فئة من هؤلاء اللاجئين الإيكولوجيين. وبالفعل، فإن الانتهاك الخطير لحق الإنسان في البيئة الناتج عن خرق النظام العام الإيكولوجي[4] يسمح بإتباع نهج عالمي، سواء كانت كارثة طبيعية أو كارثة صناعية أو دمار بسبب الحروب أو سياسة للتخطيط أو تدابير حماية البيئة، في كل حالة منها يكون تمتع السكان بحقه في بيئة قد انتهك.

---

[1] Dorothée Lobry, "Pour une définition juridique des réfugiés écologiques : réflexion autour de la qualification juridique de l'atteinte à l'environnement ", *REVUE Asylon(s)*, N°6, novembre 2008, Exodes écologiques, url de référence:
http://www.reseau-terra.eu/article846.html, p. 2.

[2] DC/523175FR.doc, PE 342.103 Or.fr, 9 février 2004. Déclaration rendue caduque.

[3] doc. 11084, Proposition de recommandation au Parlement du Conseil de l'Europe du 23 octobre 2006

[4] - بدأ التفكير في مفهوم النظام العام البيئي خلال مؤتمر دولي انعقد بكلية الحقوق جامعة Bourgogne خلال الفترة 6-7 فيفري 2003. وفقا للفقه، يوجد اليوم نظام عام بيئي يشمل "مجموعة من القواعد المقبولة والمعترف بها من قبل الجميع والتي تهدف إلى حماية العمليات الإيكولوجية التي تدعم جميع أشكال الحياة من منظور ضمان التنمية المستدامة ورفاه الإنسانية "، ويعرف أيضا بأنه: "مجموعة من المبادئ التي وضعت لتحقيق المصلحة العامة للبشرية جمعاء تقوم على مبدأ العدالة البيئية الذي يضمن حفظ الموارد الطبيعية وتوازنها فيما بينها وبين الإنسان وكذلك ضمان الوصول العادل إلى هذه الموارد لجميع الأشخاص وجميع الأنواع الحية الأخرى ". لمزيد من التفاصيل راجع:

على ضوء ما تقدم يستحسن، تجنبا لإقصاء أي فئة، تعريف اللاجئين البيئيين، بأنهم الأشخاص الذين يتعرض حقهم في البيئة لإنهاك خطير violé gravement.[1]

وفي إطار آخر، عرفت المنظمة الدولية للهجرة المهاجرين البيئيين في أحد منشوراتها عام 2007، بأنهم: "أشخاص أو مجموعات من البشر الذين يجبرون على مغادرة أماكن سكنهم أو يختارون ذلك بصورة مؤقتة أو دائمة لأسباب قاهرة نتيجة لتغيير مفاجئ أو تدريجي في البيئة يؤثر سلبا على حياتهم أو ظروفهم المعيشية، إذ ينتقلون إما داخل بلدانهم أو خارجها".

يمكن المقارنة بين التعريفين السابقين في نقاط أهمها:

-أضاف تعريف المنظمة الدولية للهجرة عنصر التوقيت والديمومة بينما لم يتطرق عصام الحناوي إلى هذه النقطة.

-اشترك التعريفان في التركيز على عنصر الخطر الجسيم الذي يواجهه اللاجئون البيئيون (المتضمن تهديد وجودهم أو الإضرار بمستوى عيشهم).

- يتميز تعريف المنظمة الدولية للهجرة بنقلة نوعية مهمة، بذكره لعنصر مهم جدا يتمثل في الوجهة التي يقصدها اللاجئون البيئيون، بينما غفل تعريف عصام الحناوي عن ذلك.

أما المادة الثانية من مشروع المعاهدة الخاصة باللاجئين البيئيين (مبادرة نانسن) فقد عرفتهم على أنهم: "النازحين بيئيا هم الأفراد والأسر والأشخاص الذين يواجهون انقطاع حاد أو غدرا لبيئتهم التي تؤثر حتما على معيشتهم وإجبارهم على ترك في حالة الطوارئ أو في الوقت المناسب، الأماكن المعتادة لحياتهم ويؤدي إلى إعادة توطينهم".[2]

يمكن تقسيم اللاجئ البيئي إلى ثلاث فئات:

-النازحزن مؤقتا: نتيجة وجود إجهاد بيئي مفاجئ، كالزلازل والأعاصير والفيضانات....، وغالبا ما يعود هؤلاء إلى أماكنهم المعتادة بعد انتهاء الكارثة. إذ أن هذه الكوارث تتصرف بالوقتية.

-النازحون بصورة دائمة نتيجة وجود تغيير بيئي دائم يحدث في مناطق سكنهم المعتادة مما يضطرهم إلى تركها، كما في حالة بناء مشروع إنمائي يؤثر على البيئة، كبناء السدود والبحيرات الاصطناعية، وغالبا ما يلجأ هؤلاء الأشخاص إلى أماكن داخل حدود دولتهم.

Nadia Belaidi, « *La lutte contre les atteintes globales à l'environnement : vers un ordre public écologique* », Bruylant, Bruxelles, 2008, p. 461
Nadia Belaidi, « Identité et perspectives d'un ordre public écologique », *Droit et cultures*, 68 | 2014, pp. 15-49.
[1] Dorothée Lobry, Op.Cit. p. 09.
[2]-«déplacés environnementaux» les personnes physiques, les familles et les populations confrontées à un bouleversement brutal ou insidieux de leur environnement portant inéluctablement atteinte à leurs conditions de vie et les forçant à quitter, dans l'urgence ou dans la durée, leurs lieux habituels de vie et conduisant à leur réinstallation et à leur relogement ».

-النازحون بصورة دائمة بسبب حدوث كارثة بيئية تدريجية تؤثر في حياة الأشخاص ومصادر رزقهم وسبل العيش التي يعتمدون عليها، إذ إن هؤلاء الأشخاص يتركون أماكن سكنهم المعتادة بحثا عن ظروف معيشية أفضل[1].

المطلب الثاني: الحماية القانونية المقررة للاجئ البيئي في القانون الدولي.

على مدى عقد من الزمن، لوحظ تنوع في المبادرات التي أطلقت للتعريف باللاجئين البيئيين وحمايتهم (نداءات، إعلانات، توصيات... إلح).

سيتم تتبع المحاولات الدولية المختلفة لتعزيز المفهوم (الفرع الأول) قبل التفكير في الإمكانات (الضعيفة) للأدوات القانونية الحالية لتوفير الحماية لهؤلاء اللاجئين (الفرع الثاني). ثم النظر في المقترحات الخاصة بحماية "اللاجئين البيئيين" التي أتت بها المبادرات الحديثة (الفرع الثالث).

الفرع الأول: تضاعف المطالب الدولية من أجل الاعتراف باللاجئ البيئي وحمايته.

في السنوات الأخيرة، اتجهت العديد من الجهود إلى التركيز على الاعتراف باللاجئين البيئيين على حد سواء من قبل السكان المعنيين أو ممثليهم، من قبل المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات أو الأكاديميين سواء لأغراض الإعلام والتوعية السياسية أو لأغراض بحثية.

كانت من أولى المبادرات التوعوية، الإجراءات التي اتخذت لمواجه الوضع الذي تمر به دولة Tuvalu وهي عبارة عن أرخبيل صغير في المحيط الهادئ مهدد بالاختفاء بسبب ارتفاع منسوب المياه. حيث سعت جمعيات متخصصة وممثلي توفالو إلى إبلاغ المجتمع الدولي بمشكلة اختفاء أرخبيلهم بسبب عواقب تغير المناخ والتوصية على وجه الخصوص بالتصديق العاجل على بروتوكول كيوتو. في عام 2002، فكرت حكومة توفالو بالدخول، قبل الاستسلام، في محاكمة دولية كبيرة عن طريق مهاجمة المتسببين الرئيسيين لغازات الدفيئة (أستراليا). واليوم، كثيرا ما يصور الناس في توفالو من قبل وسائل الإعلام على أنهم "أول ضحايا تغير المناخ"، وأول لاجئي مناخ. وتتيح هذه التعبئة لدولة توفالو مواصلة تلقي المزيد من المعونة الدولية والاستفادة من برامج التنمية النظيفة. وحتى الآن، لم يحشد سكان توفالو الكثير من أجل الاعتراف الدولي باللاجئين بسبب المناخ لأن معظمهم لا يرغبون في مغادرة أرخبيلهم ويفضلون الدفاع عن استراتيجيات التكيف مع الجزر.

وقد دعت المبادرات التي أطلقتها المنظمات غير الحكومية أو جماعات حقوق الإنسان إلى حماية اللاجئين لأسباب بيئية. فمثلا في 2004، أطلقت جمعية « Living Space for Environnemetal Refugee » (LISER)، التي أنشئت لتعزيز الاعتراف بالاجئين البيئيين وحمايتهم، «مبادرة توليدو بشأن اللاجئين البيئيين واستعادة البيئة». وفي 2007، نشرت المنظمة غير الحكومية "أصدقاء الأرض" - « les Amis de la Terre »

[1] S. B. Pentinat : « Environnemental refugees : Problems and challenges for International Law », p. 323.

« Australie وثيقة [1] تهدف إلى التعريف بلاجئ المناخ وشرح آثار تغير المناخ على بعض السكان المعرضين له بشكل خاص. وبالمثل، في ماي 2007، أصدرت منظمة Christian Aid غير الحكومية تقريرا بعنوان "المد البشري، أزمة الهجرة الحقيقية"[2] حول الهجرة الدولية في المستقبل تم الإفصاح فيه عن الرقم المذهل لمليار مهاجر قسري بحلول عام 2050.

كما اتخذت العديد من المبادرات الفردية للضغط السياسي تهدف للدفع نحو الإعتراف بحماية قانونية للاجئ المناخ في القانون. في عام 2006، دعا حزب العمال الأسترالي إلى التفكير بشأن الإعتراف بـ "حق اللجوء البيئي". وفي جويلية 2007، اقترحت البرلمانية Kerry Nettle (حزب البيئة الأسترالي) تعديل قانون الهجرة من خلال الدعوة إلى إنشاء فئة جديدة من تأشيرات "تأشيرة لاجئ المناخ" تسمح باستقبال 300 شخص في السنة من توفالو وجزر المحيط الهادئ الأخرى. في جوان 2008 التقى رئيس كيريباتي Anote Tong مع وزير التغيرات المناخية والمياه الأسترالي Penny Wong ليطلب منه فتح الحدود أمام اللاجئين البيئيين المحتملين من جزر المحيط الهادي. في أوروبا، تم اتخاذ إجراءات سياسية مماثلة. على سبيل المثال، في عام 2004، اقترحت عضوتي البرلمان الأوروبي Marie-Anne Isler Béguin et Jean Lambert التصويت على "إعلان بشأن الاعتراف بنظام قاري للاجئين الإيكولوجيين". في عام 2006، قدمت الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا اقتراحًا بشأن توصية بشأن اللاجئين الإيكولوجيين. ومنذ ذلك الحين ، تنظر لجنة الهجرة واللاجئين والسكان التابعة لمجلس أوروبا في مشروع اتفاقية أوروبية بشأن اللاجئين البيئيين[3].

في الأخير، تهدف جميع هذه المبادرات إلى زيادة الوعي لدى الرأي العام والسياسيين بالآثار البشرية لتدهور البيئة ولا سيما تهجير السكان المهددين نتيجة تغيّر المناخ. كما أنهم يشجعون الحكومات على اتخاذ موقف والتصرف من أجل الاعتراف بحماية اللاجئين البيئيين وحمايتهم. إن دول الشمال صامتة بشكل خاص حول هذه القضايا، متوترة للغاية بسبب القضايا الحالية المتعلقة بترشيد سياسات الهجرة والخطابات الأمنية. يمكننا أيضا أن نتساءل عن تأثير هذه الإجراءات من الضغط، ورفع الوعي، وصحوة الضمائر التي قد تكون متعارضة في سياق إغلاق الحدود[4].

الفرع الثاني: الحماية المقررة للاجئ البيئي في القانون الدولي الحالي.

على صعيد القانون الدولي الحالي يلاحظ أن النصوص "المتخصصة" المتعلقة بالأجانب واللاجئين، صامتة بشأن هذه القضية.، لا نجده يحمي اللاجئ البيئي بقواعد وقوانين خاصة به بصورة مباشرة، سواء القانون الدولي للاجئين أو القانون الدولي لحقوق الإنسان أو القانون الدولي الإنساني وحتى القانون الدولي

[1] A citizen’s guide to climate refugees published on the site: (http://www.liser.org/Citizen’s%20Guide_2007_small.pdf)
[2] CHRISTIAN AID REPORT, Human tide, the real migration crisis, May 2007, p 28.
[3] Christel Cournil, "A la recherche d’une protection pour les « réfugiés environnementaux » : actions, obstacles, enjeux et protections ", REVUE Asylon(s), N°6, novembre 2008, Exodes écologiques, url de référence: http://www.reseau-terra.eu/article843.html
[4] -Ibid.

للبيئة، كلها لا تمنح اللاجئ البيئي وضعا قانونيا واضحا يمكنه من الاستفادة من الحماية التي توفرها قواعدها.

توفر اتفاقية جنيف لعام 1951 نظام حماية للأشخاص الذين يعبرون حدود دولتهم والذين تتوفر فيهم الشروط الواردة في مادتها الأولى والتي لم يرد ذكر اللاجئين البيئيين ضمن صياغتها. سنحاول البحث عما إذا كان بإمكان تفسير الاتفاقية تفسيرا موسعا لتشمل هذه الفئة بالحماية التي توفرها للاجئين.

أولا-امكانية امتداد أحكام اتفاقية جنيف 1951 لحماية اللاجئين البيئيين:

عرفت المادة الأولى فقرة أ من اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين اللاجئ بأنه: "كل شخص يوجد نتيجة أحداث وقعت قبل الأول من كانون الثاني وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة معينة أو آراءه السياسية خارج بلد جنسيته ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية ذلك البلد، أو كل شخص لا يملك جنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابقة نتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب ذلك التخوف أن يعود إلى ذلك البلد"

هذا التعريف المحدد قد يوحي بأن أي مناقشة حول وضع اللاجئين الإيكولوجيين غير مجدية. ومع ذلك، جاء في قرار المؤتمر بشأن الاتفاقية أنه لا يزال يمكن اعتبار الأشخاص الآخرين لاجئين من جانب الدول حتى وإن لم يستوفوا تعريف المادة الأولى من الاتفاقية. ومن ثم احتمال ادراج اللاجئين البيئيين ضمن أحكام الاتفاقية ممكن. وفي هذا الصدد ترك واضعو الاتفاقية مؤشرات لإمكانية تفسير الاتفاقية[1]، حيث تحيل ديباجة الاتفاقية إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة والتي جاء فيها:

"إذ يضعون في اعتبارهم أن ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة في 10 ديسمبر 1948، قد أكدا مبدأ تمتع جميع البشر دون تمييز بالحقوق والحريات الأساسية"

وهكذا، فإن وضع اللاجئ مرتبط بحقوق الإنسان الواردة في الإعلان، وبالضبط فإن المادة 25 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تكرس حق الإنسان في البيئة بالنص على أن: "لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة"، لا يبدو بالتالي أن إيجاد مركز للاجئين البيئيين يتعارض مع محتوى الاتفاقية. وعلاوة على ذلك، وكما يقتضي مفهوم "النظام العام الإيكولوجي"، ينبغي أن يستند تعريف اللاجئين الإيكولوجيين في هذا الصدد إلى انتهاك حق الإنسان في البيئة[2].

رغم وضع القانون الدولي لحقوق الإنسان الأساس لعدد من أشكال الحماية التكميلية، ومع ذلك فإن عدداً قليلاً فقط من الحقوق معترف بها حالياً على أنها تؤدي إلى التزام بعدم الإعادة القسرية. وفي السياق الحالي، فإن الحقوق الأكثر صلة هي حظر العودة إلى خطر حقيقي يتمثل في الحرمان التعسفي من الحياة، أو

[1] Dorothée Lobry, Op.Cit. p. 11.
[2] Ibid. p. 11.

المعاملة اللاإنسانية أو المهينة. ومع ذلك، على الصعيد الوطني، فإن ممارسة عدد متنوع من البلدان في منح شكل ما من الإذن بالبقاء للأشخاص الفارين من الكوارث الطبيعية تدعم فهم أن هؤلاء الأشخاص بحاجة إلى حماية دولية ، حتى ولو بشكل مؤقت فقط[1].

مما سبق يتضح أن تفسير الاتفاقية يسمح بالنظر في إمكانية إدراج اللاجئين البيئيين ضمن أحكامها ومن ثم تمكينهم من الاستفادة من الحماية التي توفرها ولكن كل ذلك ضمنيا فقط، فهل توفر الاتفاقيات الإقليمية حماية صريحة لهذه الفئة؟.

ثانيا- نطاق حماية اللاجئين البيئيين بالنسبة للصكوك الدولية الأخرى:

بالنسبة لبعض الصكوك الإقليمية المتعلقة باللاجئين، مثل اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية لعام 1969 التي تحكم الجوانب المحددة لمشكلات اللاجئين في أفريقيا، توسع نطاق تعريف "اللاجئ" للأشخاص الفارين من "الأحداث التي تهدد بشكل خطير الأمن العام "[2]، ويشمل هذا التعريف الواسع حالات الحروب الأهلية والعرقية ويوفر الحماية الدولية في حالة التدفق الهائل للمشردين. إذا نظرنا عن كثب إلى هذا التعريف، خاصة لمصطلحات " الأحداث التي تهدد بشكل خطير الأمن العام "، يمكننا أن نرى قابلية امتداد التعريف التقليدي لـ "اللاجئين البيئيين".

في الواقع، يشير الحفاظ على النظام العام بشكل عام إلى مخاوف السلامة العامة (التي يمكن أن تزعج في حالة وقوع كارثة صناعية خطيرة (Bophal 1984) ، والسلم والأمن العام، والصرف الصحي العام (الأضرار الناتجة في حالة الفيضانات الشديدة والجفاف والكوارث الطبيعية الأخرى (تسونامي، الزلازل، البراكين، الأعاصير، إلخ)). ومع ذلك، إذا كان هذا النص يبدو قابلاً للاستغلال، فإن تنوع قضايا اللجوء الإيكولوجي فضلاً عن العدد الكبير من الأشخاص الذين نزحوا في القارة الأفريقية لأسباب بيئية يجعل فعالية الحماية البيئية وتطبيقها أكثر فعالية[3]. ولكنه، لم يتم بعد اختبار هذا الموقف بشكل كامل. ومع ذلك، فقد أصبح من الممارسات الشائعة أو العرف في بعض المناطق توفير حماية مؤقتة للأشخاص الذين يعبرون الحدود الدولية للهروب من آثار الكوارث الطبيعية.

في الاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لاعتماد اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية [(4)]، أقرت وثيقة أديس أبابا بشأن اللاجئين والتشريد القسري في أفريقيا أن: "تدهور البيئة هو سبب لخلق حركات اللاجئين "[5]. وهكذا فإن هذه الوثيقة التي تفسر اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية تؤكد حقيقة أن تعريف

---

[1]- UNHCR, Summary of Deliberations on Climate Change and Displacement, Bellagio, Italy, from 22 to 25 February 2011, p 4.

[2]-المادة الأولى فقرة 2 من اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية التي تحكم المظاهر الخاصة بمشكلات اللاجئين في إفريقيا 1969.

[3] - Christel COURNIL, Op. Cit, p. 1044.

[4] Le Symposium commémoratif de l'OUA et du HCR sur les réfugiés et les déplacements de population forcés en Afrique a eu lieu à Addis Abeba, en Ethiopie, du 8 au 10 septembre 1994.

[5] Partie 2, section 1, 9

اللاجئين الإيكولوجيين يستند إلى مفهوم "خرق النظام العام الايكولوجي rupture de l'ordre public » écologique ».

كما وسعت اتفاقية كمبالا نطاق تعريفها للنزوح الداخلي في إفريقيا، حيث عرفت "النازحين داخليا أنهم الأشخاص أو المجموعات الذين اضطروا إلى الهروب أو مغادرة مساكنهم أو أماكن إقامتهم المعتادة، بصفة خاصة نتيجة للآتي أو بغية تفاديه: آثار النزاعات المسلحة وأعمال العنف المعمم وانتهاكات حقوق الإنسان **والكوارث من صنع الإنسان**، والذين لم يعبروا حدود الدولة المعترف بها دوليا"[1]. وتدرج المادة الرابعة من الاتفاقية المعنونة بـ: واجبات الدول الأطراف بخصوص الحماية من النزوح الداخلي ضمن أنواع النزوح التعسفي المحظورة "عمليات الإخلاء القسرية في حالات الكوارث الطبيعية أو التي من صنع الإنسان ... إذا لم تكن عمليات الإجلاء هذه مطلوبة لسلامة وصحة أولئك المتأثرين"[2].

أيضا وسع إعلان قرطجن La Déclaration de Carthagène [3] نطاق تعريف اتفاقية عام 1951 ليشمل الأشخاص الفارين من بلدهم بسبب "الانتهاك الجسيم لحقوق الإنسان أو الظروف الأخرى التي تكون خطيرة على النظام العام ". وهنا أيضاً يمكن أن يشير الانتهاك الواسع لحقوق الإنسان إلى انتهاك حق الإنسان في البيئة ، ويمكن للنظام العام أن يشمل النظام العام البيئي.

على مستوى جامعة الدول العربية، نجدها أيضا وسعت من تعريف اللاجئ ليشمل الظروف البيئية، حيث أعطت الاتفاقية العربية لتنظيم أوضاع اللاجئين في الدول العربية صفة اللاجئ لكل "شخص يلتجئ مضطرا إلى بلد غير بلده الأصلي أو مقر إقامته الاعتيادية بسبب العدوان المسلط على ذلك البلد أو احتلاله أو السيطرة الأجنبية عليه أو **لوقوع كوارث طبيعية أو أحداث جسيمة ترتب عليها إخلال كبير بالنظام العام** في كامل البلاد أو في جزء منها"[4]. لكن هذه الاتفاقية لم تدخل بعد حيز النفاذ.

على صعيد اتفاقيات التغيرات المناخية، لم تتناول اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ لعام 1992 وبروتوكول كيوتو لعام 1997 التشريد أو الهجرة بشكل صريح، وتركز هذه الصكوك على التخفيف من حدة تغير المناخ والتكيف معه وآليات التمويل والدعم ذات الصلة. ومع ذلك، فإن اتفاقيات كانكون لعام 2010 تدعو جميع الأطراف إلى اتخاذ إجراءات التكيف، وطالبت الدول الأعضاء "باتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز الفهم والتنسيق والتعاون بشأن التهجير والهجرة الناجم عن تغير المناخ والنقل المخطط له عند الضرورة على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية"[5].

---

[1]- المادة الأولى فقرة ك من اتفاقية كمبالا "اتفاقية الإتحاد الإفريقي لحماية ومساعدة النازحين داخليا، اعتمدت في 2009 خلال قمة الإتحاد في العاصمة الأوغندية كمبالا، ودخلت حيز النفاذ في 6 ديسمبر 2012 بعد مصادقة 15 دولة من أعضاء الاتحاد".

[2]- المادة الرابعة فقرة ومن اتفاقية كمبالا للنزوح الداخلي افريقيا.

[3] Le 22 novembre 1984 un colloque de représentants des gouvernements d'Amérique latine et d'éminents juristes a adopté la Déclaration de Carthagène.

[4]-المادة الأولى فقرة 2 من الاتفاقية العربية لتنظيم أوضاع اللاجئين في الدول العربية. جاءت هذه الاتفاقية بناء على موافقة مجلس جامعة الدول العربية بقراره رقم 5389 د. ع (101) ج 3 بتاريخ 1994/3/27.

[5] Decision 1/CP.16, The Cancun Agreements: Outcome of the work of the Ad Hoc Working Group on Long Term Cooperative Action under the Convention, in Report of the Conference of

كما نصت اتفاقية باريس بشأن التغيرات المناخية على أنه: "يطلب إلى اللجنة التنفيذية لآلية وارسو الدولية أن تنشئ، وفقا لنظامها الداخلي وولايتها، فرقة عمل لإكمال عمل الهيئات ومجموعات الخبراء القائمة في إطار الاتفاقية، بما في ذلك لجنة التكيف وفريق الخبراء المعني بأقل البلدان نموا، وكذلك عمل المنظمات وهيئات الخبراء المعنية خارج إطار الاتفاقية، والاستفادة من عمل هذه الهيئات والمجموعات والمنظمات وإشراكها، حسب الاقتضاء، **لوضع توصيات تتعلق بنهوج متكاملة لتجنب حالات التشرد المرتبطة بالآثار السلبية لتغير المناخ والتقليل منها قدر المستطاع والتصدي لها**"[1]. ومع ذلك هذا النص لا يوفر وضعا محددا وحماية للاجئين البيئيين.

مما سبق نستنتج أنه لا يوجد في الوقت الحاضر صك قانوني خاص ومحدد لضمان المساعدة القانونية أو الحماية لـ "اللاجئين الإيكولوجيين" ، ولا في النصوص البيئية الدولية ، ولا في الصكوك المتعلقة باللاجئين أو الأجانب. أولاً ، لا توفر الحماية الدولية لاتفاقية جنيف لعام 1951 المتعلقة بوضع اللاجئين السياسي أي ضمانات لضحايا كارثة بيئية بصورة مباشرة. يعتبر القانون الدولي للاجئين غير كافٍ على وجه الخصوص لتوفير الحماية الدولية لهذه الفئة غير المتجانسة من الضحايا. ثانياً ، النصوص الدولية لحقوق الإنسان والسوابق القضائية لا تقدم بعد ضمانات كافية لحماية "اللاجئين الإيكولوجيين". وهكذا ، دفعت الحاجة الملحة للوضع و"ضعف" الصكوك القانونية الفقه المتخصص للتفكير في حماية هذه الفئة من خلال عدة مبادرات كان آخرها عقد مؤتمر في ليموج في عام 2005 حول "اللاجئين الإيكولوجيين". مهدت هذه الخطوة لوضع "مبادرة نانسن ، وهو نص يهدف إلى إرساء أسس لإنشاء حماية دولية "للاجئ الإيكولوجي".

الفرع الثالث: الجهود الدولية الحالية لإيجاد حماية قانونية للاجئ البيئي.

في محاولة لإيجاد وضع قانوني خاص باللاجئين البيئيين، ظهرت عدة مبادرات فردية أو ثنائية من الدول وكذا من الأكاديميين، لإيجاد وسائل قانونية لحماية النازحين البيئيين نذكر منها:

أولا-المبادرات ذات النطاق الضيق:

-ادخلت السويد وفنلندا في تشريعاتها آلية حماية للأشخاص الفارين من كارثة طبيعية أو بيئية، هنا التدهور البيئي قد يشكل سببا مقبولا لطلب اللجوء.

-قام المحامون في جامعة ليموج بوضع مشروع اتفاقية لحماية هذه الفئة في عام 2008، بالنسبة لهؤلاء المتخصصين، ينبغي للجان الوطنية العمل على هذه القضية بالتعاون مع وكالة عالمية ومع صندوق عالمي للنازحين البيئيين.

---

the Parties on its sixteenth session, Addendum, Part Two: Action taken by the Conference of the Parties, FCCC/CP/2010/7/Add.1, 15 March 2011, para. 14 (f).

[1]- الفقرة الخمسين ضمن قسم الخسائر والأضرار من اتفاقية باريس بشأن التغيرات المناخية، 12 ديسمبر 2015، FCCC/cp/2015/l.9/rev.1 ، ص 10.

-في عام 2009 ، دافع القاضي البريطاني ديفيد هودجكنسون وزملاؤه تيس بيرتون وسيمون دوكينز ولوسي يونغ وأليكس كورام عن الاعتراف الجماعي بالنازحين بسبب تغير المناخ من خلال اقتراح مشروع اتفاقية لهم.

-وتهدف البلدان المتقدمة إلى تقديم خطط لإعادة التوطين والمساعدة للنازحين داخلياً استناداً إلى مبدأ المسؤولية المشتركة لكن المتباينة للدول، وتعمل على توفير صندوق للأحداث المناخية –التي قد تكون بطيئة أو مفاجئة - وكذلك مؤسسة علمية لتقييم المخاطر.

-يرى مبدأ العدالة المناخية خلال مؤتمر كوبنهاغن الخامس عشر في كوبنهاغن أن الحملة الدولية من أجل لاجئ المناخ تأتي إلى حيز الوجود للمطالبة بإطار قانوني.

- **مبادئ نانسن:** تعكس مبادئ نانسن العشرة، مع أنها لم تُبنَّى رسمياً، نتائج "مؤتمر نانسن حول التغيرات المناخية والنزوح في القرن الحادي والعشرين" الذي استضافته حكومة النرويج في أوسلو في يونيو/حزيران 2011. وتتضمن المبادئ مجموعة شاملة من التوصيات "لتوجيه الاستجابات لبعض التحديات العاجلة والمعقّدة التي يثيرها النزوح في سياق التغيرات المناخية والأخطار البيئية الأخرى" (الديباجة). ويلقي المبدأ الأول الضوء على الحاجة لقاعدة معرفية سليمة للتجاوب مع النزوح المناخي والمتعلق بالبيئة في حين تحدد المبادئ من 1 إلى 5 الأدوار والمسؤوليات الملقاة على عاتق أصحاب المصلحة المعنيين، ووفقاً للقانون الدولي بشكل عام، فإن تلك المبادئ تستذكر أن على الدول تحمل المسؤولية الأساسية عن حماية السكان المتأثرين بالتغيرات المناخية وغيرها من الأخطار البيئية، بما فيها المجتمعات النازحة والمضيفة ومن يواجهون خطر النزوح. لكنها تؤكد في الوقت نفسه على أنَّ التحديات الناتجة عن التغيرات المناخية، بما فيها التحديات المرتبطة بالانتقال البشري، لا يمكن تناولها بصورة فاعلة دون قيادة وتضمين الحكومات والمجتمعات المحلية والمجتمع المدني والقطاع الخاص. وحيثما تكون الإمكانيات الوطنية محدودة ستظهر الحاجة لأطر العمل الإقليمية والتعاون الدولي للمساعدة في منع النزوح ومساعدة وحماية المجتمعات المتضررة جراء هذا النزوح وإيجاد الحلول المستدامة. وفي هذا السياق، من المهم بصورة خاصة دعم المنع وبناء القدرة على مواجهة الظروف وفقاً للمبادئ الواردة في إطار عمل هيوغو (المبدأ الخامس) وبناء القدرات المحلية والوطنية للاستعداد للكوارث والاستجابة لها (المبدأ السادس)[1].

وتؤكد مبادئ نانسن على التوصية باستخدام المعايير الحالية للقانون الدولي والتصدي للفجوات المعيارية (المبدأ السابع). وعلى الرغم من أنَّ المعايير التوجيهية حول النزوح الداخلي تخص النازحين داخل بلادهم، فإنها تقدم "إطار عمل قانوني سليماً"، ولن يكون تنفيذه ممكناً دون وجود القوانين الوطنية والسياسات والمؤسسات الكافية (المبدأ الثامن). وفي الوقت نفسه، تقرّ المبادئ بوجود الفجوة المعيارية الخاصة بحماية الأشخاص النازحين عبر الحدود الدولية نتيجة للكوارث المفاجئة، وتقترح كذلك أن تُنشئ

[1]-والتر كايلين،من مبادئ نانسن إلى مبادرة نانسن، نشرة الهجرة القسرية، "منع التهجير" ، عدد 41، مجلة منشورة على الموقع: http://www.fmreview.org/ar/preventing/kaelin.html

الدول العاملة مع المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إطار عمل أو صك إرشادي (المبدأ التاسع).
أما المبدأ الأخير فيعيد التأكيد على أن ضرورة تنفيذ جميع "السياسات والاستجابات، بما فيها إعادة النقل المنظّم على أساس المساواة والتراضي والتمكين والمشاركة والشراكات مع من تضرروا بصورة مباشرة، مع المراعاة اللازمة للجوانب المتعلقة بالعمر والجنس والتنوع "، مع وضع أصوات النازحين أو المهددين بالنزوح في الاعتبار (المبدأ العاشر)[1].

-ويشير اعتماد الفقرة 14 (و) من اتفاق كانكون في ديسمبر / كانون الأول 2010 بواسطة مؤتمر الأطراف السادس عشر، من جهة أخرى، إلى أن الدول أقرت بأن الهجرة المستحثة بتغير المناخ هي عامل يجب أخذه في الاعتبار.

-في أعقاب مؤتمر نانسن في أوسلو عام 2011 ، وعدت النرويج وسويسرا بتطوير نهج متماسك لتطبيق مبادئ نانسن العشرة.

ثانيا-مشروع اتفاقية نانسن:

في أعقاب وعي العديد من الجهات الفاعلة في الماضي والحاضر والمستقبلية بالمشاكل والمآسي المتعلقة بالنازحين البيئيين، عقد المؤتمر الدولي في ليموج في عام 2005 حول "اللاجئين الإيكولوجيين". على أعقاب هذا المؤتمر، عقدت سبعة أيام كاملة، من يونيو إلى ديسمبر 2008، في كلية الحقوق والاقتصاد في ليموج لإعداد المشروع اتفاقية لحماية النازح البيئي. مجموعة العمل هذه التابعة لمركز البحوث متعددة التخصصات في مجال البيئة وتخطيط استخدام الأراضي والتخطيط (CRIDEAU) ومركز أبحاث حقوق الإنسان (CRDP) وفرق مواضيعية لمرصد التغيير المؤسسي والقانوني (OMIJ) كانت مؤلفًة من علماء قانونيين (من أخصائيين في القطاع الخاص وعاملي، وأخصائيين دوليين، وقانونيين، ومحامين في مجال البيئة وحقوق الإنسان)، بالإضافة إلى خبراء اقتصاديين أكاديميين. ودعم هذا المشروع المركز الدولي لقانون البيئة المقارن (CIDCE). تم تقديم المشروع بأكمله خلال يوم دراسي للتعليق عليه وانتقاده من فقهاء القانون والعلماء والفلاسفة، والخبراء العاملين مع المنظمات الدولية والإقليمية، والمنظمات غير الحكومية. وتقرر الإعلان عن هذا المشروع على المستويات الوطنية والإقليمية (خاصة الأوروبية) والدولية وإعلام الجهات الفاعلة العامة والخاصة به. هذا المشروع هو مبادرة نانسن التي أطلقتها حكومتا النرويج وسويسرا في أواخر عام 2012 بهدف بناء إجماع حول المبادئ والعناصر الرئيسية المتعلقة بحماية المهجرين عبر الحدود الدولية في سياق الكوارث[2].

وقد نظمت المبادرة سلسلة من الجولات التشاورية الإقليمية لجمع أكبر عدد من ممثلي الحكومات والمجتمع المدني والمنظمات الدولية والخبراء. ثم جمعت مجالات العمل المستقبلية في "جدول أعمال الحماية

---

[1]-للإطلاع على مبادئ نانسن على الرابط:
.www.regjeringen.no/upload/UD/Vedlegg/Hum/nansen_prinsipper.pdf

[2]- بارغه بريندي وديدير بوركالتر، الكوارث والتهجير في مناخ متغير، نشرة الهجرة القسرية، عدد 49،مركز دراسات اللاجئين، اكسفورد، ماي 2015، ص 4.

حول التهجير العابر للحدود في سياق الكوارث والتغير المناخي" لعرضه ومناقشته أثناء الجولة التشاورية العابرة للحكومات في جنيف 2015.[1] وفي أكتوبر 2015، أجرت مبادرة نانسن مشاورات عالمية مع وفود من أكثر من 100 دولة لإكمال عملية متعددة السنوات تهدف إلى التوصل إلى توافق الآراء بشأن حماية المشردين عبر الحدود في سياق الكوارث وتغير المناخ.

جاء مشروع اتفاقية نانسن حول حماية النازحين البيئيين في ديباجة وثلاثة وعشرون مادة، موزعة على خمس فصول، وقد تضمن العديد من المسائل نذكر منها النقاط التالية:

1- حقوق النازحين البيئيين وفقا لمبادرة نانسن.

أ- الحقوق العامة المشتركة بين كل النازحين البيئيين: -الحق في الإعلام والمشاركة. -الحق في الإنقاذ. -الحق في الماء والمساعدة الغذائية. -الحق في السكن. -الحق في العلاج. -الحق في الشخصية القانونية وحق التمتع بالحقوق المدنية والسياسية في بلده الأصلي. -الحق في احترام الوحدة الأسرية. -الحق في التربية والتكوين. -الحق في العمل.

ب- الحقوق الخاصة بكل فئة.

ب 1-حقوق النازحين البيئيين المؤقتين: -الحق في إقامة آمنة. -الحق في إعادة التوطين. -الحق في العودة. -الحق في تمديد الإقامة.

ب 2-حقوق النازحين البيئيين بصفة نهائية: -الحق في إعادة التسكين. -الحق في الجنسية.

2- آليات حماية النازحين البيئيين وفقا لمبادرة نانسن.

أ- الوكالة العالمية للنازحين البيئيين: اقترح مشروع الاتفاقية إنشاء هذه الوكالة، حيث تتكون من المؤسسات التالية: هيئة عليا، صندوق عالمي للنازحين البيئيين، مجلس علمي وأمانة مساعدة. هذه المؤسسات تمارس وظائفها وفق اتفاقية أرهوس، ويتم تنظيمها كوكالة متخصصة تابعة للأمم المتحدة[2].

ب- اللجان الوطنية حول النزوح البيئي: نص مشروع الاتفاقية على وجوب التزام كل دولة طرف بإنشاء لجنة وطنية تبين وضع وحالة الشخص النازح بيئيا، تتكون من 9 أعضاء يكونون خبراء مستقلين في مجال حقوق الإنسان والقانون البيئي[3].

يلاحظ أن الطرح الذي جاء به مشروع اتفاقية نانسن معقول ومنطقي، فالحقوق التي أوردها المشروع مستقاة من حقوق الإنسان عامة كما أنها ذات الحقوق المقررة للاجئين وفقا للقانون الدولي للاجئين. ومن ثم يظهر أن الإشكال الحقيقي يكمن في الاعتراف الصريح من جانب الدول بمركز قانوني للاجئين البيئيين.

الخاتمة:

تم التوصل من خلال هذه الدراسة إلى عدم وجود اتفاق صريح من جانب أشخاص المجتمع الدولي حول مصطلح واحد يعبر عن فئة الأشخاص الذين تضطرهم الظروف البيئية لمغادرة محل إقامتهم طواعية

---

[1] -لمزيد من التفاصيل حول مبادرة نانسن راجع نفس المقال.

[2] -المادة 11 من مشروع إتفاقية نانسن.

[3] -المادة 12 من مشروع إتفاقية نانسن.

أو بصورة قسرية، سواء كانت حركتهم داخل حدود دولتهم أو عبروا تلك الحدود، وما يترتب على ذلك من الاعتراف بوضع قانوني لهذه الفئة وما يستتبعه من توفير الحماية لهم.

تعد الإدارة الفعالة للهجرة البيئية أمراً أساسياً لضمان أمن الإنسان وصحته ورفاهه وتنميته المستدامة، مع العمل الأكثر استنارة والتعاون بين أصحاب المصلحة المتعددين ، ستكون المجتمعات في جميع أنحاء العالم أكثر قدرة على تحقيق هذه الأهداف.

من خلال ما تقدم، وفي سبيل إيجاد حل لإشكالية الوضع القانوني والحماية الدولية للاجئ البيئي، يمكن تقديم الاقتراحات التالية، لكنها ليست شاملة ولكل منها مزايا وعيوب:

-حماية ضحايا البيئة من خلال تعزيز حماية المشردين داخليا:

إن تعزيز حماية المشردين داخلياً سيجعل هذا المفهوم فعالاً في القانون الدولي وسيشجع بالتالي الدول على أن تدرج ضمن تشريعاتها متطلبات استقبال المشردين داخلياً (خطة الإخلاء والتوطين المؤقت والحق في المساعدة وعدم التمييز في منح المعونات واحترام الخصوصيات المحلية وحماية المخيمات وإمكانية التفكير في العودة أو إعادة التوطين في مناطق أخرى ، وما إلى ذلك). سيكون لهذا المسار ميزة توفير الحماية لجميع النازحين مهما كان سبب نزوحهم وسيتغلب على صعوبة وضع تعريف اتفاقي للاجئين البيئيين. ومن ناحية أخرى ، سيكون من عيب هذا الاقتراح تمييع حماية اللاجئين البيئيين في تلك الخاصة بالمشردين داخلياً. ومع ذلك، لا تزال هناك مشكلة فعالية هذا الاقتراح وتنفيذه الصعب (لأنه مكلف للغاية) في البلدان الفقيرة المعرضة بشكل خاص للتأثر بتغير المناخ والكوارث.

- **حماية ضحايا البيئة من خلال** إضافة بروتوكول لاتفاقية جنيف؟

الميزة الرئيسية لتعديل اتفاقية جنيف تكمن في تطبيقها، والتي سيتم تنفيذها بسهولة لأن الدول الأطراف في اتفاقية جنيف وضعوا نظام استطلاع عملياتي. من ناحية أخرى، فإن مثل هذه الآلية لن تشمل الأشخاص النازحين داخليا. ومع ذلك، ليس من المؤكد أن اللاجئين البيئيين دائما يتمكنون من عبور الحدود ومن ثم يستدعي الوضع إنشاء نظام يشمل المجموعتين: اللاجئين والنازحين. علاوة على ذلك ، كان تطبيق اتفاقية جنيف من قبل بلدان الشمال الأوروبي مقيّداً للغاية منذ عدة سنوات، لذا من غير المحتمل أن يوفر هذا الحل حماية "فعلية"، خاصة في سياق الانسحاب وإغلاق الحدود. وأخيراً، فإن وضع مثل هذا البروتوكول يحجب قضية المسؤولية السياسية والإيكولوجية والاقتصادية عن النزوح. سيكون من الضروري التفكير في وضع آلية المسؤولية بجانب هذه الحماية.

- حماية ضحايا البيئة من خلال صياغة اتفاقية دولية خاصة؟

فكرة وضع اتفاقية دولية جديدة خاصة باللاجئين البيئيين، تم تطويرها في أطروحة Véronique Magniny وفي مؤتمر ليموج في عام 2005. ومن شأن وضع اتفاقية محددة ومستقلة أن تكون لها ميزة في تحديد التزامات الدول باستضافة اللاجئين البيئيين. لكي تكون ذات صلة، يجب أن تتجاوز حدود اتفاقية جنيف. بمعنى يجب أن توفر حماية شاملة تضمن حماية جميع اللاجئين البيئيين في بلد المنشأ (وهو أمر

يبدو مستبعدًا في ضوء مبدأ عدم التدخل الدولي) وخارج البلاد. ينبغي أن تكون قادرة على وضع القواعد العرفية لعدم الإعادة القسرية أو الإقامة المؤقتة. يمكن التفكير في حماية لمدد متفاوتة مع أنماط حماية مختلفة في نفس الوقت تتوافق وطبيعة الكوارث أو طبيعة الأوساط البيئية أو استراتيجيات التكيف.

ومع ذلك، سيكون من الصعب التفاوض على هذا النص، والكتابة والتصديق بموجب القانون الدولي الحالي، وسياق تقييد سياسات اللجوء، وإغلاق الحدود، وتعقيد القضايا البيئية. وعلاوة على ذلك، إذا اعتمدت هذه الاتفاقية، فإن تنفيذها الفعال سيخاطر بأن يكون حبرا على ورق بسبب الالتزامات الثقيلة التي قد تؤثر على الدول الأطراف، لا سيما البلدان الفقيرة.

- **حماية ضحايا البيئة من خلال** إضافة تطوير نظم حماية "ثنائية"؟

قبل إنشاء الحماية الشاملة، يمكن النظر في الحماية الثنائية، على سبيل المثال، في جزيرة توفالو. يثير الاختفاء أسئلة مهمة سواء سياسية أو قانونية بسبب التهديد باختفاء دولة قومية نتيجة اختفاء اقليمها تحت الماء. الاختفاء الذي يقوض مبدأ سيادة الدولة وحقوق المواطنين الذين تحميهم المادة 13/ 2 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان "لكل فرد الحق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، والعودة إلى بلده "، بموجب المادة 15 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" ، لا يجوز حرمان أي شخص تعسفاً من جنسيته "أو بموجب المادة 12/ 4 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية " لا يجوز حرمان أحد من الحق في دخول بلده ". كما أنه يثير مسألة شكل جديد من حالات انعدام الجنسية وبقاء دولة ما بينما تختفي أراضيها. يتعلق الأمر بمنح هذه الفئة الأولى من لاجئي التغيرات المناخية إقامة يحكمها اتفاق ثنائي تتم المصادقة عليه قبل وقوع الكارثة. تشكل هذه الصورة من الحماية نوعا من التضامن تقدمه الدولة المجاورة لجارتها المهددة بالاختفاء. ستنشئ هذه الاتفاقية سياسة استقبال محددة مسبقاً (عدد الأشخاص الذين يتم الترحيب بهم، والحقوق المقدمة، وأماكن الإقامة، والحق في العمل، واحترام الثقافة المحلية ، واللغة ، والاعتراف بالتقاليد ، وما إلى ذلك). إن إقامة مثل هذا الاتفاق سيكون دون شك الحل الأكثر واقعية، ومع ذلك فإن له حدوداً معينة. في الواقع ، لماذا يقع "عبء" الاستقبال فقط على البلد المجاور؟ وقد يؤثر هذا العبء تأثيراً كبيراً على هذا البلد، ومن ثم يؤدي إلى عرقلة سياسية المفاوضات ما لم يقرر المجتمع الدولي تقاسم الأعباء المالية التي تتكلفها عملية استقبال هؤلاء اللاجئين.

أمام انطواء كل واحد من الاقتراحات السابقة على صعوبات في التطبيق، تطرح فكرة مدى إمكانية تطبيق مبادئ: التدخل الايكولوجي، المساعدة الإنسانية، ومسؤولية الحماية لضمان تحقيق حماية فعالة لهذه الفئة من اللاجئين في ضوء تزايد عددهم بسبب ما تعرفه النظم البيئية من اعتداءات وآثار التغيرات المناخية يقابله تقاعس المجتمع الدولي عن اتخاذ موقف حماية إيجابي لمصلحتهم.

تشخيص العدالة التنظيمية السائدة في المؤسسة الجزائرية

دراسة ميدانية بالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي CNAS بالطارف

أ. زينب طعم الله - د. عمر بولهواش

جامعة عنابة

الملخص :

هدفت الدراسة إلى تعرف مستوى العدالة التنظيمية لدى موظفي مؤسسة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، فهي القيمة المتحصلة من جراء إدراك العاملين لنزاهة الإجراءات وموضوعية المخرجات الحاصلة في المنظمة، وأنها إدراك الأفراد لحالة الإنصاف في المعاملة التي يعاملون بها من قبل منظماتهم، وللعدالة ثلاثة أبعاد هي:

1 – العدالة التوزيعية: وهي عدالة المخرجات التي يحصل عليها العامل (أجور، منح، مردودية).

2 – العدالة الإجرائية: وهي عبارة عن مدى إحساس العامل بعدالة الإجراءات التي استخدمت في تحديد المخرجات.

3 – العدالة التفاعلية: وهي مدى إحساس العامل بعدالة المعاملة التي يحصل عليها عندما تطبق عليه بعض الإجراءات الرسمية.

الكلمات المفتاحية: العدالة التنظيمية، المنظمة، العدالة التوزيعية، العدالة الإجرائية، العدالة التفاعلية.

Abstract :

The study aimed to know the level of organizational justice among the employees of the institution of the National Social Security Fund; it is the value obtained as a result of the recognition of the integrity and objectivity of the output measures developments in the organization and the perception of individuals the situation of equity in the way they are treated inequality has three dimensions which are:

1 - Distributive justice: a justice output obtained by the Working Group (wages, grants, cost).

2. The procedural justice: it is the sense of the working group of the justice of the procedures used in defining outputs.

3. Interactive Justice: is the extent to which a sense of the fairness of the treatment of the Working Group obtained when applied to some formal procedures.

Keywords: organizational justice, organization, distributive justice, procedural justice, interactive justice.

مقدمة:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وهذا يفرض عليه أن يعيش في جماعات ويكون علاقات مع غيره من البشر سواء داخل أو خارج المنظمة التي يعمل فيها، حيث تستطيع ضمان عمل الأفراد بكفاءة وزيادة في

مستويات الولاء والالتزام التنظيمي من خلال تحقيق مستوى من العدالة التنظيمية التي تعد إحدى محددات السلوك التنظيمي نظرا لعلاقتها المباشرة بمجموعة كبيرة من المتغيرات التنظيمية التي تؤثر على نجاح المنظمات وقدرتها على تحقيق أهدافها بكفاءة وفعالية، وذلك كونها تعكس الطريقة التي تحكم من خلالها الفرد على المستوى الوظيفي والإنسان الذي يعامل به من قبل مديره المباشر.

ونظرا للأهمية المتزايدة لموضوع العدالة التنظيمية تجرى الكثير من المحاولات الجادة لدراسة مفهومها لما لها الأثر البالغ في ازدياد الاستقرار الوظيفي، أما انخفاض الشعور بها فيؤدي إلى تراجع مستويات الأداء التنظيمي، وعليه فهي تؤثر بشكل مباشر على دوافع العاملين وجهودهم، فهي تعتبر أيضا من المبادئ الأساسية في الإدارة لما لها من تأثير إيجابي على معنويات العاملين، وإن غيابها له الكثير من الآثار السلبية على المنظمات بصفة عامة، وعلى مؤسسة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بصفة خاصة.

1. تعريف العدالة التنظيمية:

* **التعريف الإجرائي للعدالة التنظيمية:** تتمثل العدالة التنظيمية في الأبعاد الأساسية الثلاثة المشكلة لها وهي: عدالة التوزيع، عدالة الإجراءات، عدالة التفاعلات.

* إن الجذور التاريخية لهذه النظرية تعود لصاحبها (آدمز1965Adams) و التي عرفت باسم نظرية المساواة (Equité théorie) و التي تقوم على فرض أساسي مفاده أن الأفراد العاملين يميلون إلى الحكم على العدالة من خلال مقارنة مداخلاتهم إلى المخرجات التي يستلمونها ، أيضا مقارنة نسبة المدخلات إلى المخرجات الخاصة بهم مع زملائهم الآخرين ، و أن إدراك عدم العدالة وفق هذا الساق يمكن أن يؤدي إلى خلق حالة من التوتر النفسي الذي ينشط بدوره مجموعة من المتغيرات السلوكية من قبل الفرد للتقليل من هذا التوتر و يعرف (آدمز) المدخلات على أنها نوع و خصائص عمليات الشخص مثل العمر ، الحالة الاجتماعية ، التعليم ، الجهد المبذول ، المهارة ، مدة الخدمة ، في حين عرف المخرجات على أنها استلام حق خاص بالفرد مثل المكافآت ، الأجر ، الترقية ، السلطة....الخ.

وعليه تعرف العدالة التنظيمية على أنها:

تعريف (آدمز Adams) " العدالة التنظيمية بأنها المساواة، والتي تتضمن قيام الفرد أو الموظف بمقارنة معدل مخرجاته نسبة الى مدخلاته، مع معدل مخرجات الزملاء الآخرين نسبة إلى مدخلاتهم، وحيث يتساوى المعدلان تتحقق العدالة، وحيث لا يتساوى المعدلان يقع الحيف ويشعر الفرد حينئذ بالظلم "(ر. السعود و س. سلطان 2009: ص25).

" هي الطريقة التي يحكم من خلالها الفرد على عدالة الأسلوب الذي يستخدمه في المدير التعامل معه على المستويين الوظيفي والإنساني (جرين برج Greenberg)، أو أنها تعكس عدالة المخرجات وعدالة الإجراءات المستخدمة في توزيع تلك المخرجات (فارح Farah) ".

" هي القيمة الناتجة عن إدراك الفرد للنزاهة والموضوعية للإجراءات والعوائد في المؤسسة التي يعمل فيها (ر. السعود و س. سلطان، المجلد 25 العدد 1+2، 2009).

"ويقصد بالعدالة التنظيمية المدركة، ميل الأفراد العاملين لمقارنة حالتهم مع حالة زملائهم الآخرين في العمل (بيرن Byrne) أو إدراكات العاملين للعدالة في مكان العمل من خلال علاقاتهم بالمنظمة أو رئيسهم المباشر و التي تؤثر في النهاية على مواقفهم و سلوكياتهم في العمل "

و عليه تعد العدالة التنظيمية مطلبا أساسيا للأداء الفعال بالمنظمات، و تحقيق الرضى الشخصي للأفراد العاملين بتلك المنظمات، و تركز العدالة التنظيمية على مدى إدراك العاملين للمعاملة العادلة في وظائفهم و تأثير ذلك على العديد من المخرجات التنظيمية ، كما أنها مفهوم نسبي ، تتحدد في ضوء ما يدركه العامل من نزاهة و موضوعية المخرجات و الإجراءات داخل المنظمة (سال و موور Saal and moor) ، بمعنى آخر فإن الإجراء التنظيمي الذي قد يدركه أحد العاملين على أنه إجراء متحيز و غير موضوعي (الترقية على أساس الجدارة و ليس الأقدمية مثلا) قد يدركه موظف آخر على أنه إجراء يتميز بدرجة عالية من الموضوعية وعدم التحيز ، يأخذ هذا المفهوم النسبي في الحسبان الفروق الفردية و النفسية للعاملين و مدى استجابتهم للعديد من المواقف و القرارات التنظيمية ، لذلك فمن الطبيعي أن تتباين ردود أفعال الأفراد بشأن إدراك العدالة أو عدمها و ذلك نظرا لاختلاف تفضيلاتهم ، أي أن الأفراد يختلفون فيما بينهم في مدى حساسيتهم للعدالة (هوسمان Huseman) وهم ثلاثة فئات كما يلي:

الفئة الأولى: المؤثرون Benevolentes

وهم الأفراد المعطاءين الذين يستمدون رضاهم من تغليب مساهماتهم على ما يستحقونه من عوائد وذلك مقارنة بالآخرين أي أنهم يفضلون الحصول على دخل أقل مما يستحقونه، مع ذلك تجد لديهم الشعور بالعدالة والإنصاف بالتالي فهم دائما متحفزون للعمل أمثال ذلك الاجتماعيين.

الفئة الثانية :الأنانيون Entitleds

هم مجموعة الأفراد آخذون بطبيعتهم ولا يرضون إلا في حالة معادلة العدالة في صالحهم وغالبا ما يشعرون بالاضطراب والقلق وعدم التوازن في حالة تساوي هذا المعادلة أو كونها في غير صالحهم، كما لديهم شعور أنهم يحصلون على أقل مما يستحقون، بالتالي سيقوم هؤلاء بتقليل الجهد المبذول.

الفئة الثالثة: المساوونEquity sensitivites

هم مجموعة الأفراد تتحقق لديهم أقصى حالات الرضى فقط عندما تتساوى معادلة العدالة عندهم ، مع معدلات العدالة عند الأخرين ، أي أن هذه المجموعة يتبدل إحساسها بين حالة الرضى ، (زيادة عوائده مقابل ما يقدمه من جهود و مساهمات) و عدم التوازن أو القلق في حالة (نقص عوائده مقابل ما يقدمه من جهود ومساهمات) .

و هناك فئة رابعة تشعر أنها تأخذ أكثر مما تقدم من جهد ، بالتالي تشعر بالذنب ، غير أن العامل يبقى على نفس المستوى من الأداء و يقارن نفسه مع موظف آخر يأخذ نفس الراتب و بنفس الجهد.

2. أبعاد العدالة التنظيمية:

إن الأدبيات التي تناولت العدالة التنظيمية، تشير في إلى وجود ثلاثة أبعاد رئيسة وهي (عدالة التوزيع، عدالة الإجراءات وعدالة التبادلات).

1-2) العدالة التوزيعية: Distributive justice: إن عدالة التوزيع تعود في جذورها إلى نظرية المساواة " لآدامز 1965 " ، ويقصد بها ، المخرجات التي يحصل عليها الموظف ، إذ يقيم العاملين نتائج أعمالهم ، وفقا لقاعدة توزيعية قائمة على مبدأ المساواة ، فالعمال يقيمون الحالة النهائية لعملية توزيع الموارد في المنظمة وفق إدراك العاملين لعدالة المخرجات المستلمة ، وقد حدد " Organ " ثلاثة قواعد لعدالة التوزيع في المنظمات و هي:

2- 1-1) قاعدة المساواة:

وتقوم على فكرة إعطاء المكافئات على أساس المساهمة، فالعامل الذي يعمل عدد ساعات أكبر، يستحق التعويض أكبر من الذي يعمل بعدد قليل من ساعات العمل، على افتراض أن العوامل الأخرى متساوية لديهم، فإذا حصل العكس فهذا يعني أن هناك تجاوز على قاعدة المساواة، بمعنى أن هناك مساواة بين الذي يساهم ويبادر في العمل والذي يكتفي بالحد الأدنى من العمل والأداء، وأن المكافئات متساوية بين عاملين غير متساويين في المساهمة.

2- 1-2) قاعدة النوعية:

المقصود بهذه القاعدة، أن كل العاملين وبغض النظر عن خصائصهم الفردية (الجنس، العرق، اللون..) يجب أن يتساووا بفرص الحصول على المكافئات، فمثلا عندما تعمل المنظمة على تقديم الخدمات الصحية لموظفيها يجب أن تشمل هذه الخدمات جميع العاملين بالمنظمة، بغض النظر عن الفروق الموجودة بينهم سواء كانت جنسية، عرقية أو حتى مهارية، وإذا حصل العكس، فإن باقي العمال سيشعرون بأن هناك تجاوز على قاعدة النوعية.

2- 1-3) قاعدة الحاجة:

تقوم هذه القاعدة على فكرة تقديم الأفراد ذوي الحاجة الماسة على الآخرين بافتراض تساوي الأشياء الأخرى، فمثلا إذا أرادت المنظمة تقديم مكافئة مالية، وكانت هناك امرأة متزوجة وأخرى غير متزوجة وعلى اعتبار باقي الأشياء متساوية، فإنه تقدم المرأة المتزوجة على الثانية، وإذا حصل العكس، فإن المتزوجة تشعر بأن هناك تجاوز على قاعدة الحاجة.

لفهم أثر عدالة التوزيع على العلاقات بين العاملين داخل المنظمة بشكل أفضل، يجب أن يؤخذ في الحسبان الأهمية النسبية لقيم العمل الاقتصادية والاجتماعية من وجهة نظر العاملين، فإذا ازدادت أهمية القيم الاقتصادية بالنسبة للعاملين فإن الإحساس بعدالة التوزيع سوف يكون له الأثر الكبير على سلوكهم، أما في الحالات التي تطغى فيها القيم الاجتماعية للعاملين على قيمهم الاقتصادية فإن الإحساس بعدالة التوزيع سوف يكون أقل أهمية في التأثير على سلوك العاملين، وتتضمن العدالة التوزيعية ما يلي:

- ✓ جانب مادي (هيكل التوزيعات) ويعبر عن حجم ومضمون ما يحصل عليه الفرد من مكافآت.
- ✓ جانب اجتماعي ويعبر عن المعاملة الشخصية التي يعامل بها المدير الفرد الذي يحصل على المكافآت.

فإذا حدد الموظفون علاقاتهم مع أصحاب العمل على أنها تبادلات اقتصادية فقط ، فإن عدالة التوزيع لن يكون لها سوى تأثير ضئيل على السلوك التنظيمي المتميز ، و سيقتصر التعامل في التبادل الاقتصادي على أداء سلوكيات النطاق الوظيفي فحسب ، أما إذا حدد العاملون علاقاتهم مع المنظمة على أنها تبادل اجتماعي ، فإن التعامل سوف يحمل معه سلوكات تتخطى نطاق الأدوار الوظيفية الرسمية ، و عندها سيقوم العامل بأداء السلوك التنظيمي الايجابي ، هذا الأخير الذي يعتبر فعل مناسب اتجاه ما يحسه من عدالة التوزيع .

2-2) العدالة الإجرائية: Procedural justice :

في السابق كانت الدراسات في مجال العدالة التنظيمية تركز على العدالة التوزيعية ، لكن في السبعينات بدأ الباحثون يأخذون منحى آخر، حيث أشاروا إلى أن تقييم الأفراد للعدالة لا يبنى فقط على نتائج العدالة التوزيعية ، إنما أيضا على كيفية اتخاذ القرارات ، و الذي يعرف بالعدالة الإجرائية و يعني هذا المفهوم مدى إحساس الموظف بعدالة الإجراءات التي استخدمت في تحديد المخرجات ، وهي عبارة عن التصور الذهني لعدالة الإجراءات المسبقة في اتخاذ القرارات التي تمس الأفراد ، بمعنى آخر ، ما مدى عدالة العمليات المسبقة في تحديد المكافئات ؟ (مثل المبادئ و الأسس التي تم الاعتماد عليها في تحديد الأجور ، الترقيات ، احتساب المردودية ...الخ) ، كما تعني أيضا العدالة المدركة عن الإجراءات و السياسات المستخدمة في اتخاذ القرارات في المنظمة بخصوص تحديد الأجور و توزيع المكافئات التي تعتبر جد مهمة للموظفين ، و عليه فإذا كانت عدالة التوزيع تتعلق بعدالة المخرجات التي يحصل عليها الموظف ، فإن العدالة الإجرائية تتعلق بعدالة الإجراءات التي استخدمت في تحديد تلك المخرجات ، و تتمثل أهم معايير العدالة الإجرائية في المساواة ، وتعني الدرجة التي يعتبر فيها تحديد الإجراءات عادلا لجميع العاملين و في رأي (روبينسون , Robinson)أن العلاقات المتساوية بين العاملين تخفف من ردود الأفعال الناتجة عن الإخلال بالعقد النفسي(منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، 2008 :ص 36).

إن الإجراءات التنظيمية التي صممت لتكون موضوعية وعادلة لن تتحقق لها هذه الصفة إلا بشرطين هما:

أن يتفق الطرفان، الأول الذي يضع الإجراءات التنظيمية (الإدارة) والثاني الذي قد يتأثر بتلك الإجراءات (العاملين) على الأسس الموضوعية التي يتم بناءا عليها صياغة تلك الإجراءات.

على الطرف الأول (الإدارة) أن يزود الطرف الثاني (العاملين) بالمعلومات الكافية عن كيفية تطبيق تلك الإجراءات.

وعليه فإن عدالة الإجراءات تشمل ثلاث عناصر هي:

- ✓ القواعد والمعايير الرسمية للإجراءات.

- ✓ شرح الإجراءات وعملية صنع القرار.
- ✓ التفاعل بين من يقوم بتطبيق القواعد (متخذ القرار) و الأفراد الذين يتوقع أن يتأثروا بالقرار.

من المتوقع أن يؤدي وجود فجوة بين الإجراءات التنظيمية الموضوعية و بين الممارسات الخاصة بتطبيق تلك الإجراءات إلى تعميق إحساس العاملين بفجوة العدالة الإجرائية، و إن مسؤولية تقليل هذه الفجوة تقع إلى حد كبير على عاتق المدير المباشر، كونه المسؤول عن وضع تلك الإجراءات التنظيمية موضع التنفيذ، و هذا هو مصدر إحساس العاملين بالعدالة التنظيمية أو عدم إحساسهم بها.

وحسب جرينبرج Greenberg فإن العدالة الإجرائية تشمل جانبين هما:

الجانب الهيكلي: والذي يعبر عن الإجراءات الرسمية للعدالة داخل المنظمة مثل: إجراءات تقييم الأداء، تحديد الأجور، النقل والترقية ...الخ.

الجانب الاجتماعي: والذي يعبر عن احترام متخذي القرارات العاملين، وذلك عن طريق إخبارهم بكيفية اتخاذ القرارات.

و قد حدد (Leventhal) ستة قواعد للعدالة الإجرائية ، يعتقد أنها تشكل القالب الذهني لإدراك الأفراد لمعنى العدالة ، حيث إن مدى الاعتقاد بوجود عدالة الإجراءات يرتبط بمدى الوفاء أو الاختلال بمجموع القواعد الإجرائية التالية :

2-2-1) قاعدة الطريقة الثابتة: ويقصد به، إن تطبيق نفس الإجراءات على جميع الإفراد الذين يخصهم قرار معين، دون إعطاء أي امتياز لأي منهم دون الآخرين على اعتبار أنهم متساوون في باقي الأشياء.

2-2-2) قاعدة طمس المحاباة: وتعني الابتعاد عن المحاباة والانحياز وعن تحقيق الفائدة لشخص أو فائدة شخصية، في كل نقاط عملية تخصيص إجراءات القرار وعدم تمكين المصلحة الشخصية من التأثير على مجريات عملية اتخاذ القرارات.

2-2-3) قاعدة الدقة: وتعني بأن عملية التخصيص يجب أن تعتمد على المعلومات والآراء والدقيقة أن تجمع هذه المعلومات بوسائل تتسم بالموضوعية والصدق، وأن تحلل بأقل خطأ ممكن باعتماد مقاييس ذات مصداقية في الحقل الوظيفي والمهني.

2- 2-4) قاعدة القابلية للاستئناف والتصحيح : والتي تعني توفر الفرص لإجراء التعديلات في عملية تخصيص إجراءات القرار ، في حالة حدوث خطأ ما بمعنى تعديل القرار إذا ظهر ما يبرر ذلك.

2- 2-5) قاعدة التمثيل: وتعني بأن كل مراحل عملية التخصيص يجب أن تمثل التوقعات والقيم والاعتبارات الأساسية للأفراد الذين تخصهم إجراءات قرار معين أي أن تستوعب عملية اتخاذ القرار وجهات نظر أصحاب العلاقة.

2- 2-6) قاعدة الأخلاقية: وتعني بأن كل إجراءات التخصيص، يجب أن تكون متوافقة مع القيم الأخلاقية والمعايير والمقبولة للأفراد.

كما حدد كل من Neihoff & Moorman مجموعة من المكونات المؤثرة على عدالة الإجراءات تضمنت: ثبات الإجراءات وعم التحيز، دقة الإجراءات وصحتها، واقعية هذه الإجراءات وأخلاقياتها (عادل زايد، 2006: ص 25).

2 – 3) العدالة التفاعلية: Interactionnel justice :

يعرف هذا المفهوم كذلك بعدالة التعاملات، كما تعتبر امتدادا للعدالة الإجرائية، ويقصد بها مدى إحساس العامل بعدالة المعاملة التي يحصل عليها عندما تطبق عليه بعض الإجراءات الرسمية، أو معرفة أسباب تطبيق تلك الإجراءات، فهي تشير إلى طريقة تصرف الإدارة تجاه الأفراد، والتي ترتبط بشكل أساسي بطريقة تعامل المدراء والمسيرين مع المرؤوسين، على نحو المصداقية والاحترام وبمعنى آخر جودة التعامل المستلمة من متخذي القرار(Ortiz)

إن العديد من العلماء و الباحثين منهم (Greenberg) أشاروا إلى أن العدالة التفاعلية تضم نوعين من العدالة، عدالة العلاقات الشخصية (Interpersonnel justice) و عدالة المعلومات Informationnel justice)) و يقصد بعدالة المعلومات ، إلى التوضيحات المقدمة للموظفين من خلال توصيل المعلومات الضرورية حول استخدام إجراءات معينة أو طريقة تخصيص مخرجات معينة و بأسلوب موثوق و أكيد كتقديم شرح وافي للموظفين حول القرارات التي تؤثر عليهم ، أما عدالة العلاقات الشخصية فهي الاحترام و التقدير الذي يتعامل به المدير مع الموظفين.

2-3-1) مكونات عدالة التعاملات: تتكون عدالة التعاملات من الحساسية الشخصية والتفسيرات الاجتماعية.

الحساسية الشخصية: وتشير إلى المعاملة العادلة باحترام وأدب من جانب الرؤساء للمرؤوسين، ومدى مراعاة الرؤساء للمشاعر في تعاملهم مع العاملين، وحفاظهم على كرامتهم.

التفسيرات الاجتماعية: و تعني قيام المنظمة بتزويد العاملين بالمعلومات الكافية و الدقيقة و المهمة التي تساعد في تفسير و تبرير الممارسات الإدارية، بشأن أي مكافآت أو مخرجات أو موارد غير مناسبة توزع عليهم(CHAN,M,2000 : p 88)

2-3-2) أهمية العدالة التفاعلية(التعاملات)

تكمن أهمية التعاملات في النقاط التالية:

إن عدالة التعاملات تسلط الضوء عن الأجواء التنظيمية و المناخ التنظيمي السائد في المنظمة ، ومن ثم بناء تصورات خاصة ، ضمن بعد العدالة في التعاملات حول السياقات و المعاملات و العلاقات التنظيمية والإنسانية و الاجتماعية (RAHIM, M., 2000 :p23).

إن انخفاض مدركات العاملين لبعد عدالة التعاملات يمكن أن يسبب العديد من النتائج السلبية مثل : انخفاض الرضا الوظيفي ، ضعف ممارسة سلوكيات المواطنة التنظيمية و زيادة النزوع لترك العمل وضعف الأداء الوظيفي ، و زيادة المجهدات الوظيفية (Keller, J., 2002 :p325).

3-3-2) العوامل المحددة لعدالة التعاملات :

إن إدراكات العاملين لعدالة التعاملات تتحدد بناء على أربعة عوامل:

- ✓ مدى وجود مبررات واضحة للقرارات المتخذة.
- ✓ مدى إخلاص صاحب السلطة و صراحته.
- ✓ مدى احترام صاحب السلطة للعاملين.
- ✓ مدى التزام صاحب السلطة بحدود اللباقة في تعامله مع العاملين.

إن الطريقة التي يعامل بها الموظف عند تنفيذ إجراء تنظيمي معين يمكن أن يؤثر في إحساسه بالعدالة التنظيمية وفي إحساسه بعدالة التعاملات العادلة بين الأشخاص، ومن ثم يمكن لعدالة التعاملات أن تعكس جودة العلاقات الشخصية بين الرئيس المباشر والعاملين، ومقدار الاحترام، دماثة الخلق التي يبديها الرئيس للمرؤوسين، كما تعكس درجة تطبيق الإجراءات الرسمية بصورة صحيحة.

وما يمكن أن نستخلصه، أن العدالة التنظيمية عملية سلوكية معقدة، وذلك من خلال الترابط الشديد بين تلك الأبعاد، فلا بد على إدارة التنظيمات، أن تضمن توفير الدعائم الأساسية لتحقيق العدالة التنظيمية، إضافة إلى تطوير الكفاءات القيادية القادرة على وضع النظم موضع التنفيذ.

3- نماذج العدالة التنظيمية :

1-3) - نظرية التوقع لفروم Vroom Expectancy تعتبر نظرية التوقع (لفروم) من أحدث نظريات الدافعية وأكثرها قبولا من الناحية العلمية بين الباحثين، وأكثر النظريات وضوحا ودقة في تفسير سلوك الفرد ودوافعه ، تقوم هذه النظرية على مسلمة مفادها أن سلوك الأداء للفرد تسبقه مفاضلة بين بدائل قد تتمثل في القيام بسلوك أو عدم القيام به ، وتتمثل هذه المفاضلة على أساس قيمة المنافع المتوقعة من بدائل السلوك المتعلقة بالأداء.

*** عناصر نظرية التوقع:**

- ✓ جاذبية العوائد: تمثل قيم العوائد التي يود الفرد الحصول عليها مثل الترقية، الأجر، الحوافز، وتحقيق الذات.
- ✓ الوسيلة: هي مقياس يقيس قوة العلاقة بين الأداء ومحتواه، وإمكانية الحصول على حوافز أجرية عالية والعكس صحيح.
- ✓ التوقع: هو مقياس يقيس قوة العلاقة بين المجهود والنشاط الذي سيبذله، بين مستوى الأداء الذي يمكن التوصل إليه من جراء هذا المجهود.

وعليه يمكن القول أن هذا النموذج يفرض على المدير أن يوجه مرؤوسيه، لمساعدتهم في التعرف على حقيقة إمكانيتهم وقدراتهم وأن يساندهم في تنمية تلك المهارات التي تؤدي إلى رفع مستوى أدائهم.

2-3)– نموذج بورتر ولولر Porter and Lawler

تقوم نظرية (بورتر و لولر) على أساس أن استمرار أداء العاملين و فعالية الدوافع لديهم تعتمد إلى حد كبير على مدى رضاهم و قناعتهم و مدى إدراكهم الايجابي بين المكافأة التي حصلوا عليها و بين ما يدركوه أنهم يستحقوا أن يحصلوا عليه كنتيجة لعملهم ، و اعتمد (بورتر و لولر) " نموذجا لتفسير أداء العاملين " ، حيث افترضا بأن الأداء و الإنجاز تنتج عنه عوائد و مكافئات داخلية و خارجية ، وهذه العوائد تعود على الرضا عن العمل ، فالعوائد الداخلية " الذاتية" هي تلك العوائد الناجمة عن شعور الفرد بالفخر عندما يؤدي عمله بكفاءة و عندما يكون هذا العمل بمواصفات .

أما العوائد الخارجية فهي تلك التي تمنحها المنظمة للفرد لإشباع حاجاته الدنيا وتتمثل في الأجر والأمان و الحاجات الاجتماعية ، كما تتضمن عنصرا آخر وهو إدراك الفرد لعدالة العوائد التي يستلمها من المنظمة (Maund , Linda , 2001 : p 452)

لقد وضع نموذج (بورتر و لولر) العوائد كحلقة وسيطة بين الإنجاز والرضا ، ومتى كانت العوائد الفعلية متقاربة من العوائد التي يعتقد الفرد بأنها عادلة و منسجمة مع الجهد المبذول يتحقق الرضا ، مما يدفع الفرد لتكرار هذا الجهد ، أي أن الرضا يعتمد على مدى إدراك الشخص للمكافأة التي يستلمها .

إن إدراك الفرد للعدالة يتحدد على أساس نظرية الإنصاف (العدالة) أو المقارنة الاجتماعية، فالموظف لا يكتفي فقط بتقييم وضعه وما يحصل عليه بل إنه يقيم أيضا مواقف الآخرين، لأن الأفراد يتأثرون بما يعتقدون أن الآخرين يحصلون عليه، ويجرون مقارنة اجتماعية للمدخلات والعوائد التي يحصلون عليها مقارنة بالآخرين.

وقد تم تفسير العلاقة بين الجهد والأداء والنتائج كما يلي:

- ✓ العلاقة بين الجهد والواقعية: حيث يتجه لجاذبية المكافأة من ناحية، ولكيفية وإدراك الفرد للعلاقة بين الجهد والمكافأة.
- ✓ العلاقة بين الأداء والمكافأة: حيث أنه في بعض الأحيان لا ترتبط المكافأة الخارجية مثل الأجور والمكافآت بأداء العمل بصورة مباشرة، أما المكافآت الداخلية – المعنوية – فهي شعور ذاتي وترتبط بأداء العمل.
- ✓ العدالة: و ترتبط بشعور العاملين بأن المكافآت توزع على أساس عادل، و بذلك يكون (بورتر ولولر) قد أضافا عامل عدالة المنافع كما يراها الأفراد و هي رضاهم تجاه العمل.

1-2-3) أبعاد نظرية بورتر و لولر:

يتمثل نموذج النظرية في أربعة أبعاد هي:

- **الجهد :** هي كمية الطاقة التي يبذلها الموظف في أداء مهام عمله، هذا الجهد يختلف عن أداء العمل نفسه، لأن الجهد يرتبط بقوة الدافع أكثر من ارتباطه بالأداء وكمية الجهد تعتمد على التفاعل بين تقييم المكافأة وإدراك احتمالية مكافأة الجهد.

- **الأداء:** هو النتائج الفعلية التي ترغب المنظمات قياسها بموضوعية ويعتمد على كمية الجهد المبذول وعلى قدرات الأفراد ومهاراتهم ومعارفهم وإدراكهم للدور الذي ينبغي أخذه أو القيام به.
- **المكافأة**: يرى كل من (بورت و لولر) أن المكافأة الداخلية – الجزاء المعنوي – له علاقة مع الرضا أكثر من علاقته بالأداء ، مثل الإحساس بالإنجاز أو تحقيق الهدف ، و إدراك عدالة المكافآت يمكن أن يتأثر تأثيرا مباشرا بالتقدير الذاتي للأداء.
- **الرضا:** هو أحد المتغيرات الناتجة عن مدى المكافآت الفعلية ، مقابل إدراك الشخص لمستوى عدالة المكافأة ، و يحدد الرضا الوظيفي من خلال إدراك العاملين للعدالة في المكافأة المحرزة ، و يشعر الموظفون برضا أكبر عندما يتم مكافأتهم بشكل عادل.(kretner & kinicki ; 1992 : p 208)

3-3) نظرية الجدارة

ترجع بدايات الاهتمام بمفهوم الجدارة إلى كتابات كل من (تايلور) و مقترحاته بشأن الإدارة العلمية و دراسة الحركة و الزمن، و كتابات (ماكيلاند ، MacClelland) في السبعينيات من القرن العشرين ، عن فكرة " قياس الجدارة " عندما قدم نموذجه للتنبؤ بالأداء الوظيفي بشكل موضوعي ، ولتفادي عيوب قياس الذكاء و الاستعداد.

وتتطلب عملية الربط بين العدالة التنظيمية ونماذج الجدارة تعريفا لكل من" الجدارة " و" نماذج الجدارة " لأنهما نقطة البداية المنطقية لبناء وتطبيق وقياس الناتج النهائي للجهود الإدارية الرامية إلى تحقيق العدالة التنظيمية.

3-3-1) تعريف الجدارة: يعرفها (ميرابيل ، 1997Mirabile) على أنها " مجموعة المعارف والمهارات التي يمتلكها أصحاب الأداء المتميز" ويعرفها(دينقل , 1995 Dingle) على أنها " قدرة الفرد على أداء مجموعة من المهام الوظيفية في ظل ظروف بيئية متغيرة " .

من التعريفين السابقين تحدد ماهية الجدارة، فيعكس التعريف الأول خصائص شاغل الوظيفة، أي ما يمتلكه الفرد من معارف و مهارات و اتجاهات، و وضع مجموع هذه الخصائص موضع التنفيذ لأداء وظيفة معينة، بينما التعريف الثاني يعكس خصائص الوظيفة ذاتها أي مجموعة الأنشطة اللازمة، مثل إدارة العمليات و الأفراد و المعلومات و الأموال لأداء وظيفة مدير.

كذلك تبرز إمكانية تحقيق العدالة التنظيمية عن طريق تدعيم المكونات الأساسية للجدارة لدى العاملين بما يؤدي إلى زيادة العاملين على تحسين مخرجاتهم – **عدالة التوزيع** - ، من خلال الإطمئنان إلى وسائل تحقيق تلك المخرجات – **عدالة الإجراءات** - ، وعلى ضوء ذلك يمكن القول إن العدالة التنظيمية تتحقق في ظل التفاعل بين الوظيفة و شاغلها.

3-3-2) نماذج الجدارة : تدور الفكرة الأساسية لمفهوم " نماذج الجدارة " حول قوة المنظمة على تعظيم الاستفادة من خصائص و سلوكيات الأفراد ذوي الأداء المتميز داخل المنظمة ، فيعرف Lucia & 1999Lepsinger)) نموذج الجدارة على أنه" وسيلة وصفية تحدد المهارات و المعارف و الخصائص

الشخصية و السلوكية اللازمة لأداء دور وظيفي معين بدرجة عالية من الكفاءة داخل المنظمة بما يساعد المنظمة على تحقيق أهدافها الاستراتيجية " ، و على ضوء ما سبق يمكن القول أن الهدف الأساسي لنماذج الجدارة هو تحديد مجموعة السلوكيات التي تفرق بين العاملين من أصحاب الأداء المتميز و العاملين من أصحاب الأداء المتوسط بما يؤدي إلى ارتفاع إحساس العاملين بالمساواة ومن ثم العدالة التنظيمية.

3-3-3) فعالية عدالة نماذج الجدارة: يمكن زيادة فعالية نماذج الجدارة من خلال تحقيق العدالة التنظيمية، و التأكيد على:

- ✓ إشراك الفرد في تحقيق العدالة: على المدير اتخاذ الإجراءات ذات العلاقة باختيار وتعيين الموظفين وتقييمهم على أساس من الشفافية والنزاهة المطلقة دون تمييز مبني على النوع الاجتماعي ، الجنس ، العمر (عادل زايد ،2006 : ص 264).
- ✓ تحديد فجوة الجدارة و العمل على تقليصها ومن ثم زيادة إحساس العاملين بالعدالة التنظيمية .
- ✓ تشجيع التعبير داخل المنظمة .
- ✓ زيادة القدرة التنافسية للمنظمات من خلال الجدارة .
- ✓ ارتباط العدالة التنظيمية بالدور الوظيفي وتأخذ في الحسبان التنوع والتباين في قدرات العاملين وطبيعة وظائفهم.

إن نماذج الجدارة هي وسيلة إدارية مناسبة لتحقيق العدالة التنظيمية وأن تعظيم الاستفادة من هذه الجدارة

يتحقق عن طريق تفهم التأثير الذي يمكن أن يحدثه سلوك العاملين بالعدالة التنظيمية.(بلال خلف سكارنة ،2009:ص 211)

4-3)- نظرية العدالة لجون رولز(Rowls):

يمكن النظر إلى نظرية العدالة التوزيعية التي صاغها الفيلسوف الأمريكي (جون رولز 1961) تشكل أهم محاولة فلسفية بعد النظريات التعاقدية في القرن 18 (جون لوك، جون جاك روسو) .

العدالة التوزيعية التي طرحها (رولز1961) تعد حدثا كبيرا في تاريخ الفلسفة السياسية لأنها أول نظرية سياسية تقدم مفهوما لتأسيس مرجعية العدالة في تلك الفترة فهو يعتبرها نظرية سياسية تهدف للكشف عن المبادئ الناظمة للعدالة داخل المجتمع، واعتبرها منطلقات إنسانية عقلية، ففي الكتاب الذي صدر عنه عام 1971 يبين بوضوح أن هدفه هو تقويم تصوير للعدالة والتجريد، أما في الكتاب الصادر عام 2001 تحت عنوان "العدالة بصفتها إنصافا" فقد عرف المجتمع بأنه نسق تعاوني قائم على الإنصاف حيث يضمن هذا الانصاف بين المشاركين بما يقوم به من تكافؤ في الحقوق والفوائد التي تضعها المؤسسات الاجتماعية والسياسية، مع تحديد النمط وضوابط لتقييم هذه المنافع المترتبة عن طريق التعاون الاجتماعي وقد توصل من خلال نظريته إلى مبدأين هما:

- ✓ أن يتمتع كل شخص بحق متساو مع غيره .

✓ أن تنظم أشكال التفاوت الاجتماعي والاقتصادي .

5-3)- نظرية العدالة لأدامز Adams :

تنص هذه النظرية على أنه إذا أحس الأفراد بتفاوت بين مقدار الحوافز التي يستلمونها و بين مقدار الجهود التي يبذلونها، فإنهم يتطوعون لتخفيف ذلك التفاوت، إلى جانب ذلك كلما كان التفاوت كبيرا، اتجه الأفراد إلى تخفيفه، و يشير التفاوت هنا إلى الاختلاف المحسوس بين الذي يمكن وجوده بين شخصين أو أكثر و قد يبنى هذا الاختلاف على إدراك ذاتي أو على حقيقة موضوعية.

لقد ارتبط تطوير النظرية في أساسها و تجريبها باسم (آدمز) الذي عرف التفاوت - أو عدم المساواة - بأنه يحدث حينما يحس شخص ما بأن نسبة العائد من وظيفته إلى مدخلات الوظيفة لا يتعادلان مقارنة مع نتائج و مدخلات شخص مرجعي ، وقد يكون هذا الشخص المرجعي أحد أفراد الجماعة التي ينتمي إليها ، أو عضوا في جماعة أخرى أو من خارج المنظمة ، و تشير المدخلات في نظرية العدالة ، إلى عوامل مثل ، الجهد ، المعرفة ، المهارات و أداء المهام التي يقوم بها الفرد أو يوظفها في عمله ، فيما يشير العائد إلى تلك المكافآت التي تنتج عن إنجاز المهام كالراتب ، الترقية ، التقدير و الشعور بالإنجاز (عبد الباقي 2000:ص 122).

4. أهمية العدالة التنظيمية :

لقد أثبتت الدراسات السابقة التي تم التعرض إليها في فصل الاطار المفاهيمي ، بأن أهمية العدالة التنظيمية تنبع من تأثيرها على العديد من المتغيرات التنظيمية و التي من أهمها:

1-4) – سلوكيات المواطنة التنظيمية : لقد كشفت العديد من الدراسات أن العدالة التنظيمية تؤثر ايجابيا في مكونات سلوك المواطنة التنظيمية ، و ذلك لأن إحساس العامل بالمساواة و الإنصاف سواء فيما تعلق بعدالة التوزيع أو الاجراءات أو التعاملات تولد لديه الشعور بالمسؤولية اتجاه المنظمة ، بالتالي الانخراط في الكثير من الممارسات التطوعية غير الرسمية أو سلوك المواطنة.

2-4)– زيادة دافعية الجماعة : تؤثر العدالة التنظيمية على روح فريق العمل و الجماعة ، هذا من شأنه أن يؤثر على دوافع الفرد العامل لزيادة مكافآت و عوائد الجماعة وليس الفرد ، إن عدالة الاجراءات و التعاملات تعتبر من وسائل إشاعة روح الجماعة ، لأن الاجراءات و المعاملات العادلة توجه رسالة للعاملين على أن الجماعة تقدر كل عضو فيها (قاسم نايف علوان ، 2007 : ص105)

4- 3) – الثقة في نظام تقييم الأداء: إن ثقة الفرد العامل في عدالة و دقة نظام التقييم ، تزداد كلما شعر بأن هذا النظام يتصف بالعدالة التنظيمية ويتحقق ذلك عندما يدرك الفرد أن تقديرات التقييم تتم على أساس الجهد و الأداء و استقرار معايير التقييم ، كذلك إتاحة الفرصة للعامل لكي يتكلم و بصوت مسموع لإبداء رأيه في الانتاج.

4- 4) - الثقة بالمشرف والثقة بالتنظيم ككل : إن ثقة الفرد داخل المنظمة تتكون في اتجاه أكثر من

وجهة، لأن المنظمة وحدة اجتماعية متعددة الأطراف، فقد تكون هذه الثقة متجهة نحو زملاء العمل أو تكون الثقة متجهة صوب القائد (مشرف العمل) أو قد تكون الثقة أكثر شمولية لتتجه نحو الإدارة العليا والتنظيم ككل وهذه القضية تكون طبيعية لأن الفرد العامل داخل المنظمة يكون لديه شبكة من العلاقات المتبادلة و مستوى الثقة التنظيمية يكون تبعا لشعور العاملين بمستوى العدالة التنظيمية و الدراسات أثبتت أن مشاعر الثقة تتأثر بمدى شعور العاملين بمستوى العدالة التنظيمية (م.عامر علي و م.الهام ناظم الشيباني حسين ،2010 : ص 201).

4- 5) كمية وجودة الإنتاج : يمكن أن تؤثر العدالة التنظيمية على كمية و نوعية الأداء ، حيث أن شعور الفرد بعدم الانصاف يولد لديه شعورا بالتوتر يحاول إزالته، و ذلك بالتأثير على أدائه بالعمل من حيث الكم والنوع ، أو يكثر من التأخير عن العمل أو التغيب أحيانا ، مما يؤثر هذا كذلك على حياتهم الخاصة خارج العمل .

5. علاقة العدالة التنظيمية ببعض المتغيرات التنظيمية:

1-5)- علاقة العدالة التنظيمية بالنظم المفتوحة:

العدالة التنظيمية لها علاقة بخصائص النظم المفتوحة وذلك من خلال:

التغذية العكسية: وهي جميع المعلومات التي تؤثر على سير عمليات النظم ومدى قبول البيئة الخارجية للمخرجات، من حيث مظاهرها الإيجابية أو السلبية في البيئة وأن استجابة النظام لمتغيرات البيئة تؤدي إلى تصحيح الانحرافات وتزيد من الجوانب الإدارية، وترفع كفاءة وفعالية النظام كما تساعد على تحقيق كل أنواع العدالة التنظيمية خاصة عدالة الإجراءات. (كامل محمد مغربي ،2007: ص 128).

2-5)- علاقة العدالة التنظيمية بالقيادة:

هناك علاقة بين القيادة التحويلية والتبادلية والعدالة الإجرائية، من جهة والعدالة التنظيمية ككل من جهة أخرى ، فقد وجد (مورمان) أن العدالة الإجرائية لعبت دورا مهما في تقييم القيادة، كما وجد (تيلرTyler) أن إتاحة الفرصة للمرؤوسين للتعبير عن آرائهم قد أثر بقوة على مدركات المرؤوسين للعدالة الإجرائية ، ومن ثم تقويمهم لقدرات مشرفهم ويؤكد تيلر و ليند Tyler & lind, على أن تعزيز تماسك المجموعة في الأجل الطويل والاهتمام بمصلحة المجموعة يعتبر من أهم عناصر العدالة الإجرائية ، كما يؤكد أنصار العدالة الإجرائية ، على أنه بالإضافة للدور الإيجابي الذي تلعبه بالتأثير على اتجاهات المرؤوسين اتجاه القرارات التي يتخذها القادة فإنها تلعب وظيفة أخرى تتمثل في تقوية العلاقة بين القائد وتابعه .

(Karsgaard et Al) كما أن العدالة التوزيعية تعزز أيضا من الثقة في القائد والمنظمة .

(عبد المحسن نعساني، أحمد اليوسفي،2002: ص 19).

3-5)- علاقة العدالة التنظيمية بالاتصال:

ترتبط العدالة التنظيمية بعملية الاتصال وذلك من خلال المعلومات التي تصل للأفراد تكون لديهم قدرة الإدراك والتقييم من حيث النوعية، وصولا لشخص معين يعتبر إثابة أو نوع من الامتياز، ويمكن القول إن

الاتصال له قيمة مرغوبة وعرضة للمقارنة الاجتماعية وفي ضوء ذلك يحدد الفرد ما إذا كانت هناك عدالة أو مساواة بالنسبة للاتصال. (علي عسكر، حسن الموسوي ،1999: ص 139-140).

4-5)– علاقة العدالة التنظيمية بثقافة المنظمة:

تشكل ثقافة المنظمة إحدى العناصر الأساسية في تفسير سلوك المنظمة وقيادتها وإدارتها وفرقها وجماعاتها ومدراءها ومواردها البشرية والمتعاملين معها من الأطراف ذوي المصالح بأعمالهما ، فهي تقوم بتوجيه سلوك العاملين ومساعدتهم على أداء أعمالهم بصورة أفضل اعتمادا على القواعد واللوائح غير الرسمية التي تعتبر مرشدا لكيفية التصرف في مختلف المواقف.(نعمة عباس الخفاجي ،2009: ص 18) .

كما أنها تعتبر وسيلة لتحقيق العدالة التنظيمية من حيث:

- ✓ أنها تعمل على إيجاد الولاء بين العاملين، وتغليب المصلحة الجماعية عن المصلحة الشخصية.
- ✓ تمثل معيار ما هو مقبول وما هو مرفوض، من السلوكيات والقرارات لمختلف المستويات، كما أنها تؤثر في تكوين أنظمة اتصال فعالة ومفتوحة، وتساعد بصورة مباشرة في عملية اتخاذ القرارات الإدارية بعقلانية وأقل تكاليف. (عبد العزيز جبتور ،2004: ص 201)

قبول المجتمع للتفاوت في السلطة والثروة بين أفراد المجتمع أي تقدير المساواة والاستحقاق داخل أي مجتمع.

الصراع بين الرجل والمرأة وهذا يؤثر بشكل مباشر على إحساس كلا الطرفين بالعدالة التنظيمية. (عادل زايد ،2006: ص 91-94).

6-العوامل البيئية وأثرها على العدالة التنظيمية:

إن بناء صورة متكاملة للعدالة التنظيمية يستدعي ضرورة التعرف على الروافد الخارجية لهذه العدالة، فالمنظمات هي وليدة البيئة تتأثر بها وتؤثر فيها وتتفاعل معها، وترجع أهمية دراسة البيئة الخارجية في تحقيق العدالة التنظيمية إلى العديد من الأسباب منها:

إن البيئة هي نقطة البداية في تكوين المنظمة، حيث أن المنظمة تستورد كل ما تحتاج إليه من موارد من البيئة الخارجية.

البيئة الخارجية هي نقطة النهاية لمنتجات المنظمة، فالمنظمات جميعها تصدر السلع والخدمات للبيئة الخارجية.

العدالة ممتدة داخليا وخارجيا، فعدم إحساس العاملين بالعدالة سوف يؤثر بشكل مباشر على إحساس الجمهور الخارجي (المستهلكين) بنفس الشيء.

المنظمات جزء من البيئة الخارجية وتحمل نفس خصائصها، فالعدالة السائدة في المجتمع نفسها التي تسود غالبا في المنظمات فالبدايات الحقيقية للعدالة التنظيمية تأتي من روافد البيئة الخارجية التي تخضع لمجموعة من المتغيرات أهمها:

1-6)-المتغيرات السياسية :

هو المناخ السائد في الدول والمنظمات، حيث تمثل الروافد السياسية أحد المتغيرات الحاكمة والمؤثرة على العدالة التنظيمية، فالاستقرار السياسي وال تشريعي186 في البيئة الخارجية يمثل رافدا مهما في تحقيق العدالة التنظيمية، فالتحول في الفكر السياسي يترتب عليه إعادة النظر في العديد من جوانب العدالة التنظيمية، فيما يتعلق بنظم الاستقطاب والأجور والترقيات والحوافز والعديد من الممارسات ذات التأثير المباشر على إحساس العاملين بالعدالة التنظيمية.

2-6)- المتغيرات الاقتصادية:

استجابة للمتغيرات الاقتصادية ، بدأت العديد من بلدان العالم في تبني فكرة الخوصصة الذي كان من الممكن أن يعود بالنفع على العاملين ، و من ثم زيادة درجة إحساسهم بالعدالة التنظيمية، حيث استهدف هذا البرنامج منح العاملين مزيدا من الحوافز و تحسين كفاءة المنظمات و حرية الأفراد في ملك بعض الأسهم ، و بالتالي حسن توزيع الدخل و الثروة بين طبقات المجتمع بما يحقق العدالة التنظيمية ، إلا أنه من جهة أخرى قد يؤدي هذا البرنامج إلى زيادة حجم البطالة و بالتالي فقدان العديد من العاملين لوظائفهم و عدم إحساسهم بتطبيق العدالة التنظيمية.

3-6)- المتغيرات الاجتماعية التكنولوجية :

فهي تؤثر على هيكل وربحية المنظمات من جهة، وعلى العدالة التنظيمية من جهة أخرى، وهذا من خلال أثر تكنولوجيا المعلومات على نوعية العمالة وهيكل المنظمة.

4-6)- المتغيرات الاجتماعية :

وتعكس القيم والعادات والتقاليد السائدة في مجتمع معين، ومن هذه المتغيرات التي تؤثر على العدالة التنظيمية نجد متوسط دخل الفرد، عدد السكان، حركة الهجرة الداخلية والخارجية.

خلاصة هو أن المنظمات إذا كانت تتعامل وتواجه الضغوطات فيمكن أن تؤثر هذه الضغوطات على البيئة الداخلية، وبالتالي على إحساس العاملين بالعدالة التنظيمية، فعدم قدرة المديرين على إدراك الروافد الخارجية للعدالة التنظيمية بدرجة من الدقة يمكن إلى تفشي الإحساس بعدم العدالة التنظيمية.

خاتمــة :

وفي الختام، يمكن القول أن موضوع العدالة التنظيمية يعد من المواضيع الهامة لذلك كان من البديهي أن تجرى الكثير من الدراسات والمحاولات الجادة لتفعيلها في المنظمات كونها ظاهرة تنظيمية، لما لها الأثر البالغ في زيادة الاستقرار النفسي والمهني للعاملين، وعليه فهي تؤثر بشكل مباشر على دوافع الأفراد في العمل وهذا راجع لأهمية الأثر الذي يمكن أن يحدثه إحساس العاملين بالعدالة أو عدم العدالة في مكان العمل ، إن إحساس العاملين بعدم العدالة يمكن أن يؤدي إلى تراجع مستويات الأداء التنظيمي بشكل خطير مهما بلغت بقية عناصر العملية الإدارية من قوة ، وعلى العكس فإن إحساسهم بالعدالة يمكن أن

يؤدي إلى حدوث طفرة كبيرة في مستويات الأداء التنظيمي ، ففي الحالات التي يزداد فيها شعور العاملين بعدم العدالة يترتب على ذلك العديد من النتائج السلبية من انخفاض الرضا الوظيفي، تدني سلوكيات المواطنة التنظيمية و انخفاض الالتزام التنظيمي إضافة إلى ذلك انخفاض الأداء الوظيفي بصفة عامة ، وعلى النقيض فإن ارتفاع إحساس العاملين بالعدالة سوف يؤدي إلى زيادة ثقتهم في إدارة المنظمة و زيادة قناعتهم بقدرتهم في الحصول على حقوقهم ، وما يعنيه ذلك من ارتقاء سلوكيات الأفراد بعد الاطمئنان إلى سيادة العدالة و من ثمة الوثوق في المنظمة .

قائمة المصادر المراجـع :

1- بلال خلف السكارنة ،(2009)، **أخلاقيات العمل (ط1)**،الأردن، دار الميسرة للنشر و التوزيع .

2- ر. السعود و س. سلطان ،(2009)، **مجلة جامعة دمشق** ، المجلد 25 العدد 1+2.

3- كامل المغربي و آخرون ،(1995)، **أساسيات في الإدارة** ، عمان -الأردن ، دار الفكر و النشرو التوزيع.

4- م.عامر علي و م.الهام ناظم الشيباني حسين العطوي،(2010)، **دراسة دور الدعم والثقة القيادية في بناء الالتزام التنظيمي للعاملين** ،مجلة جامعة كربلاء العلمية المجلد الثامن العدد الثالث .

5- **منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية**،(2008)، المرجع في التدريب و ادارة الموارد البشرية.

6- علي عسكر ، حسن موسوي حمدي ، (1999)،علم النفس الصناعي بين النظرية و التطبيق ، (ط1) ، الكويت، دار الكتاب الحديث.

7- عبد العزيز بن جبتور،(2004)، **الإدارة الاستراتيجية –إدارة جديدة عي عالم متغير** ،اليمن، دار الميسرة للنشر.

8- عادل محمد زايد،(2006)، **العدالة التنظيمية المهمة القادمة لإدارة الموارد البشرية** ،مصر، المنظمة العربية للتنمية الادارية .

9- قاسم نايف علوان ،(2007) **تأثير العدالة التنظيمية على انتشار الفساد الاداري** ، جامعة التحدي ليبيا، مجلة العلوم الاقتصادية و علوم التسيير العدد 7 .

المراجع الأجنبية:

1- CHAN, (2000), M-Organizational Justice And Landmark Cases, International Journal Of Organizational Analysis.

2- Kreitner & kinicki,(1992) Organizational behavir , 2end edition, IRWIN.

3- Keller,(2002), J- The Link Between Organizational Justice And Job Satisfaction, Academy Of Management Review.

4- Maund , linda ,(2001), An introductionto human resource management theory and practice , palgrave.

5- RAHIM, M.(2000), Do Just Perceptions Influence Style Of Handling.

مدى التزام الدولة الأردنية باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة من وجهة نظر الناشطين في مجال حقوق الإنسان

أ.سائده حسني سليم ابوفرحه- د. عبير بشير دبابنه – أ.د. محاسن الجاغوب
الجامعة الأردنية

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث وجهة نظر الناشطين في مجال حقوق الإنسان في مدى التزام الدولة الأردنية باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتنطلق من فرضية مفادها أن الدولة الأردنية قدمت اتفاقية سيداو للمجتمع الأردني على نحو جعله يتقبل مضمونها، وأدى إلى تمكن الدولة من الالتزام بالاتفاقية وتطبيق ما جاء فيها؛ فتبحث الدراسة في صحة الفرضية وتسعى نحو تحقيق أهدافها التي من بينها الإسهام في زيادة الوعي المجتمعي باتفاقية سيداو والحقوق التي تؤكدها، وقد أوصت الدراسة بتعديل التشريعات التي تحد من ممارسة المرأة حقوقها، أو تسبب تمييزًا اجتماعيًا ضدها.

كلمات مفتاحية:

اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، مبدأ المواطنة، مبدأ المساواة، الدستور.

Abstract :

This study aims to examine the point of view of human rights activists on the extent of the Jordanian state's commitment to the Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women. This study based on the assumption that the Jordanian state presented a CEDAW convention to the Jordanian society in a way that promoted the social acceptance of its content and supported the state to fulfil the obligations and the implementation of the convention. The study examined the validity of the hypothesis and aims to achieve its objectives, among which is to contribute to raising the social awareness of the CEDAW and the rights it affirms. The study recommended amending legislation that restricts women's rights or causes social discrimination against them

مقدمة

توصف اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) بأنها وثيقة حقوق النساء الدولية، فقد اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18 كانون الأول عام 1979، ودخلت حيز التنفيذ في 3 أيلول عام 1981، وقد وقعت الدولة الأردنية على هذه الاتفاقية في تاريخ 1980/12/3، وصادقت عليها في تاريخ 1992/7/1، وقد نشرت في الجريدة الرسمية فأضحت جزءًا من التشريع الوطني في تاريخ 2007/8/1 (انظر عدد الجريدة الرسمية رقم 4839؛ تاريخ 2007/8/1). وقد دار الجدل حول هذه الاتفاقية؛ فانقسمت الدول إلى مؤيد ومعارض ومتحفظ.

بالرغم من أن الأردن وقع وصادق على اتفاقية سيداو إلا أنه استبعد الأثر القانوني لبعض موادها من خلال تحفظه عليها، ومن ثم سحب تحفظه عن المادة (15) المتعلقة بحرية تنقل المرأة واعتبرها لا تخالف القانون الأردني الذي يساوي بين الرجل والمرأة في الحرية في اختيار مكان الإقامة والحرية في التنقل، إلا أنه أبقى على التحفظات الأخرى (المادة (9) التي تقر بحق المرأة في إعطاء جنسيتها لأطفالها شأنها في ذلك شأن الرجل، وبعض بنود المادة (16) التي تتضمن المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة عند عقد الزواج وأثناءه وبعد فسخه، ثم تساوي في الحقوق والواجبات للأب والأم فيما يتعلق بأطفالهما بصرف النظر عن حالتهما الاجتماعية، وفي الحقوق الشخصية للزوجين مثل اختيار اسم العائلة ونوع العمل والمهنة) (الموسى، 2009).

وبالانتقال من العمومية إلى التخصيص يمكن القول إن القوانين تعد الوعاء الأمثل الذي تظهر فيه الحقوق والحريات على النحو الذي تكفل الدولة ممارستها وتحميها، من أجل ذلك فقد ظهرت اتفاقية سيداو لتؤكد حقوق المرأة، ومن ثم تعبر الدول الموقعة على الاتفاقية والمنضمة إليها عن موافقتها على ما جاء فيها، وتطوع تشريعاتها الداخلية لتتوافق معها، فهل واءمت الدولة الأردنية تشريعاتها الوطنية مع اتفاقية سيداو؟ وهل يلحظ المجتمع هذا الأمر؟ أم أن التعديل اقتصر على النصوص القانونية ولم يبلغ حد تطبيق تلك النصوص؟

من هنا تبرز مشكلة الدراسة؛ فبالرغم من أن اتفاقية سيداو ثابتة لم يمسها التعديل إلا أن وجهات النظر قد اختلفت حولها، فما وجهة نظر المجتمع الأردني في الاتفاقية؟ وهل تختلف وجهات النظر بين شرائح المجتمع؟ أو بين أفراد الشريحة الواحدة؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تستلزم تحديد مدى نجاح الدولة الأردنية في تقديم الاتفاقية للمجتمع في غضون الإجراءات القانونية المتخذة بشأنها (توقيع، وتصديق، ونشر)، الأمر الذي يؤثر في التزام الدولة بما جاء في الاتفاقية.

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لتبحث في اتفاقية سيداو على وفق أسلوب البحث العلمي؛ فنعرض الاتفاقية وما يتعلق بها بعيون إحدى شرائح المجتمع، أي أننا نسعى في هذه الدراسة إلى استنطاق المجتمع وتحديد سياقاته المختلفة والبنى المهيمنة فيه، ومن ثم نسعى نحو تفكيك الخطابات التي تتعلق بالمرأة وحقوقها ونحللها من أجل تحديد الظروف التي أنتجت هذه الخطابات؛ فتتعرى الحقائق أمامنا بحيث لا يكون هناك مجال للمجتمع أن يتكلم فينا أو من خلالنا، بل نستنطق أفراده وندفع بمسلماته إلى دائرة التحليل، فنسهم بذلك في فهمه وإحداث التغيير المنشود والاستثمار الأمثل للجنس البشري؛ رجاله ونسائه.

من هنا تكمن أهمية الدراسة؛ فهي تعنى ببحث وجهة نظر أكثر الشرائح اهتمامًا باتفاقية سيداو وموقف أفرادها من تلك الاتفاقية، أولئك الأفراد الذين ينتمون إلى شريحة الناشطين في مجال حقوق الإنسان، فتسهم وجهة نظرهم تلك في تحديد مدى نجاح الجهات المعنية في تقديم الاتفاقية إلى المجتمع المحلي، ومن ثم تقبل المجتمع لها على النحو الذي يمكّن الدولة من تنفيذها بشكل كامل.

أضف إلى ذلك فإن القراءة التحليلية لوجهة نظر مجتمع الدراسة (الخطابات المتعلقة بالاتفاقية) تسهم في تحديد مدى المواءمة بين حقوق المرأة المنصوص عليها في التشريعات الوطنية والحقوق التي أكدتها اتفاقية سيداو، وتحديد موقف مجتمع الدراسة بشكل خاص وموقف المجتمع المحلي بشكل عام من الاتفاقية؛ تلك المواقف قد تسهم في الإعمال الكامل للاتفاقية أو قد تؤدي إلى الحيلولة دون ذلك.

من جهة أخرى فإن أهمية أخرى تظهر للدراسة إذا ما وضعت بين يدي المشرع عند تعديل التشريعات الوطنية على النحو الذي يوائم الاتفاقية؛ فتكون بذلك معينًا له في معرفة التشريعات التي يسعى المجتمع نحو تعديلها من أجل الاعتراف للمرأة ببعض حقوقها، أو تمكينها من ممارسة بعضها الآخر على النحو الذي يؤدي إلى إعمال مبدأ المساواة بين المواطنين بصفته أحد أهم المبادئ الدستورية (المادة 6 من الدستور).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من المسائل، لعل أهمها:

- تحديد موقف مجتمع الدراسة من اتفاقية سيداو، وتحليل مضمون ذلك الموقف.
- قياس مدى نجاح الدولة بمختلف أجهزتها في تقديم الاتفاقية إلى المجتمع المحلي.
- الإسهام في زيادة الوعي المجتمعي باتفاقية سيداو والحقوق التي تؤكدها.
- تحديد معيقات إعمال الاتفاقية بشكل كامل من وجهة نظر مجتمع الدراسة.
- تحديد مدى تواؤم التشريعات الوطنية مع الاتفاقية من وجهة نظر مجتمع الدراسة.
- أن تصبح مرصدًا لوجهة نظر مجتمع الدراسة في الاتفاقية على النحو الذي يمكن معه للدراسات اللاحقة أن تستعين بها لتحدد التغير الذي يطرأ على وجهة نظر مجتمع الدراسة بشكل خاص، والمجتمع المحلي بشكل عام.

أسئلة الدراسة:

يمكن إجمال أسئلة الدراسة بالسؤال التالي:

هل التزمت الدولة الأردنية باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية -علاوة على الأسئلة التي قد تطرح عند عرض جزئيات الدراسة المختلفة-:

- ما مدى تمتع حقوق الإنسان لا سيما النساء بالطابع العالمي في ظل خصوصية المجتمعات؟
- ما أهمية أن تكون الدولة الأردنية طرفًا في اتفاقية سيداو من وجهة نظر مجتمع الدراسة؟
- ما أهم معيقات إعمال الدولة الأردنية اتفاقية سيداو من وجهة نظر مجتمع الدراسة؟
- ما مدى تواؤم التشريعات الوطنية مع اتفاقية سيداو من وجهة نظر مجتمع الدراسة؟

فرضيات الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من الفرضية التالية:

قدمت الدولة الأردنية اتفاقية سيداو للمجتمع الأردني على نحو جعله يتقبل مضمونها، وأدى إلى تمكن الدولة من الالتزام بالاتفاقية وتطبيق ما جاء فيها.

دراسات سابقة:

تناولت العديد من الدراسات المحلية اتفاقية سيداو وناقشتها من زوايا مختلفة إلا أنها لم تدرسها من منظور نسوي ولم تحلل وجهات النظر المتعلقة بها (الخطابات المختلفة حول الاتفاقية)، وبما أن العلم – كأصل عام- تكاملي لا يوجد بعضه إلا بالاستناد إلى بعضه الآخر فإن هذه الدراسة تستند إلى ما سبقها من دراسات ذات صلة، لعل أهمها:

1- دراسة (قاطرجي، 2008)؛ التي حملت عنوان: "**قراءة إسلامية في اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة**":

هدفت الدراسة إلى تحليل ما جاء في اتفاقية سيداو من منظور إسلامي، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي، حيث خلصت الدراسة إلى أن اتفاقية سيداو وغيرها من الاتفاقيات المشابهة تأتي مساندة لنظام العولمة الجديد الذي يسعى إلى إبعاد الناس عن دينهم وثقافتهم، وفرض القوانين والأنظمة الدولية بصفتها خيارً مفروضًا لا بديل عنه، كما ركزت على أهمية تحكيم الشرع الإسلامي عند مناقشة قضايا الأسرة والأحوال الشخصية، ودعت إلى تعزيز دور القضاء الشرعي.

2- دراسة (الموسى، 2009)؛ التي حملت عنوان: "**استخدام سيداو في النظام القانوني الأردني**"، حيث عرفت الدراسة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ومكانتها وكيفية الاحتجاج بها عمليًا أمام القضاء الأردني لوضع الحماية المنصوص عليها في هذه الاتفاقية موضع التنفيذ من قبل المحامين والقضاة وسائر الأشخاص ذوي الصلة بالعملية القضائية في الأردن.

3- دراسة الحسبان والشلبي (2006) بعنوان "الحقوق المدنية والسياسية للمرأة الأردنية: حق الخلع مابين خطاب الكونية وخطاب المحلية؛ حيث تندرج هذه الدراسة ضمن ما يسمى الإنثروبولوجيا القانونية؛ اي ربط الظاهرة القانونية في أي مجتمع بسياقه الاقتصادي والاجتماعي والتاريخي، وقد هدفت الدراسة إلى مقارنة التشريعات الأردنية بالتشريعات الدولية فيما يخص المرأة، وبينت محاولات المشرع الأردني المواءمة بين كلا التشريعين، كما حاولت الدراسة ان تبين الصعوبات التي يواجهها المشرع الأردني في محاولته المواءمة نتيجة الصراع الاجتماعي الأيديولوجي بين القوى المحلية التي تركز على خصوصية حقوق المرأة في الأردن، والقوى الكونية التي تنادي بعالمية حقوق المرأة، من خلال استعراض الجدل الذي ساد مجلس النواب والنخب السياسية حول قانون الخلع الذي كان محاولة للمواءمة بين الحقوق الدولية والمحلية، وتوصلت الدراسة إلى أن الجدل الدائر بين النخب يعكس صراعًا داخل هذه النخب بين من ينتمون إلى أيديولوجيا الكونية وأيديولوجيا الخصوصية.

4- Ewaiwi . L (2013)“a Cultural and Legal Study of Jordan’ Reservations to The Convention on The Elimination of All Forms of Discrimination Against Women”.

هدفت الدراسة إلى استكشاف تحفظات الأردن على اتفاقية سيداو تبعًا لسمات المجتمع الثقافية والدينية، كما ناقشت كيف يمكن للمرء أن يحقق التوازن بين احترام القيم الثقافية والدينية، وفي الوقت نفسه يعترف بالحاجة إلى التغيير، وخلصت الدراسة إلى أن تحفظات الأردن تتناقض مع الغرض من الاتفاقية وهو تمكين المرأة من الوصول إلى كامل حقوقها. علاوة على ذلك فإنه عند دراسة اتفاقية سيداو، ينبغي احترام الاختلافات الثقافية بشرط أن لا تؤثر ثقافة المجتمع في حقوق المرأة.

قراءة نقدية للدراسات السابقة

تناولت الدراسات السابقة اتفاقية سيداو من عدة زوايا؛ حيث تناولت بعض الدراسات الوضع القانوني للمرأة الأردنية ومقارنته مع وضعها في الاتفاقيات الدولية، من خلال دراسة النصوص القانونية ومقارنتها، مع إغفال الجانب الميداني والاكتفاء بالجانب القانوني الذي سيتأثر حتمًا بوجهة نظر الباحثين في السياقات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية كما سيؤثر فيها.

من جهة أخرى فهناك دراسات تناولت الاتفاقية من منظور شرعي، وتوصلت إلى ان الاتفاقية تعد محاولة لتغريب المرأة وإفقادها هويتها، دون التطرق إلى السياق الذي أفرز الاتفاقية والحاجة إلى تغيير بعض القوانين المجحفة بحق المرأة أو تعديلها، واكتفت هذه الدراسات بنقد الاتفاقية من الزاوية الشرعية مع عدم التطرق إلى أن معظم التشريعات الوطنية غير معتمدة على الشريعة الإسلامية (مصدرها تشريعات دول أجنبية في بعض الأحيان).

أضف إلى ذلك فإن دراسات أخرى تناولت حقوق المرأة بصفتها حقوق إنسان، والعلاقة بين عالمية حقوق المرأة وخصوصيتها، دون التعرض إلى محاور التحليل النوعي وتحليل الخطابات المتضاربة وربطها مع السياقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع (باستثناء دراسة الحسبان والشلبي التي تناولت الخطابات المختلفة وربطتها مع سياقها الاجتماعي والثقافي، إلا أنها ركزت على قضية الخلع بصفتها دراسة حالة).

في حين أن هذه الدراسة تعنى برصد الممارسات الخطابية لأفراد شريحة الناشطين في مجال حقوق الإنسان؛ الذين خاضوا نقاشات أسهمت في تحديد مستوى الحقوق التي حصلت عليها المرأة الأردنية؛ فبين مؤيد للاتفاقية ومعارض لها اختلفت وجهات النظر حولها، فهل كان هذا الاختلاف أحد أشكال التعدد الثقافي؟ ومن ثم أسهم في تمكين المرأة؟ أم أنه تنفيذ أجندات واتباع أيديولوجيات مختلفة؟ هذا ما تحاول هذه الدراسة استجلاءه على النحو الذي أدى إلى اختلافها عن الدراسات السابقة.

منهجية الدراسة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة، ومحاولة الإجابة عن أسئلتها وفحص مدى صحة فرضيتها سنركن إلى المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة باستخدام أسلوب البحث النوعي؛ للكشف عن الاتجاهات، والمفاهيم، والمعيقات، وعلاقات القوة، والممارسات الثقافية؛ كل ذلك من خلال إجراء المقابلات النوعية المعمقة مع عينة الدراسة، وتحليل مضمونها.

أداة الدراسة:

شكلت المقابلة المعمقة الأداة الرئيسة في هذا البحث، وقد استخدمت الباحثات استمارة المقابلات شبه المهيكلة التي أعددنها وصغن أسئلتها على نحو يتوافق مع أهداف الدراسة؛ بالاعتماد على المقابلات الأولية لبعض الناشطين في مجال حقوق الإنسان، والاطلاع على التشريعات المحلية والدولية المتعلقة بحقوق الإنسان (لا سيما النساء).

من جهة أخرى فستعتمد الدراسة -حيث تقتضي الضرورة- على الأدبيات السابقة ذات الصلة بمشكلة الدراسة، بالإضافة إلى خبرات الباحثات في مجال حقوق الإنسان، وقد اختبرت الباحثات الأداة من خلال تطبيقها على عينة من المبحوثين، ومن ثم عملن على تطويرها وإعادة صياغة أسئلتها، وقد أسهم تعدد الأساليب البحثية (تحليل مضمون النصوص القانونية، والمقابلات المعمقة) في اختبار صدق الأداة وتناسبها مع موضوع الدراسة، وقد اشتملت استمارة المقابلات على عدد من الأسئلة المفتوحة المتعلقة بموضوع الدراسة مع تمكين المبحوثين من الاستفاضة في الإجابات لتحقيق النتيجة المرجوة من هذا البحث النوعي.

عينة الدراسة:

اخترنا عينة الدراسة من مجتمع الدراسة الذي تكون من الناشطين في مجال حقوق الإنسان؛ فهذه الشريحة من المجتمع تعنى أكثر من غيرها باتفاقية سيداو؛ فمنهم البرلمانيون الذين يسعون إلى جعل التشريعات الوطنية غير متعارضة مع الاتفاقية للحيلولة دون مساءلة الدولة على الصعيد الدولي، ومنهم الأكاديميون الذين يحللون الاتفاقية ويعرضون ما جاءت به من حقوق، ومنهم القضاة والمحامون الذين يبحثون في مدى إمكانية الاستناد إليها في الدعاوى القضائية، ومنهم الحزبيون الذين يبحثون في مدى تواؤم الاتفاقية مع ما تنادي به أحزابهم، ومنهم العاملون في مراكز حقوق الإنسان الذين يرصدون مدى التزام الدولة الأردنية بالاتفاقية. من أجل ذلك فقد تكونت عينة الدراسة من عشرين ناشط وناشطة من مجتمع الدراسة.

عرض النتائج ومناقشتها

يتضح من تحليل البيانات التي أفضت إليها أداة الدراسة (المقابلات المعمقة) تباين إجابات عينة الدراسة، تلك الإجابات تمركزت حول أربعة محاور؛ المحور الأول مدى عالمية حقوق المرأة في ظل خصوصية المجتمعات، والمحور الثاني أهمية انضمام الأردن إلى اتفاقية سيداو، والمحور الثالث معيقات إعمال الاتفاقية، والمحور الرابع مدى ملاءمة التشريعات الوطنية للاتفاقية. فيما يأتي عرض نتائج الدراسة التي أفضت إليها الإجابات على النحو الذي يبرز معه ملامح الخطاب القانوني الاجتماعي حول اتفاقية سيداو.

المحور الأول: حقوق المرأة بين العالمية وخصوصية المجتمعات

يشير مصطلح عالمية حقوق الإنسان إلى وجوب تطبيقها على كل المجتمعات البشرية لارتباطها بالصفة الإنسانية المجردة من الصفات التمييزية، وقد أكدت ذلك المادة (5) من العهدالدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام 1966؛ فقد نصت على أنه: "ليس في هذا العهد أي حكم يمكن تأويله على نحو يفيد انطواءه على حق لأي دولة أو جماعة أو شخص بمباشرة أي نشاط أو القيام بأي عمل يهدف إلى إهدار أي

من الحقوق أو الحريات المعترف بها في هذا العهد أو إلى فرض قيود عليها أوسع من تلك المنصوص عليها فيه".

في المقابل فقد تباينت إجابات عينة الدراسة حول هذا المحور؛ فمن وجهة نظر بعضهم يجب على الدولة المحافظة على هويتها وسيادتها، أي أن لكل مجتمع خصوصية قد تجعل له حقوقًا غير موجودة لدى مجتمع آخر، ومن جهة أخرى فهناك من أفراد عينة الدراسة من يرى أن المحافظة على هوية الدولة وسيادتها يجب أن تتزامن مع إحداث تطوير في المجتمع على النحو الذي يسهم في رفع مستوى رفاه أفراده.

لكن هل ما زالت الدول قادرة على بناء المفاهيم الخاصة بها وبأفرادها (لا سيما النساء) بالاستناد إلى إرثها الحضاري والثقافي في ظل التطور العلمي والتقني المذهل الذي جعل العالم قرية تتصل فيما بينها بسهولة؟

يمكن الإجابة عن ذلك بالإيجاب، ولعل في حث منظمة الأمم المتحدة الدول على إصدار إعلانات إقليمية لحقوق الإنسان من أجل تقريب مبادئ حقوق الإنسان بين شعوب العالم ما يؤكد خصوصية المجتمعات، وقد أبرمت الدول الأوروبية الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان للحد من ذلك المبدأ، ثم تلتها بقية الاتفاقيات الإقليمية لتؤكد ضمنًا وجود مبدأ خصوصية المجتمعات.

إن الدولة -كأصل عام- تعدل تشريعاتها على النحو الذي يتواءم مع مصالحها، دون الاعتداد بالمصالح الدولية، ما لم تلتزم بمراعاة تلك المصالح الدولية (من خلال اتفاقية مثلًا)، فإن خالفت التزامها ترتبت عليها مسؤولية قد تصل حد التعويض أو ضمان تحقيق تلك المصالح (الرحامنه، 2018).

إن مسألة عالمية الحقوق وخصوصية المجتمعات دعت بعض الدراسات إلى المناداة بإيجاد توازن بين كل من الخصوصية الثقافية للمجتمعات التي تصب في صالح المرأة، والاتفاقيات الدولية التي تسعى نحو جعل حقوق المرأة ذات طابع عالمي بصفتها جزءًا من حقوق الإنسان (العويوي، 2013)، فلا يصح تبرير ختان الأنثى أو إحراق جسدها بعد وفاة زوجها بوجود خصوصية ثقافية للمجتمع، إلا أن ذلك لا يمنع من الأخذ بالتشريعات الوطنية وتقديمها على الاتفاقيات الدولية إذا كانت تكرس حقوق الإنسان (مثل مسألة إنفاق الزوج على زوجته بالرغم من وجود مصدر دخل لها بالاستناد إلى خصوصية المجتمع الثقافية المستمدة من الإسلام) (عزيز، 2011).

إن الهدف من هذا المحور معرفة مدى وجود تباين في حقوق المرأة لمجرد تغيير مجتمعها من وجهة نظر عينة الدراسة؛ يجيب أحدهم:

"كثير من النساء في حالة صراع بين الأجندة الدولية وواقعها، لذلك حدثت حالات طلاق كثيرة، يجب علينا أن نفهم سياق المنظومة الدولية في الإطار الذي نعيش فيه" (قاضي شرعي).

يتضح من وجهة النظر هذه أن أبرز أدوار المرأة دورها النمطي/ الإنجابي (العتوم، 2012)، بحيث تعنى المرأة بإعادة الإنتاج من خلال إنجاب الأطفال وتنشئتهم.

في المقابل تبرز وجهة نظر أخرى يعبر أصحابها عن مضمونها أن المجتمع يتناقض في مواقفه تجاه الاتفاقيات الدولية، ففي المجتمع الواحد توجد مجموعة تطالب بتحقيق الحرية والمساواة وتبني الاتفاقيات

الدولية، ومجموعة أخرى ترفض كل ما يخالف معتقداتها، أي أنه لا توجد هوية واضحة المعالم للدولة أو مجتمعها؛ تعبر عن ذلك إحدى المبحوثات بقولها:

" أنا بقبل لما تحكوا ما بدنا سيداو وهي مش مرجعيتنا، بس ما بيصير تقبلوا العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية وتحتجوا فيه أمام المحاكم عشان حقك بالمشاركة السياسية، وترفض سيداو وتحكي إنها بتشجع على المثلية والانحلال" (مستشارة قانونية/ اتحاد المرأة الأردنية) (في المعنى ذاته: الجوينات، 2015).

إن وجهة النظر هذه تفرض طرح السؤال التالي:

هل حقوق الأفراد (لا سيما النساء) تتعارض مع المجتمع أو تتنافى مع هويته؟

يشير أحد المبحوثين إلى أن الإجابة عن ذلك تستلزم الوعي بحدود الهوية، وتحديد ما إذا كان وجودها مرتبطًا بنص شرعي أو قانوني؟ وهل حقوق المرأة وهويتها مستقلة أم أن ملامحها مستمدة من المنظور الذكوري في المجتمع؟

إن وجهة النظر هذه قد تكون وقع صدىً لموقف الكاتبة فاطمة المرنيسي من حقوق الإنسان.

أكدت المرنيسي بادئ الأمر عدم وجود علاقة إيجابية بين الإسلام وحقوق الانسان (ما وراء الحجاب، 1975)، إلا أنها بعد ستة عشر عامًا ألفت كتابًا آخر (الحجاب ونخبة الرجال، 1991) سعت من خلاله نحو إيجاد مقاربة إصلاحية تجمع بين الإسلام وحقوق الإنسان (لا سيما النساء)، فأكدت ضرورة الاعتداد بالسياق الثقافي والديني عند تصويب أوضاع النساء.

يمكن إرجاع سبب هذا التحول في موقف المرنيسي إلى أن موقفها الأول المعبر عن مضمونه بضرورة إعادة بناء المجتمعات الإسلامية من منظور علماني واجه تحديًا تجسد في عدم الانسجام مع الواقع؛ أي أن خطابها الأول قد جاء منفصلًا عن واقع المرأة العربية، وغير قادر على تحفيزها، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى هجر خطابها لعدم فاعليته، مما حدا بها إلى أن تبني خطاب المقاربة الذي سعى نحو إيجاد صيغة توافقية بين الإسلام وحقوق الإنسان (العطيات، 2014).

المحور التالي يعنى ببحث أهمية انضمام الأردن إلى الاتفاقية من وجهة نظر عينة الدراسة.

المحور الثاني: أهمية انضمام الأردن إلى اتفاقية سيداو

يذهب بعض المبحوثين إلى القول إن صيرورة الاتفاقية من تشريعات الدولة يجعلها ملزمة لها، الأمر الذي يجعل البحث في مدى أهمية الانضمام أمرًا نظريًا لا أكثر.

يلاحظ أن الأردن قد وقع على هذه الاتفاقية في تاريخ 1980/12/3، وصادق عليها في تاريخ 1992/7/1، وقد نشرت في الجريدة الرسمية فأضحت جزءًا من التشريع الوطني في تاريخ 2007/8/1 (انظر عدد الجريدة الرسمية رقم 4839؛ تاريخ 2007/8/1).

إن التباعد الزمني بين الإجراءات القانونية إزاء الاتفاقية أثار عدة أسئلة لدى عينة الدراسة؛ لعل أهمها ما مدى دستورية تلك الإجراءات؟ وما مرتبة الاتفاقية في الهرم التشريعي في الدولة؟ وما مدى إمكانية

استمرار الدولة في أفعال تخالف الاتفاقية؟ وما مدى استثمار الدولة تلك الفترات في تقديم الاتفاقية إلى المجتمع المحلي؟

يتضح من هذه الأسئلة أنها تتمحور حول بعدين؛ الأول قانوني، والآخر اجتماعي.

البعد القانوني:

إن نسبة 30% من المبحوثين يرون عدم دستورية الاتفاقية؛ لعدم مرورها بالقنوات التشريعية الصحيحة، فهي لم تعرض على مجلس الأمة؛ وذلك يخالف المادة (33) من الدستور التي أوجبت الحصول على موافقة ذلك المجلس فيما يتعلق بالمعاهدات التي تمس حقوق الأردنيين أو تحمل خزينة الدولة نفقات إضافية.

من أجل تحديد مدى دستورية الاتفاقية ينبغي تحديد المعنى المقصود من المساس بالحقوق، يرى بعض المبحوثين أن المساس بالحقوق يعني الانتقاص منها (في المعنى ذاته: دروزة، 2011)، وبما أن الاتفاقية تقر حقوقًا للمرأة ولا تنتقص منها فإن الاتفاقية لا تحتاج إلى أن تعرض على مجلس الأمة.

هذا الرأي يتفق من حيث النتيجة مع ما جاء به الدكتور محمد الموسى في دراسته حول استخدام سيداو في النظام القانوني الأردني (2009)؛ حيث أكد عدم تطلب الدستور عرض الاتفاقية على مجلس الأمة لأنها لا تمس حقوق الأردنيين بالبعد السلبي، ومن ثم فإن مصادقة الجهة المعنية على الاتفاقية أدت إلى جعلها جزءًا من تشريعات الدولة.

من جهة أخرى فإن بعضًا من المبحوثين يرون أن المساس يعني التدخل ببعديه الإيجابي والسلبي (مشار إلى هذا الرأي لدى: دروزة، 2011)، وبما أن الاتفاقية تدخلت في المسائل الأسرية فإن نفاذها معلق على شرط موافقة مجلس الأمة عليها، الأمر الذي أدى -من وجهة نظرهم- إلى عدم دستورية الاتفاقية ومن ثم عدم جواز الاستناد إليها أمام سلطات الدولة؛ فعدم دستورية إجراءات الانضمام إلى الاتفاقية جعل الأردن دولة غير منضمة إلى الاتفاقية من الناحية القانونية، يعزز هذا الرأي موقفه بأن المادة (1) من الاتفاقية تعرِف مصطلح التمييز ضد المرأة، مما يبني أساسًا تتساوى فيه المرأة مع الرجل في مجال حقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين كافة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، ...)، وهذه الحقوق هي حقوق الأردنيين المنصوص عليها في الدستور، مما يعني أن الاتفاقية تلقي التزامًا على كل دولة طرف فيها بتعديل تشريعاتها لتتواءم معها، وبما أن تشريعات الدولة ملزمة لأفرادها فإن الاتفاقية تمس حقوق المواطنين.

من جهة أخرى تشير إحدى الدراسات (بيضون وآخرون، 2013) إلى مرتبة الاتفاقيات في التشريعات الأردنية، حيث يتضح أن القضاء الوطني يأخذ بمبدأ سمو الاتفاقية على القوانين والأنظمة والتعليمات، وأنها في الوقت ذاته أقل مرتبة من الدستور (انظر الحكم رقم 1986/29 الصادر عن محكمة التميز بصفتها الحقوقية؛ مشار إليه لدى: دروزة، 2011)، إلا أن ما يدعو للإرباك من وجهة نظر بعض المبحوثين عدم تبني

النظام القانوني الأردني مبدأ السوابق القضائية، الأمر الذي يؤثر في إمكان الاستناد إلى الاتفاقية والاحتجاج بها أمام القضاء الوطني على النحو الذي قد يحد من إعمالها.

يؤكد ذلك رفض القضاء الشرعي محاولة أحد المبحوثين (يعمل محاميًا لدى القضاء الشرعي) الاحتجاج بهذه الاتفاقية أمامه؛ استنادً إلى مبدأ سمو الدستور الذي نص في المادة (106) منه على أن: "تطبق المحاكم الشرعية في قضاياها أحكام الشرع الحنيف".

البعد الاجتماعي:

يلعب كل من العامل الاجتماعي والثقافي دورًا في المجتمع يتمثل في تحديد ما هو جيد ويتوافق مع المجتمع، وما هو غير ذلك فيستبعد.

إن الجدل الواسع الذي أثارته الاتفاقية كان نتيجة تأثير هذين العاملين، الأمر الذي يوجب البحث في مدى تعارض الاتفاقية مع ثقافة المجتمع على النحو الذي جعلها تقابل بالرفض من قبل شريحة كبيرة منه، واعتبارها هجمة ممنهجة ضد المرأة والأسرة (العربية والمسلمة) من وجهة نظر بعض المبحوثين على النحو الذي يرفضون معه الاتفاقية، ورفض الانصياع للإملاءات الخارجية التي تعد أحد أشكال الاستعمار أو الهيمنة، فهي استعمار ثقافي جديد يستهدف الأسر العربية والإسلامية بصفتها تجسيدًا لنظرية المؤامرة، ويدللون على ذلك بالتشكيك في أن هدف الأمم المتحدة والدول الأجنبية/ الغربية النهوض بالمرأة ورفع الظلم عنها؛ فمبادرة "ميثاق الأسرة في الإسلام" التي قدمتها مجموعة من الخبراء الاجتماعيين وعلماء الدين من العالم الإسلامي بصفتها بديلًا عن اتفاقية سيداو انبثقت عن واقع المجتمعات العربية والإسلامية، ومن ثم ستراعي بالضرورة احتياجاتها وخصوصيتها الثقافية والاجتماعية حسب بعض المبحوثين، ويكتفون بالإشارة إلى ترجيحهم عدم اعتبار لجنة المرأة في الأمم المتحدة هذا الميثاق أحد مدخلاتها، ولن ترتضي أن يكون بديلًا عن اتفاقية سيداو.

إن رفض المجتمع الاتفاقية والبحث عن بدائل لها يشير إلى فشل جهود الدولة في تقديم اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة إلى المجتمع الأردني أو عدم كفاية تلك الجهود، كما لم تنجح منظمات المجتمع المدني المؤيدة للاتفاقية في إيصال رسالتها إلى المجتمع، كما تشير وجهة النظر هذه إلى عدم دراسة الاتفاقية من قبل صناع القرار في الدولة عند توقيعها أو المصادقة عليها، بل إن إحدى المبحوثات تشير إلى أن الاتفاقية لم تدرس جيدًا، وإنما ظلت حبيسة الأدراج؛ سواءً أكان ذلك عن قصد أو بمحض النسيان، يؤكد ذلك تحفظ الأردن على بعض المواد دون بعضها الآخر بالرغم من الترابط فيما بينها (مثل المادة 29 من الاتفاقية التي لم تتحفظ عليها الدولة، وتحفظها على بعض بنود المادة 16)، ويفهم من ذلك أن انضمام الأردن إلى الاتفاقية ومن ثم سحب بعض تحفظاته عليها (المادة 15) قد يكون من أجل تحسين صورته دوليًا لا أكثر.

من جهة أخرى فإن جانبًا من عينة الدراسة يعد هذه الاتفاقية بمثابة إعلان عالمي لحقوق المرأة يقرأ إلى جانب الاتفاقيات والمواثيق الدولية الأخرى (انظر في الرأي ذاته: البوريني، 2010)، فعلى سبيل المثال فإن

الاتفاقية لم تعرف العنف صراحةً، بالرغم من أنه يشكل أبرز معيق يحول دون ممارسة المرأة حقوقها، أي أن هذه الاتفاقية تكمل اتفاقيات حقوق الإنسان الأخرى ولا تغني عنها.

وبين هذا وذاك يرى جانب آخر من عينة الدراسة أنه لا يمكن إنكار أهمية الاتفاقية ووجوب إعمالها على النحو الذي يتواءم مع ثقافة المجتمع (بما في ذلك العادات، والتقاليد، والقيم)؛ وأن مرد ذلك اختلاف منطلقات الأمم المتحدة عن منطلقات المجتمعات العربية والإسلامية، فهي تغالي في طرح قضية المرأة، وتحاول صهر الثقافات كلها في بوتقة ثقافة المجتمع الأقوى (البوريني، 2010)، كما أوضح هذا الجانب أبرز المسائل محل الخلاف في الاتفاقية، على النحو التالي:

1- تدعو الاتفاقية إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة.

2- تنظر الاتفاقية إلى المرأة بصفتها فردًا منفصلًا وليست جزءًا من المجتمع (في المعنى ذاته: طلافحة، 2013).

3- تؤكد الاتفاقية العلاقة الصراعية بين الرجل والمرأة، ولا تعزز العلاقة التكاملية بينهما (في المعنى ذاته: طلافحة، 2013).

4- تركز الاتفاقية على حقوق المرأة دون تحديد واجباتها (في المعنى ذاته: طلافحة، 2013).

5- تخالف الاتفاقية قيم المجتمع وعاداته وتقاليده.

أكدت هذا الرأي إحدى الدراسات (قاطرجي، 2008)؛ حيث عدت هذه الاتفاقية جزءًا من عملية تغريب المرأة، والانسياق إلى نظام العولمة الجديد، وفرض نماذج غربية بصفتها بديلًا عن النظام الإسلامي الذي يعنى بالمرأة والأسرة، بل أكدت هذه الدراسة أن محاولة ربط الاختلافات بين الرجل والمرأة بالأساس الاجتماعي أو الثقافي ما هو إلا تمهيد لتغيير شكل الأسرة الطبيعي، مما يؤدي إلى تقبل فكرة الأسرة ذات الجنس الواحد (المكونة من رجلين أو امرأتين)، وهذا ما أشار إليه أيضًا المفكر عبد الوهاب المسيري في كتابه " قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى"؛ فهو يرى أن أساس حركة التمركزحول الأنثى هو المفهوم الصراعي بين شقي الجنس البشري؛ فيتمركز الذكر على ذاته وتتمركز الأنثى على ذاتها، فإذا احتدم الصراع بينهما ستقررالأنثى أن تدير وجهها عن الذكر معلنة الاستقلال الكامل عنه، متوجهة إلى أنثى أخرى ومكتفية بها (المسيري، 2010).

تجدر الإشارة إلى أن مجموعة من النسويات الراديكاليات قد تبنت هذا الطرح؛ حيث نادت بالاستغناء عن الرجال بصفتهم سبب اضطهاد النساء (نخلة، 2017). إن هذا الموقف وما شابهه قد يكون السبب في رفض بعض المبحوثين الاتفاقية وربطها بالمثلية الجنسية.

إن الاختلاف في وجهات النظر إزاء الاتفاقية قد يكون مرده الاختلاف في نظرة الفرد إلى وجهات النظر الغربية والشرقية؛ ففي كتابه "الصدام داخل الحضارات– التفاهم داخل الصراعات الثقافية" يشير المؤلف سنغاس إلى أوجه الاختلاف، حيث يرى أن الغرب قائم على فكرة المركزية الذاتية أو التملك الفردي، بينما

يعد الفرد في الدول الآسيوية على سبيل المثال داخل الأسرة أو فريق العمل جزءًا من مجموع؛ فكرامة الفرد تتبلور من علاقات التكامل والتعاضد مع الكيانات الجمعية الحاضنة (سنغاس، 2008).

إن هذه الآراء تنسجم إلى حد بعيد مع نتائج دراسة (الحسبان والشلبي، 2006)؛ حيث بينت أن اختلاف الآراء حول حقوق المرأة يعد محصلة صدام بين تيارين؛ تيار يحمل الأفكار الكونية ويؤمن بعالمية قضية المرأة ويتبنى الاتفاقيات والمواثيق الدولية؛ وتيار آخر يؤمن بالخصوصية ويرى أن حقوق المرأة تخضع لخصوصية الزمان والمكان والثقافة (في المعنى ذاته: الجوينات، 2015)، وقد اتضح أنه يوجد رأي/ تيار ثالث ينادي بالمواءمة بين العالمية والمحلية على النحو الذي يحقق مصلحة المرأة.

المحور التالي يعنى ببيان معيقات إعمال الاتفاقية من وجهة نظر عينة الدراسة.

المحور الثالث: معيقات إعمال الاتفاقية

بالرغم من مرور وقت طويل على التوقيع ثم التصديق على اتفاقية سيداو ونشرها إلا أن شريحة الناشطين في مجال حقوق الإنسان ما تزال تطالب بالإعمال الكامل لها.

تعددت آراء المبحوثين حول أبرز ما يقف في طريق تعديل التشريعات على النحو الذي يجعلها متوائمة مع اتفاقية سيداو ومن ثم الإسهام في إعمال الاتفاقية، فمنهم من يرى في العامل السياسي مانعًا من ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الاتفاقية (في المعنى ذاته: دروزة، 2011)، ولعل أبرز هذه الحقوق الحق في المساواة أمام القانون فيما يتعلق بالجنسية، ومنهم من يرى في العامل الاجتماعي مانعًا من ممارسة تلك الحقوق (في المعنى ذاته: اليافعي، 2014)؛ أي أن الدولة تتجنب الاصطدام مع شرائح المجتمع المعارضة للاتفاقية، ومن ثم لا تطبق الاتفاقية بشكل كامل؛ فدعاة التيار الإسلامي يقدمون قراءة يعزونها إلى أحكام الدين الإسلامي تعكس مفاهيم المجتمع الأبوي (في المعنى ذاته: اليافعي، 2014)، وهذا يتناغم مع دعاة الحفاظ على الموروث الثقافي ذي الطابع العشائري على النحو الذي تتبنى العشائر الموقف ذاته إزاء الاتفاقية.

من جانب آخر يؤكد بعض المبحوثين أن المعيق الأبرز أمام إعمال الاتفاقية الدور الذي تلعبه القوى البيروقراطية المحافظة في المجتمع، فهي لا تعير اهتمامًا لوضع المرأة؛ فحالت تلك القوى دون إجراء تعديل على المادة (6) من الدستور يفصح عن مساواة كل من المرأة والرجل أمام القانون.

يؤكد وجهة النظر هذه أن صناع القرار في الأردن ينتمون إلى تلك التيارات والقوى (على مستوى الحكومات والبرلمانات)؛ فيحملون الأفكار ذاتها حول المرأة في أن دورها الأساسي داخل المنزل لا خارجه (الجوينات، 2015)، أي في الفضاء الخاص دون الفضاء العام، بل إن دورها في الفضاء العام يعد استثناء عن الأصل فيظل دورًا هامشيًا يخدم دورها في الفضاء الخاص، وهذا ما أكدته إحدى الدراسات (الرحامنه، والدبابنة، والبحري، 2018)؛ حيث أوضحت الدراسة أن سماح القانون للمرأة العاملة دون الرجل العامل باصطحاب طفلها معها إلى العمل وتهيئة مكان مناسب في بيئة العمل لرعايته يؤكد دورها النمطي المتمثل بالإنجاب ورعاية النشء.

لكن، ألا يمكن أن تكون المرأة سببًا في عدم إعمال هذه الاتفاقية التي تنظم حقوقها؟ يرى بعض المبحوثين أن عدم معرفة المرأة بحقوقها ومن ثم عدم المطالبة بممارستها يعد سببًا في عدم إعمال الاتفاقية (في المعنى ذاته: اليافعي، 2014)، بل إن عدم معرفة المرأة بتلك الحقوق أوجد من يستند إلى النصوص الدينية لتبرير عدم منح المرأة حقوقها على اختلافها، فإذا وجدوا نصوصًا دينية صريحة تمكن المرأة من ممارسة بعض الحقوق (مثل الحق المالي المتمثل في الحصول على الميراث) طرحوا تلك النصوص أرضًا ومنعوا المرأة من ممارستها بدعوى مخالفة تلك الحقوق قيم المجتمع وعاداته (العتوم، 2012).

إلا أن وجهة النظر التي تلفت الانتباه تلك التي عبر عنها بعض المبحوثين في أن سبب عدم إعمال الاتفاقية التكلفة المالية لتمكين المرأة من ممارسة حقوقها؛ فالاتفاقية على سبيل المثال توجب تمكين المرأة أن تمنح جنسيتها لأبنائها، إلا أن ذلك يصطدم مع الكلفة المالية المرتفعة لمنح أبناء المواطنات الأردنيات الجنسية الأردنية، من أجل ذلك لم تعمل الدولة الاتفاقية بشكل كامل، وتحفظت على بعض موادها.

إن وجهة النظر هذه تصطدم مع المساواة أمام القانون من جهة، وتتعارض مع وظيفة الدولة المتدخلة من جهة أخرى، فدستور الدولة مكن الأردنيين جميعًا من ممارسة حقوقهم (الفصل الثاني من الدستور)، والدولة ملزمة بتلبية احتياجات مواطنيها دون تمييز بينهم، علاوة على أن المرأة بصفتها إنسانًا ينبغي أن تتمتع بالحقوق المقررة للرجل في تشريعات الدولة (الجوينات، 2015).

إن وجهات النظر المختلفة لأفراد عينة الدراسة تشير إلى وجود مفاهيم يعكسها الخطاب المحلي حول المرأة ومفاهيم أخرى يعكسها الخطاب الدولي؛ أما الخطاب المحلي فإما أن يكون ذا طابع ديني يتقارب معه الطابع العشائري على النحو الذي يعليان فيه من قيمة الأسرة بقيادة الرجل، ولو كان ذلك على حساب المرأة، وعليه، فإن الإنجاب وما يتبعه من رعاية وإعداد النشء يعد الدور الأبرز للمرأة، في المقابل فإن الخطاب الدولي قد يرتكز على حقوق الإنسان من أجل تمكين أفراد المجتمع على اختلافهم من ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم المحددة في الدستور، وتدعم هذا الخطاب منظمات المجتمع المدني، والمراكز الحقوقية، والمنظمات الدولية العاملة في الدولة وغيرها من المنظمات ذات التمويل الدولي من الجهات المؤيدة للاتفاقية.

إن الخطاب الدولي (الذي يؤيده الخطاب المحلي المرتكز على حقوق الإنسان) يتعارض مع الخطاب المحلي ذي الطابع الديني، فهو غير معني بتحديد حاجات المرأة والمجتمع المحلي، ولم يحلل الأدوار التي تلعبها المرأة في المجتمع، أي أن الدول المانحة -حسب بعض المبحوثين- تحاول تمرير خطابها التحرري أو قل أجندتها الخاصة من خلال تقديم المساعدات، دون تقديم مقاربة فعلية بين حقوق الأفراد والمفاهيم الناظمة لمجتمعاتهم (مثل المفاهيم الدينية، والثقافية).

يرى بعض المبحوثين وجود خلل في كلا الخطابين (الدولي والمحلي)، فالمقاربة من وجهة نظر دينية إنما هي قراءة تاريخية لا تعكس الواقع ولا تلامس احتياجات المرأة، والأمر ذاته يقال في حق المقاربة باتجاه الإطار العالمي، تدلل على ذلك إحدى المبحوثات بأن الخطاب النسوي الإسلامي في المغرب العربي حاول أن يقارب

بين النصوص الشرعية والنصوص الدولية لحقوق الإنسان، لكن منطلق قراءته للنصوص الدينية كان من المنظور الدولي أي من خارج النص الديني ذاته، الأمر الذي يستلزم المزيد من الحوار العلمي المنطقي لإيجاد نقطة تقارب بين الخطابين؛ المحلي والدولي.

من خلال ما تقدم يتضح تفاوت أهمية الأسباب التي تعيق إعمال الاتفاقية، فيما يأتي أبرز معيقات إعمال تلك الاتفاقية من وجهة نظر عينة الدراسة مرتبة حسب أهميتها:

1- سياسية تتعلق بقانون الجنسية.
2- اجتماعية تصطدم مع الدين والعادات والتقاليد.
3- فكرية تتنازع مع الفكر الذكوري في المجتمع.
4- عقائدية تتمثل في الفهم الخاطئ للدين.
5- إجرائية تتمثل في عدم وجود إرادة حقيقية لدى صناع القرار في تمكين المرأة.
6- تشريعية تتمثل في عدم دعم الدستور للمرأة.

المحور التالي يبحث في مدى مواءمة التشريعات الوطنية لاتفاقية سيداو.

المحور الرابع مدى مواءمة التشريعات الأردنية لاتفاقية سيداو

أجمع معظم المبحوثين على أن الدولة الأردنية تسعى نحو تعديل تشريعاتها على النحو الذي يتواءم مع الحاجة إلى تمكين المرأة من ممارسة حقوقها بعد الاعتراف بتلك الحقوق وتنظيمها ابتداءً، على النحو الذي يعبر عن تنفيذ التزاماتها الدولية، مع الاختلاف فيما بينهم حول سبب التعديل والحاجة إليه.

يلاحظ أن معظم المبحوثين يؤيدون وجوب أن تلبي التعديلات حاجة المرأة بصرف النظر عن مدى مواءمتها مع اتفاقية سيداو، الأمر الذي يشير ضمنًا إلى التخوف من هذه الاتفاقية، حتى من أولئك الذين يتبنون الاتفاقية، فالهدف من التعديلات ينبغي أن يكون تصويب الوضع القانوني للمرأة، سواءً أكانت الاتفاقية هي الوسيلة أم غيرها، مع ملاحظة انسجامها مع مطالب منظمات المجتمع المدني (مساواة كل من الرجال والنساء أمام القانون).

أخيرًا فإنه على النقيض من ذلك يرى أحد المبحوثين وجوب تحديد سبب تعديل التشريعات، وتحديد الهدف منه (استجابة لضغوط دولية أو محلية مثل مطالب منظمات المجتمع المدني، أو استجابة لضرورة مجتمعية).

خاتمة/ النتائج والتوصيات:

النتائج:

- عدم صحة فرضية الدراسة المعبر عن مضمونها بأن الدولة الأردنية قدمت اتفاقية سيداو للمجتمع الأردني على نحو جعله يتقبل مضمونها، وأدى إلى تمكن الدولة من الالتزام بالاتفاقية وتطبيق ما جاء فيها.
- إن اتفاقية سيداو تسعى نحو جعل حقوق المرأة ذات طابع عالمي.

- إن معظم التشريعات الأردنية -من وجهة نظر المبحوثين- لا تعد تمييزية، ومكنت المرأة من ممارسة حقوقها في شتى المجالات، مع ضرورة تعديل بعضها.
- يمكن تصنيف أنماط الخطاب في مجتمع الدراسة إلى ثلاثة أنماط رئيسة تبعًا لاختلاف الرؤى ووجهات النظر حول اتفاقية سيداو:

1. خطاب ينتمي إلى أفكار أخلاقية أو دينية؛ حيث تكون المرجعية لها واحدة وهي الشريعة الإسلامية، يؤمن أصحاب هذا الخطاب بخصوصية قضية المرأة وبتقدم الشريعة الإسلامية على اتفاقية سيداو فيما تعطيه للمرأة من حقوق.
2. خطاب يستمد فكره من الدول الأجنبية/ الغربية، ومرجعيته المواثيق الدولية، فينظر أصحاب هذا الخطاب/ التيار إلى اتفاقية سيداو بصفتها أهم وثيقة تحوي حقوق المرأة، ومن ثم ينادي بإعمال الاتفاقية.
3. خطاب يمزج بين الخطاب الديني بكل معانيه ورموزه وبين الخطاب المتبني المواثيق الدولية بهدف الوصول إلى خطاب يتبنى الحقوق المنصوص عليها في المواثيق الدولية مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمع.

- أجمع معظم المبحوثين على أن الأردن يسعى إلى تعديل تشريعاته بما يتواءم مع الحاجة لتطوير حقوق المرأة متماشيًا في الوقت ذاته مع التزاماته الدولية، وإن اختلفوا في سبب التعديل والحاجة إليه.

التوصيات:

- عقد حوارات بين صناع القرار وشرائح المجتمع التي تمسها الاتفاقية (لا سيما شريحة الناشطين في مجال حقوق الإنسان)؛ لمناقشة أسباب رفضهم الاتفاقية.
- ضرورة إدخال مقررات دراسية عن الثقافة القانونية وفلسفة الحقوق والواجبات في مراحل التعليم المختلفة.
- العمل على تطوير التشريعات التي تحد من ممارسة المرأة حقوقها، وتسبب تمييزاً اجتماعياً ضدها، وتوعية المرأة بها وبفلسفتها ومشاركة المرأة في مناقشة تلك التشريعات ومشروعات إعدادها.
- إجراء دراسات مسحية للعاملين في القطاعات المختلفة من أجل ما يأتي:

1- تحديد مدى معرفتهم باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو).
2- تحديد كيفية بناء الآراء ووجهات النظر حول القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان مثل اتفاقية سيداو.

المراجع:

- البوريني، آلاء (2010) **اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو): دراسة تحليلية نقدية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد.
- بيضون، ميساء، و العدوان، ممدوح، حسن مانع، والعكور، عمر صالح علي (2013) مرتبة المعاهدة الدولية في التشريعات الوطنية والدستورالاردني، **دراسات- علوم الشريعة والقانون/ الأردن**، مج 40، ع(1)، 76-88.

- الجوينات، مرسيل (2015) **التغطية الصحفية لاتفاقية سيداو في الصحافة الأردنية 2012-2014: دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد.
- الحسبان، عبد الحكيم، والشبلي، جمال (2006) الحقوق المدنية والسياسية للمرأة الأردنية: حق الخلع ما بين خطاب الكونية وخطاب المحلية، **أبحاث اليرموك- سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية/ الأردن**، مج 22، ع(4)، 853- 889.
- دروزة، لما (2011) **تحفظات المملكة الأردنية الهاشمية على معاهدة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) ومدى مواءمة الاتفاقية للتشريع الوطني**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت: المفرق.
- الرحامنه، محمد (2018) دور مجلس الأمة الأردني في المعاهدات في ظل دستور عام 1952، **دراسات- علوم الشريعة والقانون/ الأردن**، مج 45، ع(3)، 148- 163.
- الرحامنه، محمد، والدبابنة، عبير، والبحري، قانتة (2018/مقبول للنشر) مدى إسهام المشرع الأردني في ترسيخ الدور النمطي للمرأة: دراسة قانونية اجتماعية لمجالي العمل والمعاملة العقابية، **دراسات- العلوم الإنسانية والاجتماعية/ الأردن**.
- سنغاس، دييتر(2008)، **الصدام داخل الحضارات "التفاهم بشأن الصراعات الثقافية"**، ط1، ترجمة: شوقي جلال، القاهرة : دار العين للنشر .
- طلافحة، محمد (2013) قراءة في اتفاقية سيداو- مفهوم الصحة الإنجابية وعلاقتها بتنظيم الأسرة أنموذجًا: دراسة نقدية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية/ الأردن**، مج 9، ع(4)، 231- 246.
- العتوم، ميسون (2012) **حفريات في ذاكرة النساء: دراسة في سوسيولوجيا المرأة الأردنية**، ط1، (د.ن): الأردن.
- عزيز، ناديه (2011) دور قانون الأحوال الشخصية في رعاية صحة المرأة النفسية والبدنية، **مجلة الرافدين للحقوق- جامعة الموصل/ العراق**، ع(49)، 1- 77.
- العطيات، وفاء (2014)، **دراسة نقدية في كتابات فاطمة المرنيسي: نحو خطاب نسوي إسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأاردنية، عمان، الأردن.
- نخلة، بيان (2017) **المساواة الجندرية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية والمدنية المحدثة للمرحلة الأساسية في الأردن في ضوء اتفاقية سيداو**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: عمان.
- اليافعي، فاطمة (2014) **الأبعاد التربوية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) وأثرها في وعي المرأة العمانية حقوقها الإنسانية: دراسة ميدانية بمحافظة ظفار**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس يوسف: بيروت.

▪ قاطرجي، نهى (2008) قراءة إسلامية في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، **مؤتمر أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات والإعلانات الدولية**، جامعة طنطا: مصر.

▪ المسيري، عبد الوهاب (2010)، **قضية المرأة: بين التحرير والتمركز حول الأنثى**، ط2، دار نهضة مصر: مصر.

▪ الموسى، محمد (2009) **استخدام سيداو في النظام القانوني الأردني**، كتيب إرشادي للعاملين في مجال القانون، عمان، الاتحاد الإيطالي للتضامن وميزان.

▪ Ewaiwi . L (2013) " **A Cultural and Legal Study of Jordan's Reservations to The Convention on The Elimination of All Forms of Discrimination Against Women" University of Jordan.**

الدهاقين ومكانتهم الاقتصادية في الادارة العربية الاسلامية

د. محمد حسن سهيل الدليمي
قسم التاريخ
الجامعة المستنصرية، العراق

الملخص:
الدهاقين وهم طبقة متخصصة بالإدارة المالية في الدولة الساسانية مهمتها جمع الضرائب كونهم يتمتعون بصلاحيات رسمية كزعماء للقرى ولديهم سجلات بأسماء واعداد دافعي الضرائب من الفلاحين، وبعد تحرير العراق وفتوحات المشرق في عهد الخلافة الراشدة (13-40هـ/634-660م)، ادركت الحكومة الاسلامية اهمية هذه الطبقة فأبقتها في اعمال الجباية واصبحوا المسؤولين امام الادارة المالية الاسلامية عن دفع الاموال المتفق عليها في المعاهدات وعهود الصلح، تمتعت هذه الطبقة باحترام وعناية الادارة العربية الاسلامية ووفرت لها امتيازات مهمة لا سيما بعد دخولهم الاسلام بإعفائهم من دفع الجزية (ضريبة الراس) وابقت الاراضي الزراعية تحت تصرفهم بعد دفع ضريبة الخراج وتخصيص رواتب لهم وهي امتيازات اقرها الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم.
الكلمات المفتاحية: الدهاقين- الجباية- الدولة الساسانية

Abstract:
Al –Dahakeen are a class of financial management in the Sasanian state. Since they are a specialized layer of financial management in the Sasanian state whose task is to collect taxes because they have official powers as village leaders and have records of names and numbers of taxpayers from the farmers . After the liberation of Iraq and the conquests of the Orient in the era of the Al -Rasheda Caliphate (13 – 40AH) where the Islamic government realized the importance of this class in the collection and became the public officials of Islamic finance management and payment of funds agreed in treaties and promises of reconciliation. This class received the patronage and respect of the Arab Islamic administration ، where it provided them with important privileges ، especially after they entered Islam ، exemption from the payment of the jizya (the head tax) and kept the agricultural lands at their disposal after paying the (Al karaj) tax They supported by the two caliphs Omar Bin Khattab and Ali Bin Abi Taleb.

الدهاقين من الطبقات الاقتصادية المهمة التي استعان بها العرب المسلمون في الادارة المالية بعد عمليات تحرير العراق وفتوحات المشرق والواقع ان السياسة المالية الاسلامية القائمة على الاستعانة بالدهاقين

اتسمت بالواقعية طبقا لمفهوم ان الامة الاسلامية امة مجاهدة فتركت شؤون جمع الضرائب الى اهل الاختصاص العارفين بأحوال القرى والفلاحين وهم الدهاقين.

تتطرق البحث الى اهمية هذه الطبقة في الادارة المالية للدولة العربية الاسلامية وكيف ان العرب المسلمون عرفوا مكانة هؤلاء الاقتصادية فكان لزاما استخدامهم وابقائهم في مناصبهم، ان الاسلام كان عادلا مع الدهاقين في حالة اسلامهم واعطاهم حقوقا وامتيازات ناقشها البحث بالتفصيل.

اشكالية البحث تدور حول المكانة الحقيقية التي حظي بها الدهاقين في ظل الاسلام وماهي الظروف التي ساهمت في ذلك؟ فالإسلام احترمهم ونظم عملهم بما يتوافق والنظام الاقتصادي الاسلامي القائم على العدالة والتسامح فضلا عن احترامه ظاهرة التخصص في العمل فأبقى الدهاقين لأجل ذلك.

قسم البحث الى محاور متعددة :

-تعريف الدهقان لغة واصطلاحا في المصادر اللغوية.

- تاريخ الدهاقنة.

-اعمال الدهاقين في الدولة الساسانية والدولة العربية الاسلامية .

-موقف الدين الاسلامي من الدهاقين.

الدهقان لغة واصطلاحا:

دُهْقَان، دِهْقَان، زَعِيم، رَئِيس leader، chief، boss

الدَّهْقَان بكسر أوله وبعد الهاء قاف وآخره نون وهو يدهقن[(1)] والدِّهْقَانُ التاجر فَارسي معرب وتعني زَعِيمُ فَلأَّحِي العَجَمِ او رَئِيسُ الإِقْلِيمِ وقالَ ابنُ السّمعانيُّ هُوَ مقدَّمُ قَرْيةٍ أَو صاحِبُها بخراسان والعِرَاقِ [(2)]والدهقان كلمة فارسية مكونه من "ده" و"قان" تعني رئيس القبيلة في الفارسية القديمة[(3)] او رئيس القرية[(4)] او التاجر

[(1)] الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي(ت370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-2001م، ج6، ص265؛ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 170هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج4، ص110؛ ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، غريب الحديث، تحقق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن - 1964 م ، ج3، ص266؛ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت - 2000 م ، ج4، ص457.

[(2)] مرتضى الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،(ت 1205هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية ، ج35، ص48؛ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت 458هـ) ، المخصص، تحقق خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- 1996م ، ج1، ص416.

[(3)]السيد ادي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت-1908م، ص 68.

[(4)]م .ن ، ص 68؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1995 م ، ج60، ص30؛ آبادي الهندي، محمد حميد الله الحيدر (ت 1424هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، بيروت– 1407هـ، ص: 602.

صاحب الضياع[1] وتطلق على كثير المال[2] والدهقان هو العارف بأمور القرية ومنافعها و مضارها[3] العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر يلجأ إليه في معرفة ذلك[4].

و"دهقان" من الألفاظ التي عرفها عرب العراق وكان الساسانيون قد نصبوهم على قرى غالب أهلها من العرب فكانوا يخاطبونهم باسم منصبهم دهقان[5] وقد استعمل عرب العراق الألفاظ الفارسية المستعملة في الادارة الساسانية[6] والصحابة استعاروا لفظ " دهقان " وقد أقر هذا المصطلح عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم[7] .

تاريخ الدهاقنة:

يعود تاريخ هذا المنصب الى الدولة الساسانية وتحديدا في عهد الملك منوشهر[8] الذي وصف بالعدل والإحسان وهو أوّل من وضع الدّهقنه فجعل لكل قرية دهقانا وجعل اهلها عبيدا وخولا وألبسهم لباس المذلّة وأمرهم بطاعته[9] وامر الناس بحراثة الأَرْض وعمارتها[10].

اعمال الدهاقين في العهد الساساني:

كانت خراسان في عهد الدولة الساسانية اربعة ارباع ويتولى ادارة الربع المرزبان وهو مسؤول عن حفظ الامن والنظام[11] يساعده في ذلك الشهرج وهو رئيس الكورة الذي يساعد المرزاب في ادارة الربع[1] والدهقان هو

---

[1] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-1995 م ، ج2، ص492.

[2] ابن زكَرِيّا، أبي الحسين أحمد بن فارِس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون اتحاد الكتاب العرب، 2002م، ج4، ص136.

[3] ابن ابي الركب، مصعب بن محمد بن مسعود الأندلسي(ت 604هـ) ، الإملاء المختصر في شرح غريب السير، استخرجه وصححه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص 352.

[4] م ، ن، ص69.

[5] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي-2001م ، ج4، ص290.

[6] م ، ن، ج9، ص289.

[7] قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- 1988 م، ص30

[8] منوشهر بن إيرج بن أفريدون ملك مائة وعشرين سنة والفرس تعظم أمره وترفع من شأنه لأمور ذكروها ومعجزات وصفوها، وبينه وبين أفريذون ثلاثة عشر أبا وكان له سبعة أولاد إليهم ترجع أكثر شعوب فارس في أنسابها وسائر طبقات ملوكها، (ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992م ، ج1، ص326؛ المسعودي، على بن الحسين بن على (ت 346هـ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة، ص78.

[9] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك،ط2، دار التراث، بيروت- 1387 هـ ، ج1، ص379 ؛ مسكويه ، أبو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط2، سروش، طهران- 2000، ج1، ص60.

[10] ابن الجوزي، المنتظم ج 1، ص 326 ؛ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري(ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – 1997م ، ج1، ص147.

[11] بابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف (ت نحو 280هـ)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت- 1889 م، ص18 ،البيروني ،ابي الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت 400 هـ) ، الاثار الباقية عن القرون الخالية ،مطبعة ليبزك -1923م ، ص100؛ ماسبيرو ، تاريخ المشرق ، ترجمة احمد زكي بك ،مصر. 1897م، ص211 .

رئيس القرية[2]وكان الساسانيون يتخذون الدهاقين لجمع الضرائب وكان هؤلاء يحتفظون بسجلات الضرائب [3]وقد تمتع هؤلاء الدهاقنة بنفوذ كبير في خراسان واصبحت موارد الاقليم بأيديهم فعينوا رؤساء للأقاليم والمدن الكبيرة[4] وكان الملك يجالس الدهاقنة والمزارعين ويقول " انا اليوم كواحد منكم وانا اخوكم لان قوام الدنيا بالعمارة التي تجري على ايديكم وقوام العمارة بالملك ولا استغناء بأحدهما عن الاخر"[5] ويجبى الخراج في الدولة الساسانية بنظام المقاسمة وقد عمل به حتى شطراً من حكم كسرى انو شروان سنة (531 / 579 م) [6]وهو نظام يقوم على مقاسمة الفلاحين محاصيلهم، وقد ذكر الدينوري[7] ان هذه الضريبة توزعت بين النصف والثلث والربع والخمس الى العشر فيما ذكر الجهشياري[8]ان اكثر ما يأخذونه الثلث واقله السدس .

وفي عهد الملك قباذ بن فيروز (488/ 531 م) حدث تغيراً في نظام الجباية حيث استند في طريقة جباية الخراج على الاراضي المزروعة فعلاً وليس على أساس الإنتاج فامر الملك قباذ " بمساحة الأرض وعدد النخل والشجر واحصاء الجماجم وعزم على وضع وضائع الخراج فهلك قبل تمام ذلك"[9]ولما تولى كسرى انو شروان الحكم اتم العملية فمسحت الارض سهلها وجبلها[10] فوضع الخراج على جريان ما مسح من الارض واختار لذلك رجلاً من الكتاب يدعى بلبك بن البيروان[11]، فلما اتم المساحة امر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع[12] فوضعوا على كل جريب من ارض الحنطة والشغير درهماً وعلى كل جريب من الاعناب ثمانية دراهم وعلى جريب الرطاب سبعة دراهم وعلى كل اربع نخلات فارسية درهماً وعلى كل ست نخلات

---

(1) كرستنسن ، ارثر ، ايران في عهد الساسانية ، ترجمة علي الخشاب وعبد الوهاب عزام ،القاهرة 1957م، ص129

(2)الصابي، ابي الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ) ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ،دار احياء الكتب العربية- 1958م)، ص452 ؛ كرستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص99 .

(3) البلاذري ،أحمد بن يحيى بن جابر(ت 279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت- 1988 م ، ص421؛ اربي . ا . ج ، تراث فارس، ترجمة محمد كناني واخرون مراجعة يحيى الخشاب، دار احياء الكتاب العربي- 1959م، ص93 .

(4) الريس، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط3 ، مصر. 1969م، ص69؛فان ، فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، محمد زكي ابراهيم ،القاهرة . 1965م، ص36 . 45 ؛ كريستنسن ، ايران في العهد الساساني ، ص99 .

(5)يذكر البيروني انه في شهر دي ماه الفارسي في اليوم الاول منه ينزل الملك عن سرير الملك ويلبس الثياب البيض ويترك هيبة الملك ويتفرغ للنظر في مصالح الناس ومن احتاج ان يكلمه في شء دنا منه رفيعاً كان ام وضيعاً غير ممنوع .(الاثار الباقية ، ص225 ؛ القزويني، زكريا بن محمد(ت682 هـ)،عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ،المنصورة . 2006م، ص71 .

(6) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص71 ؛الريس، الخراج والنظم المالية ، ص80؛الخشاب، يحيى، التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية-1969م، ص60؛خماش، الادارة في العصر الاموي ، ص165.

(7) الاخبار الطوال، ص71 .

(8) محمد بن عبدوس (ت331 هـ)، الوزراء والكتاب ، حققه مصطفى السقا واخرون، القاهرة - 1938م، ص4 .

(9) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص71 ؛الجهشياري، الوزراء والكتاب ،ص4؛الريس، الخراج والنظم المالية، ص80 ؛يحيى الخشاب ، التقاء الحضارتين ، ص60.

(10) مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص130؛ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص135 .

(11) مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص130؛ابن الجوزي ، المنتظم ،ج 2، ص135 .

(12) الدينوري، الاخبار الطوال ، ص71 ؛الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص6.

دقل[1]درهماً وعلى كل ست اصول زيتون درهماً[2] وقد كتبت في ثلاثة نسخ حفظت في سجلات الدولة الرسمية والثانية ارسلت الى ديوان الخراج[3] للعمل بها والثالثة ارسلت الى قضاة الكور وسميت الدار التي يجبى فيها ذلك (سراي شمرة) وتعني دار الثلاث الانجم او دار الحساب[4] .

اعمال الدهاقين في العصر الاسلامي

بعد تحرير العراق من السيطرة الفارسية في معركة القادسية لم يكن للعرب رؤيه واضحة تجاه عملية جمع الخراج، قال ابو هلال العسكري " لما ظهر المسلمون على السواد وفارس لم يعلموا كيف يصنعون بالخراج وجباية اهل الذمة "[5] مما تطلب الامر استشارة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنة من قبل قادة الفتح ولا سيّما سعد بن أبي وقاص[6]، ونظرا لأهمية الدهاقين ومكانتهم في معرفة أحوال القرى وحجم الضرائب فكان فعل الخليفة عمر رضي الله عنه هو معرفة رأي الدهاقين عندما أراد وضع الضرائب فارسل الى حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف بان يبعثوا له مجموعة من الدهاقين من قبل العراق ومعهم ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر رضي الله عنه قال كيف كنتم تؤدون إلى الاعاجم في ارضهم ؟[7]وقد نتج عن ذلك تكليف كل دهقان على قريته وقالا لدهقان كل قريه "على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها بينكم فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على اهل قريته"[8].

من المؤكد ان المسلمين كانوا يعرفون اهمية الدهاقين في جمع الضرائب وتقدير حجمها لذلك ابقوهم في كل قرية ومدينة فكان قرار الخليفة عمر رضي الله عنه "رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسرى وقد غنمينا الله اموالهم وارضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من اموال بين اهله واخرجت الخمس فوجهته على وجه وانا في توجيه وقد رأيت ان احبس الارضين بعلوجها واضع فيهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين ..."[9]وقد حددت الادارة العربية الاسلامية المتمثلة بالخليفة عمر اعمال الدهاقين والفلاحين كلا له اختصاصه، قال الطبري" فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث والدلالة مع

---

[1] الدقل اردا انواع التمر(ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص246) .

[2]مسكوية ، تجارب الامم ، ج1 ، ص131 ، ابن الجوزي ، المنتظم ، 2 ، ص135 ، ابن البلخي ، فارس نامة ، ترجمة يوسف الهادي، القاهرة -2001م، ص88 .

[3] كان لملوك فارس ديوان للخراج وديوان للنفقات فكل ما يرد الى الدولة فالي ديوان الخراج وكل ما ينفق ويخرج في جيش او غيره ففي ديوان النفقات، (الوزراء والكتاب ، ص3).

[4] الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص71 .

[5] الحسن بن عبدالله ، كتاب الاوائل ، حققه وعلق عليه محمد السيد وكيل ، المدينة المنورة- ص135

[6] م ، ن ، ص135

[7] أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت 182هـ)، الخراج، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، سعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث، ص48.

[8] ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت 251هـ)، الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية- 1986 م، ص182؛ا بن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر – بيروت، ص56

[9] ابو يوسف ، الخراج ، ص 49.

الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم، وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة، وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين، وكانت الضيافة لمن أفاءها اللّه خاصة ميراثا"[1].

ان السياسة الاقتصادية التي انتهجها المسلمون من الاستعانة بالدهاقين هي انعكاس لواقع ومفهوم ان الامة الاسلامية امة مجاهدة، اما جمع الضرائب فتركت لذوي الاختصاص وهم الدهاقين العارفين بأحوال القرى والفلاحين الذين كان لهم النفوذ المباشر والسيطرة التامة على الفلاحين، روى الطبري لما نزل سعدٌ بن ابي وقاص عَلَى بهرسير[2] بث الخيول فأغارت على ما بين دجلة الى من له عهد من اهل الفرات فأصابوا مائة الف فلاح فحسبوا فأصاب كل منهم فلاحا فجاء دهقان ساباط[3] ويدعى شيرزاد وخاطب سعد فقال انك لا تصنع بهؤلاء شيئا انما هؤلاء علوج لأهل فِارس لم يجروا اليك فدعهم الي حتى يفرق لكم الراي فكتب عليه بأسمائهم ودفعهم الية فقال شيرزاد انصرفوا الى قراكم .

تمكن الدهاقين من تثبيت مراكزهم الادارية واعتمد عليهم الولاة في حقب تاريخية لاحقة ففي عهد الخلافة الاموية اهتم والي العراق زياد بن ابي سفيان بالدهاقين وكان يؤكد على الاعتماد عليهم وعدم المساس اليهم فمن وصاياه" أحسنوا إلى الدهاقين فإنكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا"[4]، وعندما عوتب عبيد الله بن زياد في استعماله الدهاقين والاعتماد عليهم دون العرب اجاب بقولة" وَأَمَّا استعمالي الدهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكرة وزادان فرّوخ رفعا عَلِي عِنْدَ مُعَاوِيَة فخيرني مُعَاوِيَة بَيْنَ الضمان والعزل فكرهت العزل وكنت إِذَا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فأقدمت عَلَيْهِ أو غرت صدور عشيرته أَوْ أغرمته فحملت عَلَى عَطَاء قومه أضررت بِهِمْ وإن تركته تركت مال اللّه وأنا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون عَلِي مطالبة"[5]، وذكر البلاذري[6] ان عامة عمال خالد القسري والي العراق كانوا من الدهاقين ولهم مكانه متميزة فلما قتل دهقان منهم بفارس أمر خالد بنفي العرب وعيالاهم من السواد، فقال ابن نوفل:

أَيُقْتَلُ عامل قليل.ردٍ ... فتنفونَ العباد من السواد
لعلك أن ترى عما قليل ... عيالك يُسْلَبُونَ بكل واد

---

[1] الطبري ، تاريخ الطبري، ج4، ص32.

[2] من نواحي سواد بغداد قرب المدائن،وهي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن(ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص515).

[3] بالمدائن موضع معروف، إنّما سمّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسمّي به(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص166).

[4] البَلَاذُري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت بيروت - 1996 م ، ج5، ص223.

[5] البلاذري، أنساب الاشراف ، ج5، ص410.

[6] م، ن، ج5، ص410.

ولما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق تخوف الدهاقين منه واجتمعوا الى كبيرهم ويدعى جميل بن بصهري وكان حازما مقدما فشكوا الية ما يتخوفون من شر الحجاج[1]وكان سبب خوفهم انهم كَانَوا عيونًا لابن الأشعث[2] فلما انهزم وظفر الحجاج أضرّ بأهل السواد، حتَّى انكسر الخراج.

ان أي عملية اصلاح او تغيير في سياسة جمع الضرائب قد واجهت معارضة شديدة من قلا الدهاقين لا سيما ان كثير من اهل الذمة اعلنوا اسلامهم فكتبوا الى الحجاج " أن الخراج قد انكسر، وأن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار"[3]، وقد عارض الدهاقين سياسة والي خراسان اشرس بن عبدالله السلامي عندما دعا سكان وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية، فسارع الناس، فكتب دهقان سمرقند غوزك إلى أشرس قائلا: إن الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطه إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذا من الجزية، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن، فارفع عنه خراجه ثم عزل اشرس ابن ابى العمرطه عن الخراج، وصيره إلى هانئ بْن هانئ، وضم إليه الأشحيذ فكتب هانئ إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد **فجاء دهاقين بخاري** إلى أشرس فقالوا: ممن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عربا؟ فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على من أسلم، فامتنعوا، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف....[4]، ان فرضية قلة الخراج التي تكلم عنها الدهاقين تعني نقصا في المال المتفق علية وفق المعاهدات التي ابرمت والتي احد طرفيها الدهاقين المكلفين بالجباية ذلك ان خراج خراسان على رؤوس الرجال، وبما ان الاسلام سيعفيهم من الجزية الامر الذي سيتحمله الدهقان في تسديد النقص الحاصل مما دفعهم الى اخبار اشرس ان الخراج قد انكسر فكانت مطالبهم بأخذ الجزية ممن اسلم .

ان سياسة الدهاقين هذه لم تستمر طويلا فقد جاءت اجراءات الخليفة عمر بن عبد العزيز حازمة وصارمة من ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله علية وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا فمن اسلم من اهل تلك الملل فعلية من ماله الصدقة ولا جزية عليه[5].

الدهاقين والاسلام: منح الاسلام الدهاقين في حالة اسلامهم ثلاثة حقوق:

1-اعفاءه من دفع الجزية.

2- بقاء الارض تحت تصرفه يؤدي عنها ضريبة الخراج.

3- فرض راتب له.

---

[1] الجهشياري ، الوزراء ، ص39.

[2]عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي والي سجستان فثار هناك على الحجاج واقبل في جمع كبير فقاتله الحجاج وجرى بينهم حروب كثيرة ، مات سنة 84هـ(ينظر الطبري، تاريخ ، ج6، ص344وما بعدها)

[3] الطبري ج6ص381، ابن الاثير ج3 ص491

[4] الطبري ، تاريخ الطبري، ج7، ص 55؛ابن الاثير، الكامل ، ج4 ، ص189.

[5] ابو يوسف ، الخراج ، ص144.

اما الجزية[1]قال ابو يوسف[2] والجزية واجبة على جميع اهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وانما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان على الموسر ثمانية واربعون درهما وعلى الوسط اربعة وعشرون وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثنا عشر درهما يؤخذ ذلك منهم كل سنة ولا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من اعمى لا حرفة له ولا من مقعد وكذلك المترهبون في الديارات واهل الصوامع[3].

اما اسلام الدهاقين وطريقة معاملتهم فكانت ترفع عنهم الجزية ويبقون في ارضهم، ذكر يحيى بن ادم ان دهقان من اهل السواد اسلم زمن علي رضي الله عنه فقال له " ان اقمت في ارضك رفعنا الجزية عن راسك واخذنا من ارضك وان تحولت عنها فنحن احق بها"[4]وفي رواية البيهقي نفس المعنى[5]وعن ابي عون الثقفي قال اسلم دهقان فقال له علي رضي الله عنه اما انت فلا جزية عليك واما ارضك فلنا[6].

اما بقاء الارض تحت تصرفه يؤدي عنها ضريبة الخراج [7] ففي فعل عمر رضي الله عنه ما يؤكد بقاء الارض بيدهم فعن الشعبي ان الرفيل فعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ الرُّفِيلَ[8] دِهْقَانُ دهقان النهرين اسلم فدفع عمر اليه الارض يؤدي عنها الخراج النَّهْرَيْنِ[9]واسلم دهقان عين التمر فقال له علي رضي الله عنه ...واما ارضك فللمسلمين فان شئت فرضنا لك وان شئت جعلناك قهرمانا لنا فما اخرج الله منها من شيء اتيتنا به[10] وفي رواية ابي عباد وهي الرواية التي ذكرها الشافعي ان عليا رضي الله عنه قال للرفيل حين اسلم ان شئت دفعنا لك ارضك فاديت عنها ما كنت تؤدي[11] وكان الرفيل قد اسلم زمن عمر رضي الله عنه فقال لعمر دع

---

[1] وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَالِ الَّذِي يُعْقَد للْكِتَابي عَلَيْهِ الذِّمَّة، وَهِيَ فِعْلة، مِنَ الجزَاء، كَأَنَّهَا جَزَتْ عَنْ قَتْلِهِ، (أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت- 1979م، ج3، ص124.

[2] الخراج، ص، 135.

[3] ابو يوسف ، الخراج ، ص: 135.

[4] أبو زكريا بن سليمان القرشي (ت 203هـ)، الخراج، ط3، المطبعة السلفية ومكتبتها، -1384هـ، ص75.

[5]أحمد بن الحسين بن علي، (ت 458هـ) ، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت- 2003 م ، ج9، ص239؛ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري ، رمادى للنشر، الدمام – 1997م، ج 1، ص 178.

[6]النيسابوري أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت 319هـ)، الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد محمد حنيف، دار طيبة، الرياض-1985 م ، ج11، ص38.

[7] الْخَرْجُ والْخَرَاجُ واحِدٌ وَهُوَ شَيْء يُخْرِجُه القومُ فِي السَّنَة من مَالهم بِقَدْرٍ مَعْلُوم (الازهري، تهذيب اللغة ، ج7، ص26؛ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص252.

[8] والرّفيل الذي ينسب إليه دهقان كان من الفرس وأسلم على يد سعد بن أبى وقّاص، وصار فى جملة المسلمين..[ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق صفيّ الدين (ت 739هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ ، ج3، ص1402.

[9]ابن زنجوية ، الأموال، ج1، ص253.

[10]البيهقي، السنن، ج9، ص239؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت 458هـ) ، معرفة السنن والآثار تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي - باكستان، دار قتيبة (دمشق -بيروت) ، دار الوعي (حلب - دمشق) ، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) - 1991م ، ج13، ص338.

[11] البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج13، ص338.

ارضي في يدي اعمرها واعالجها واؤد عليها ما كنت اؤدي عنها ففعل وفي رواية انه الزم خراج ارضه ولما اسلمت دهقانة من نهر الملك ولها ارض كثيرة فكتب عامله الى عمر فكتب اليه ان ادفع اليها ارضها يؤدي عنها الخراج[1] وكانت سياسة عمر وعلي رضي الله عنهم اذا اسلم الرجل تركاه يقوم بخراجه في ارضة ووجه ذلك ان تكون الارض فيئا للمسلمين يسكنها الذمي فتسقط عنه بالاسلام جزية راسة دون خراج ارضة لانه بمنزلة الاجره تلزمه ما دام يسكنها لان ملكها لغيره وقد أسلم جميل بن بصبهري دهقان الفلاليج[2]، والنهرين وبسطام بن نرسي، دهقان بابل وخطرنية[3]، والرفيل، دهقان العال والعال بادوربا[4]، والانبار، والانبار، وقطربل[5] ومسكن، وفيروز دهقان نهر الملك وكوثى[6] وغير هؤلاء من الدهاقين فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الارض من أيديهم وازال الجزية عن رقابهم[7].

ولم تكن اجراءات الإدارة العربية الاسلامية تعسفية تجاه دافعي الخراج بل اتصفت بالتحري والدقة ومعرفة قدرتهم المالية فكان عمر رضي الله عنه يسال عنهم أيطيقون ذلك ام لا؟ وتقدم في ان لا يكلفوا فوق طاقتهم ولم نحملهم ما لا يطيقون ولم نأخذهم من الخراج الا بما تحتمله ارضهم، وان عمر رضي الله عنه لما فتح العراق ناظر بعض الدهاقين وسألهم، كم كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضكم ؟فقالوا سبعة وعشرين فقال لا ارضى بهذا منكم فرأى ان تمسح البلاد وجعل عليه الخراج وكان ذلك اصلح لأهل الخراج وزيادة في الفيء من غير ان يحملهم[8]قال ابو يوسف ولم يبلغنا عن احد منهم انه اخرج هؤلاء من ارضهم وكيف الحكم في ارض هؤلاء أيكون الحكم لهم ام لغيرهم[9].

فرض الرواتب

فَرَضَ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواتب لدهاقين العجم وقد سال رضي الله عنه عن سبب ذلك فقال قوم اعاجم اشراف احببت ان أتألف بهم غيرهم ممن هو دونهم[10]ففرض لدهاق نهر الملك[11]فيروز بن يزدجر ولنخيرجان وخالد وجميل ابني بسهر دهقان الفلوجة[1]ودهقان بابل الهرمزان

---

(1) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت 516هـ) ، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت- 1983م ، ج11، ص177.

(2) فلاليج السواد قراها، إحداها فلّوجة.(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص270).

(3)ناحية من نواحي بابل العراق، (م ، ن، ج2، ص278).

(4)طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد(م ، ن، ج1، ص317).

(5)اسم لطسّوج من طساسيج بغداد أي كورة، فما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا وما كان من غربها فهو قطربّل(م ، ن، ج4، ص371).

(6)بسواد العراق في أرض بابل(م ، ن، ج4، ص487).

(7) قدامة بن جعفر، بن قدامة بن زياد البغدادي،(ت 337هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد- 1981م، ص 384؛البلاذري، فتوح البلدان، ص 261.

(8) [الأم للشافعي 7/ 377]

(9)أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت 182هـ)، الرد على سير الأوزاعي، عني بتصحيحه والتعليق عليه: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند، ص 93.

(10) ابن زنجوية ، الأموال، ج2، ص502.

(11)نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصبّ في دجلة، عليه نحو ثلاثمائة قرية. ويقال لذلك جميعه نهر الملك،(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص37).

وبسطام بن فرسا وجفينه العبادي والرفيل في الفين الفين وفرض لدهقان الاحواز[2] الهرمزان الفين حين اسلم[3] وجبل بن دهقان فرض له الفين في عدة من الدهاقين[4] وفي رواية الحكم بن عتبة ان عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب فرضوا للذين اسلموا من الدهاقين الفين الفين[5].

عدالة الاسلام مع الدهاقين:

1- **في مكاتبة الدهاقين والسلام عليهم:** عن ابي عثمان النهدي قال كتب ابو موسى الى دهقان يسلم علية في كتابه فقيل له اتسلم عليه وهو كافر؟ قَالَ إِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ فسلم علي فرددت عليه[6]، قال علقمة: أقبلت مع عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه على موضع يقال له سالحين فصحبه تسعة دهاقين من سالحين، فلما دخلوا الكوفة أخذوا في طريق آخر فسلم عليهم فقلت له أتسلم على هؤلاء الكفار؟ فقال نعم إنهم صحبونا وللصحبة حق[7] وفي رواية يا أبا عبد الرحمن: أليس يكره أن يبدئوا بالسلام؟ قال نعم، ولكن حق الصحبة[8] وعن ابن اسحاق قال قدم ما هويه مرزبان مرو على علي بن ابي طالب رضي الله عنه مقرا بالصلح فكتب له علي كتابا الى دهاقين مرو ومن كان في مرو " بسم الله الرحمن الرحيم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان ما هويه ابراز مرزبان مرو جاءني واني رضيت ..."[9].

2- **القضاء: في فصل لم يوجد للمرأة ولي ولا ذو سلطان يلي نكاحها** فعن الامام احمد ما يدل على انه يزوجها رجل عدل بأذنها فانة قال في دهقان قرية يزوج من لا ولي لها اذا احتاط لها في الكفء والمهر اذا لم

---

[1] بالفتح ثم التشديد، وواو ساكنة، وجيم، قال الليث: فلاليج السواد قراها، وإحداها الفلّوجة، والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى: قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر.(ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4، ص275).

[2] الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز والأهواز اسما عربيّا سمّي به في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص284).

[3] يحيى بن آدم ، الخراج، ص 57؛ الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت762هـ) ، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة -1997م ، ج4، ص338.

[4] البلاذري، فتوح البلدان ، ص 440؛ النقاش ، محمد بن علي بن عمر الأصبهاني الحنبلي (ت 414هـ): فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين، دراسة وتحقيق: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، ص79.

[5] [الأم للشافعي 7/ 377] [الرد على سير الأوزاعي ص: 93]

[6] البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(ت256هـ)، الأدب المفرد بالتعليقات، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- 1998 م، ص 618.

[7] السمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد (ت373 هـ)، بستان العارفين، ط3، مؤسسة الكتب الثقافية [طبع مع كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندي]- 1993 م، ص: 331؛ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 235هـ) ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ج5، ص259.

[8] ابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، - 2003م ، ج9، ص33.

[9] الطبري، تاريخ ، ج4، ص 557.

يكن في الرستاق[1] لأن دهقان القرية هو كبيرها فهو بمنزلة حاكمها والقائم بأمرها وأخذها ابن أبي موسى من رواية أن المرأة تزوج أمتها ومعتقتها[2].

3- **احترام الملكية الخاصة**: من المفاهيم الادارية للخلافة الراشدة التأكيد على العنصر الإنساني بين المسلمين واهل الذمة داخل اطار الدولة الاسلامية ومنها حفظ حقوق الملكية الخاصة ففي قصة دهقان السيلحين[3] ما يظهر عدالة الاسلام زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال الدهقان يروي قصة: كان لسعيد بن مالك إلى جنبي ضيعة وكان رجلاً حديداً فأتيته فقلت له: أعدني على نفسك فأمر بي فوُجئت في عنقي، فقلت: لأرحلن إلى عمر فدخلت على امرأتي فأعلمتها ذلك فقالت: إني أخاف أن لا تصنع شيئاً ويجترئ عليك فقلت: إني أكره أن تحدث العجم بأني قلت شيئاً لم أفعله قال: فخرجت حتى قدمت المدينة فسألت عن عمر رحمه الله فدُللت عليه وأُرشدت إليه، فلما أتيت منزله دخلت فإذا عمر رضي الله عنه جالس على عباءة فرفع رأسه إليّ وقال: كأنك لست من أهل الملة فقلت: أنا رجل من أهل الذمة قال: فما حاجتك؟ قلت: لسعيد بن مالك ضيعة إلى جانبي وإني أتيته أستعديه على نفسه فأمر بي فوُجئت في عنقي فقلت لأرحلنّ إلى عمر فقال: يا يرفا ائتني بالدواة والمكتب فأتاه بجراب فأدخل يده وأخرج صحيفةً فكتب فيها ثم أخرج سيراً يشدّها به فلم يقدر عليه فتناول خيطاً من العباءة التي تحته وقد تنشّرت جوانبها فشدّها به فأردت أن لا آخذها ثم تناولتها متثاقلاً فكأنه عرف ما في نفسي فقال: ائته فإن كفاك وإلا فأقم واكتب إليّ قال: فخرجت حتى قدمت على أهلي فقالوا: ما صنعت؟ قلت: أتيت رجلاً لم يقدر على سير يشدّ به صحيفته حتى تناول خيطاً من عباءة كانت تحته قد تفزّزت وتنشّرت جوانبها فشدّها به قالوا: وما عليك من ذلك إن نفذ أمره؟ قال: فأتيت سعيداً فناولته الكتاب، فلما قرأه أُرعدت فرائصه حتى سقط الكتاب من يده وقال: ويلك ما صنعت؟ اذهب فالأرض لك فقلت: لا أقبلها فقال: لا والله لا أخذتها أبداً قال: وكان نسخة الكتاب: **بسم الله الرحمن الرحمن من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سعيد بن مالك سلام عليك أما بعد فإن مهرزاد دهقان السيلحين ذكر أن له ضيعة إلى جانبك وأنه أتاك يستعديك على نفسك فأمرت به فوجئت عنقه فإذا جاءك كتابي هذا فأرضه من حقه وإلا فأقبل إلي راحلاً والسلام**[4] .

وفي عهد الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنة الذي كتب إلى أحد عمالة وهو عَمْرو بن سَلَمَةَ الأرحبي، **أما بعد فإن دهاقين بلادك شكوا منك قسوة وغلظة، واحتقارا وجفوة فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا**

[1] ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت 620ه)، المغني، مكتبة القاهرة، ج7، ص18؛ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية - 1994 م ، ج3، ص15.

[2] الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت 772ه)، شرح الزركشي، دار العبيكان- 1993 م ، ج5، ص11.

[3] طسّوجا برأسه من كورة بهقباذ الأسفل من الجانب الغربي(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص299).

[4] [المحاسن والمساوئ ص: 211، بترقيم الشاملة آليا]

لشركهم ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لَهُم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة في غير ما أن يظلموا (كذا) ولا ينقض لهم عهد، ولكن تقرعوا بخراجهم[1].

وقد احتفظت كثير من عوائل الدهاقين بأملاكهم لحقب تاريخية متعاقبة، كبني زراى وكانت قريتهم في مربعة أَبِي العباس ببغداد كانت لجدهم وأنه من دهاقين يقال لهم بنو زرارى[2]، وقنطرة **أَبِي الجوز**[3] وأبو الجوز من دهاقين بغداد من أهل القرية [4] والقنطرة منسوبة إليه[5]، **وربض أبي نعيم** موسى صبيح من أهل مرو من قواد المنصور وفيه الموضع الذي يقال له شيرويه وهو مجوسي من دهاقين بغداد القدماء[6]، ظلة ميشويه وهو نصراني من الدهاقين تمتد من مسجد الواسطيين إِلَى خندق الصينيات إِلَى الياسرية وقنطرة بني زريق نسبة الى بني زريق من دهاقين من أهل بادوريا [7]، وديرعاقول، مدينة النهروان الأوسط، وبها قوم دهاقين أشراف وبينها وبين المدائن مرحلة[8]، **أخطانية** كان حول مدينة أبي جعفر قبل بنائها قرى فكان إلى جانب باب الشام قرية يقال لها أخطانية على باب درب النورة إلى درب الأقفاص وكانت هذه القرية التي يقال لها أخطانية لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة، وبنو قنورا، منهم مالك بن دينار ويعقوب بن سليمان [9].

المصادر والمراجع:

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري(ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – 1997م.

2- ابن ابي الركب، مصعب بن محمد بن مسعود الأندلسي(ت 604هـ)، الإملاء المختصر في شرح غريب السير، استخرجه وصححه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص161؛الصلابي، عَلي محمد محمد، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره - دراسة شاملة)، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات- 2004 م، ص490.

[2] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - 2002 م ، ج1، ص395؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت 365)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت - 1996 م، ص 292.

[3] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج1، ص395.

[4] م ، ن، ج1، ص396.

[5] ابن الفقيه، البلدان، ص 293.

[6] م ، ن، ص300.

[7] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص405؛ابن الفقيه، البلدان، ص 303.

[8] الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت- 1980 م ، ص405.

[9] ابن الفقيه، البلدان، ص 292

3- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض.

4- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي(ت370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-2001م.

5- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(ت256هـ)، الأدب المفرد بالتعليقات، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- 1998 م.

6- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، - 2003م.

7- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت 516هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت- 1983م.

8- ابن البلخي، فارس نامة، ترجمة يوسف الهادي، القاهرة -2001م.

9- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت 279هـ)،

-فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت- 1988 م.

-جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م.

10- البيروني، ابي الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت 400هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية، مطبعة ليبزك -1923م.

11- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، (ت 458هـ)،

-السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادرعطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت- 2003م.

-معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) - 1991م.

12- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 458هـ)، المحلى بالآثار، دار الفكر – بيروت.

13- الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت- 1980 م.

14- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – 2002م.

15- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت 300هـ)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت- 1889 م.

16- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت331 هـ)، الوزراء والكتاب، حققه مصطفى السقا واخرون، القاهرة - 1938م.

17- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - 1992م.

18- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود(ت282هـ)، الاخبار الطوال، المكتبة الحيدريه، النجف-1959م.

19- الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت 772هـ)، شرح الزركشي، دار العبيكان- 1993 م.

20- ابن زكَرِيّا، أبي الحسين أحمد بن فارِس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

21- الزمخشري، جار الله (ت 583 هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت- 1412 هـ.

22- ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت 251هـ)، الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية- 1986م.

23- الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت762هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة -1997م.

24- ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن عبد الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)،

-كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر – بيروت.

-غريب الحديث، تحقق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن – 1964م.

26- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت373 هـ)، بستان العارفين، ط3، مؤسسة الكتب الثقافية [طبع مع كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندي]- 1993م.

27- **ابن سيده**، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ)،

-المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

-المخصص، تحقق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت- 1996م.

28- الصابي، ابي الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ)، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية- 1958م.

25- (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت- 1387 هـ.

28- ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق صفيّ الدين (ت 739ھ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، 1412 ھ.

29- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571ھ)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – 1995م.

30- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 170ھ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

31- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت 365)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت – 1996م.

32- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت 620ھ)،

- الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية – 1994م.

-المغني، مكتبة القاهرة.

35- قدامة بن جعفر، ابن قدامة بن زياد البغدادي، (ت 337ھ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد- 1981م.

33- القزويني، زكريا بن محمد(ت682 ھ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المنصورة . 2006م.

34- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751ھ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام – 1997م.

35- مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت 1205ھ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

36- المسعودي، على بن الحسين بن على (ت 346ھ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة.

37- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421ھ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط2، سروش، طهران- 2000م.

38- النقاش، محمد بن علي بن عمر الأصبهاني الحنبلي (ت 414ھ): فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين، دراسة وتحقيق: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، القاهرة.

39- النيسابوري أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت 319ھ)، الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض-1985م.

40- الهلال العسكري، الحسن بن عبدالله، كتاب الاوائل، حققه وعلق عليه محمد السيد وكيل، المدينة المنورة.

41- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت 182ھ)،

-الخراج، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

- الرد على سير الأوزاعي، عني بتصحيحه والتعليق عليه: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند.

47- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-1995م.

42- يحيى بن آدم، أبو زكريا بن سليمان القرشي (ت 203هـ)، الخراج، ط3، المطبعة السلفية ومكتبتها، -1384هـ.

المراجع العربية والمعربة:

1- آبادي الهندي، محمد حميد الله الحيدر (ت 1424هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، بيروت– 1407هـ.

2- ادي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت-1908م.

3- اربي . ا . ج، تراث فارس، ترجمة محمد كناني واخرون مراجعة يحي الخشاب، دار احياء الكتاب العربي- 1959م.

4- الخشاب، يحي، التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية-1969م.

5- جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي-2001م.

6- الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، ط3، مصر. 1969م.

7- الصلابي، عَلي محمد محمد، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره)، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، 2004م.

8- فان، فلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية، ترجمة حسن ابراهيم حسن، محمد زكي ابراهيم، القاهرة. 1965م.

9- قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- 1988م.

10- كرستنسن، ارثر، ايران في عهد الساسانية، ترجمة علي الخشاب وعبد الوهاب عزام، القاهرة 1957م.

11- ماسبيرو، تاريخ المشرق، ترجمة احمد زكي بك، مصر. 1897م.

حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة الداخلية في الفقه الإسلامي

دراسة تأصيلية نقدية على ضوء المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربعة

د. بلختير بومدين
قسم العلوم الإسلامية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن القواعد العامة المستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والمتعلقة بحماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة الداخلية، وذلك بالرجوع إلى ما كتبه الفقهاء في هذا الموضوع ونخص بالذكر محمد بن الحسن الشيباني في كتابه السير الكبير والإمام الأوزاعي في كتابه السير وهما كتابان مهمان يضمان قواعد كثيرة من قواعد القانون الدولي الإنساني التي يجب أن يلتزم بها أطراف النزاع سواء كان نزاعا داخليا أو دوليا، مع دراسة تقييمية للمادة الثالثة المشتركة من اتفاقيات جنيف التي تمثل الأساس القانوني لمبدأ حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية، ذلك أن حماية المدنيين عند نشوء نزاع داخلي بات إلى وقت قريب مهمة صعبة نظرا لما تحمله من اعتبارات سياسية متعلقة أساسا بالاعتراض مع مبدأ السيادة ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول إضافة إلى الالتباس الحاصل في تكييف النزاع وإيجاد النطاق القانوني له.

الكلمات المفتاحية: حماية المدنيين، النزاعات المسلحة الداخلية، الفقه الإسلامي، المادة الثالثة المشتركة، اتفاقيات جنيف.

Abstract :

This article aims to demonstrate the general rules based on the Qur'an and the Sunna regarding the protection of civilians during internal armed conflicts, in reference to what the jurists wrote on this subject, we particularly mention the book of Mohammed I'bn Alhassane Achaybani entitled "Assyar el Kabir" and the one of Imam el ElAouza'i "Assyar" represent two references that include the rules of international humanitarian law that the parties in conflict must respect in either domestic or international conflict, With an evaluation study of common article 3 which represents the legal basis of the principle of the protection of civilians during armed conflict not of an international character for the protection of civilians during an internal conflict has become an almost impossible task given the political considerations incompatible with the principle of sovereignty and the principle of non -interference in the internal affairs of States over the confusion that occurs when adaptation of the conflict while seeking its legal scope to see if it obeys the rules of contractual international humanitarian law or customary law only .

Keywords : Protection of civilians, internal armed conflicts, islamic jurisprudence, Article 3 of the Geneva Conventions, Geneva Conventions.

مقدمة:

تعد النزاعات المسلحة الداخلية أكثر ما يميز الصراعات القائمة الآن وإن أخذت أشكالا مختلفة وتفاوتت حدتها من صراع لآخر، وسواء كانت بين جماعتين متصارعتين لسبب ديني أو عرقي أو سياسي أو كانت بين السلطة الحاكمة وجماعة معارضة إلا أن ما يميزها كلها هو وحشيتها وثقل حصيلة الضحايا الذين يكونون بسببها مما استدعى إعادة النظر في قواعد القانون الدولي الذي عرف في زمن ما قبل اتفاقيات جنيف بتطبيقاته على النزاعات المسلحة الدولية في الغالب.

ونظرا للطبيعة الخاصة التي تتميز بها الصراعات الداخلية من غموض في الجهات المتصارعة التي قد تضم مدنيين وعسكريين وعدم إمكانية التمييز بين المحاربين وغيرهم وعدم إمكانية الاعتراف بالمحاربين كجماعة مقاتلة حتى يمكن تطبيق قواعد القانون الدولي، أوقع الدولة التي يدور في إقليمها نزاع مسلح في الفوضى والسرقات العشوائية وانهيار المؤسسات والبنى التحتية وهو أمر ملموس من خلال ما وقع من نزاعات داخلية ويقع الآن ويكون في الأخير المدنيون ومن لا دخل لهم في النزاع هم الضحية الأولى.

ظل هذا الغموض في تكييف النزاعات الداخلية ووضعها في إطارها القانوني مما جعل هذا النوع من النزاعات بعيدة عن الإطار القانوني الدولي التعاقدي إلى حين ظهور اتفاقيات جنيف وبالخصوص المادة الثالثة المشتركة التي شكلت تحديا في القانون الدولي حينما أخضعت النزاعات المسلحة غير الدولية لأول مرة لمقتضيات الإنسانية وذلك بقوة القانون وحصرت النزاعات المسلحة في شكل محدد يتضمن معنى التنظيم والقيادة واستبعدت بذلك الاضطرابات الفوضوية والتوترات التي لا تخضع لتنظيم معين يمكن من خلاله تطبيق القانون الدولي الإنساني.

وعند التكلم على المادة الثالثة المشتركة باعتبارها مرجعا مهما للقانون الدولي الإنساني عند وقوع النزاعات المسلحة الداخلية في إطاره التعاقدي لا يمكننا إغفال البروتوكول الإضافي الثاني لاتفاقيات جنيف لعام 1977م الذي جاء مكملا لما ورد في المادة الثالثة من اتفاقيات جنيف كما ذكرت المادة الأولى منه وكذلك حدد نوع النزاع الذي تطبق بموجبه قواعد هذا البروتوكول وهو النزاع الدائر في إقليم أحد الأطراف السامية المتعاقدة بين قواته المسلحة وقوات مسلحة منشقة أو جماعات نظامية مسلحة أخرى وتمارس تحت قيادة مسئولة على جزء من إقليمه من السيطرة ما يمكنها من القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومنسقة.

والنزاع في هذه الحالة وإن كان داخليا إلا أن أبعاده قد تتجاوز إقليم الدولة الدائر فيها النزاع، مما يتطلب تدخل دولة أخرى تأييدا لطرف على حساب طرف آخر أو حماية للمصالح المشتركة، لذلك جاءت المادة الثالثة من البروتوكول الإضافي الثاني ونصت على عدم التدخل في شؤون أي دولة بذريعة تطبيق القانون الدولي الإنساني.

في الفقه الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية نجد كثيرا من التوجيهات والقواعد المتعلقة بحماية غير المقاتلين زمن الحروب، ولا نكاد نجد فرقا بين كون النزاع المسلح داخليا أو دوليا، إذ القتال يبقى محصورا بين أطراف النزاع فقط ولا يمكن أن يتعدى إلى غيرهم إلا ما كان ذريعة للوصول إلى مصلحة عامة تقتضيها ظروف الحرب ضرورة.

يسعى هذا المقال إلى الإجابة على ما يلي:

هل يمكن صياغة قواعد عامة في مجال تطبيق آليات حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة الداخلية وذلك بالاستناد إلى التراث الفقهي الإسلامي دون الضياع في البحث عن نطاق تكييف القانون الواجب التطبيق مما يجعل المدنيين هم الضحية الأولى؟

وما هو الإطار القانوني للمادة الثالثة المشتركة من اتفاقيات جنيف وكيف يمكن تكييف النزاعات الداخلية تكييفا يمكن معه تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني دون أي التباس خاصة مع تنوع أشكال النزاعات الداخلية في العصر الحالي؟

قبل البدء بالدراسة الفقهية لما ورد في نص المادة المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربعة، نقوم بعرض المادة عرضا وصفيا نتعرف من خلاله على جميع ما ورد فيها.

1- نص المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربعة:

نصت المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف على ما يلي:

في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد أدني الأحكام التالية:

1. الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم علي العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس، أو المولد أو الثروة، أو أي معيار مماثل آخر.

ولهذا الغرض، تحظر الأفعال التالية فيما يتعلق بالأشخاص المذكورين أعلاه، وتبقي محظورة في جميع الأوقات والأماكن:

(أ) الاعتداء علي الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية، والتعذيب.

(ب) أخذ الرهائن.

(ج) الاعتداء علي الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.

(د) إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة تشكيلا قانونيا وتكفل جميع الضمانات القضائية اللازمة في نظر الشعوب المتمدنة.

2. يجمع الجرحى والمرضى ويعتني بهم.

يجوز لهيئة إنسانية غير متحيزة، كاللجنة الدولية للصليب الأحمر، أن تعرض خدماتها علي أطراف النزاع.
وعلى أطراف النزاع أن تعمل فوق ذلك، عن طريق اتفاقات خاصة، على تنفيذ كل الأحكام الأخرى من هذه الاتفاقية أو بعضها.
وليس في تطبيق الأحكام المتقدمة ما يؤثر علي الوضع القانوني لأطراف النزاع.

هذه المادة وإن جاءت بصيغة عامة واكتفت ببيان ما يجب على أطراف النزاع مراعاته دون تقديم تعريف للنزاع الداخلي نرى بأن الغاية منها كانت حصر النزاع في أضيق نطاق وتوفير الحماية لغير أطراف النزاع ما أمكن ذلك، لذلك جاء البروتوكول الثاني الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في 12 آب / أغسطس 1949المتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية[1]، جاء مكملا وشارحا للمادة الثالثة المشتركة ومبينا في المادة الأولى منه المجال المادي للتطبيق وهو أن يكون النزاع دائرا على إقليم أحد الأطراف السامية المتعاقدة بين قواته المسلحة وقوات مسلحة منشقة أو جماعات نظامية مسلحة أخرى وتمارس تحت قيادة مسئولة على جزء من إقليمه من السيطرة ما يمكنها من القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومنسقة، موضحا في الوقت ذاته ما لا تسري عليه أحكام هذا البروتوكول وهي حالات الاضطرابات والتوتر الداخلية مثل الشغب وأعمال العنف العرضية ... وغيرها من الأعمال ذات الطبيعة المماثلة التي لا تعد منازعات مسلحة.

و قد حاولت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الخمسينات شرح هذه المادة محددة جملة من المقاييس الموضوعية التي تميز النزاع المسلح غير الدولي، و التي كانت بمثابة خلاصة للمداولات و الاقتراحات المسجلة أثناء مؤتمر 1949م منها:

1/ أن يكون للطرف المناهض للحكومة المركزية تنظيم عسكري فيه قيادة مسؤولة عن سلوك مرءوسيها و له نشاط في أرض معينة و يكفل احترام الاتفاقيات.

2/ لجوء الحكومة الشرعية إلى القوات العسكرية لمحاربة الثوار.

3/ اعتراف الحكومة بصفة المحاربين للثوار، أو الاعتراف بأنها في حالة حرب أو إقرارها صفة المحاربين للثوار بهدف تنفيذ الاتفاقيات أو عرض النزاع على أحد هياكل الأمم المتحدة.

4/ أن يكون للثوار نظام تتوفر فيه خصائص الدولة من سلطات مدنية و ممارسة السلطة الفعلية على جزء من التراب الوطني و خضوع قواتها المسلحة لأوامر سلطة مسؤولة والالتزام بمراعاة أحكام الاتفاقيات[2].

---

[1] اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام من قبل المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد القانون الدولي الإنساني المنطبق علي المنازعات المسلحة وتطويره وذلك بتاريخ 8 حزيران/يونيه 1977. تاريخ بدء النفاذ: 7 كانون الأول/ديسمبر 1978، وفقا لأحكام المادة 23.

[2] رواب جمال، نطاق تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني، net/t1443-topic http://sciencesjuridiques.ahlamontada، مقال منشور بتاريخ 15 سبتمبر 2010، تاريخ الاطلاع: 28 سبتمبر 2018.

فالشروط تجعل من المادة الثالثة المشتركة إطارا تشريعيا يمكن الاستناد إليه لتقييم سلوك الأطراف المتنازعة وإجبارها على احترام القواعد العامة الدنيا للقانون الدولي الإنساني التي نصت عليها هذه المادة، وبذلك تضمن حماية حياة غير المشاركين في النزاع وسلامة شخصهم وكرامتهم والعناية بالجرحى والمرضى من أطراف القوات المتنازعة، لذلك يمكن لهيئة إنسانية دولية كاللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تعرض خدماتها ومساعداتها على أطراف النزاع.

2- الإطار الفقهي الإسلامي للمادة الثالثة المشتركة:

مصطلح النزاع الداخلي المسلح مصطلح حديث لم يكن متداولا عند فقهاء المسلمين ولا نجده في مؤلفاتهم حينما يتحدثون عن قواعد الحروب وما يجب مراعاته زمن الحرب وبعدها، وذلك راجع للطبيعة السياسية للدولة الإسلامية وقواعد الحكم في إطاريها الداخلي والخارجي، إضافة إلى مفهوم الأمة الذي كان يطلق على الدولة الإسلامية والذي كان يحمل معان سياسية تظهر من خلالها معالم الحكم وعلاقة الحاكم مع رعيته ومع بقية الدول، هذا المعنى الذي كان يدل على أن الدولة الإسلامية تجاوزت الإقليم الجغرافي المحدد لتشمل جماعة إنسانية تشترك في الولاء للدين الإسلامي أينما وجدت، وتقر بالحكم لشخص واحد يتمثل في خليفة المسلمين.

إن هذا المفهوم البسيط للدولة الإسلامية جعل إطار النزاعات المسلحة الداخلية ضيقا مرتبطا أساسا بالولاء للدين الإسلامي؛ فوردت أحاديث حول الأحكام المتعلقة باقتتال المسلمين مع بعضهم البعض وبأساليب فض النزاعات وكيف يتم معاملة الوضع بالطرق الشرعية إذا وقع ذلك على أساس أنه نزاع داخلي، أما إذا كان النزاع بين مسلم وغير مسلم فهو نزاع خارجي أو دولي وإن كانت الفئة أو الطائفة التي قامت ضد الدولة داخلة ضمن إقليم الدولة الإسلامية.

والأساس الشرعي للنزاع الداخلي في الفقه الإسلامي يعود إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: 09].

هذه الآية التي تعتبر أصلا في باب النزاعات الداخلية تشير إلى وقوع الاقتتال بين طائفتين من المسلمين، وإذا استعرضنا تاريخ الوقائع والأحداث التي شهدتها الدولة الإسلامية نجد أن الاقتتال بين المسلمين لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: وهي ما يطلق عليه في الفقه الإسلامي بالبغي وهو: "الخروج عن طاعة إمام الحق بغير حق"[1]

ويشترط فيمن يخرج عن الإمام حتى يكيف وضعهم بأنهم أهل بغي ما يلي:

1- مخالفة الإمام.

[1] ابن الهمام، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 99/6.

2- أن تكون المخالفة بخروج عليه وترك الانقياد له أو منع حق توجب على المخالف.

3- أن يكون المخالف ذا شوكة.

4- أن تكون المخالفة بتأويل.

5- أن يكون فيهم مطاع.[1]

الحالة الثانية: أن تطلب الفئة المسلمة التي لها الولاية والشوكة والمنعة من الفئة الأخرى التي تحكمها، إقامة شرع الله وتنفيذ حدوده، فتأبى ذلك أو بعضه، فتحاربها وتقاتلها لإقامة دين الله وقد وقع لأبي بكر (ت: 13هـ) رضي الله عنه بعضٌ من ذلك، حين قاتل مانعي الزكاة وقال قولته المشهورة : "وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ"[2]، وهو نصٌّ قطعي الدلالة في هذا الموضوع.

فالنزاع الداخلي في الفكر الإسلامي قائم على أساس ديني، لكن يطلب به رئاسة وملك لذلك كان يسمى من يبدأ بالنزاع في الصدر الأول من الدولة الإسلامية بأهل التأويل؛ أي أن نزاعهم قام على أساس تأويل خاطئ لنصوص دينية.

ولقد بين الله سبحانه إجراءات فض النزاعات الداخلية في الآية المذكورة آنفا بشكل عام وهي تجمع أحكام ما يقع من اقتتال بين الطوائف والجماعات في الدولة الواحدة، وليست مقصودة لمعالجة مسألة الخروج عن الحاكم بتأويل وإن اعتبرت أصلا لمسألة البغي؛ لأن الأحكام المتعلقة بمسألة الخروج عن الحاكم أو ما يسمى بالبغي ذكرها الفقهاء بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفصلوا فيها وبالتحديد في زمن الفتنة أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد جاء في تفسير القرطبي: "إنَّ حكمة اللَّه تعالى فِي حرب الصَّحابة التَّعريف منهم لِأحكام قتال أَهل التَّأويل، إذا كان أحكامُ قتال أهل الشّرك قد عرفت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله"[3].

والاقتتال بين المؤمنين، حسب أسلوب الآية، نادر الوقوع يدل عليه حرف "إن" كما قال الإمام الرازي "وإِنْ إشارةٌ إلى ندرةِ وقوعِ القتال بين طوائف المسلمينَ، فإن قيل فنحنُ نرى أكثرَ الاقتتالِ بينَ طوائفهم؟ نقولُ قولهُ تعالى: (وَإِنْ) إشارةٌ إلى أنَّه ينبغِي أن لا يقعَ إلَّا نادرًا"[4].

فالآية الكريمة التي تعد أصلا من أصول الإجراءات المتبعة لفض النزاعات الداخلية أشارت إلى أن الاقتتال إذا وقع بين طرفين فلا بد من تدخل طرف ثالث محايد وقد يكون الدولة بهيئاتها الدفاعية، أو جماعة معروفة بالإصلاح، ويكون التدخل بداية باستعمال الوسائل السلمية والمتمثلة في الإصلاح بين

---

[1] شهاب الدين الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، ط أخيرة[1404هـ/1984م]، 402/7

[2] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم: 20.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.2 [1384هـ/ 1964م]، 315/16.

[4] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.1 [1420 هـ]، 104/28

الطرفين المتنازعين ويكون الإصلاح بينهما كما ذكر المفسرون بالدعوة إلى حكم كتاب الله عزّ وجلّ والرضى بما فيه لهما وعليهما[1] كما أنه يكون بِالنَّصِيحَةِ أَوِ التَّهدِيدِ والزَّجر والتَّعذيب[2]، ذكره الإمام الرازي في تفسيره.

فَإن حَصَل بعد الصلح التعدِّي من إحدى الطَّائفتيْنِ على الأُخرى، ولم تقبل الصُّلحَ، ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أَن يقاتلوا هذه الطَّائفة الباغيةَ حتَّى ترجعَ إلى أمر اللَّه وحكمه، والبغيُ المقصود به هنا كما قال الطاهر بن عاشور هو: الظلم والاعتداء على حق الغير، وهو هنا مستعمل في معناه اللغوي وهو غير معناه الفقهي، فـ " التي " تبغي هي الطائفة الظالمة الخارجة عن الحق وإن لم تقاتل لأن بغيها يحمل الطائفة المبغي عليها أن تدافع عن حقها، وإنما جعل حكم قتال الباغية أن تكون طائفة لأن الجماعة يعسر الأخذ على أيدي ظلمهم بأفراد من الناس وأعوان الشرطة فتعين أن يكون كفهم عن البغي بالجيش والسلاح[3].

وقتال الفئة الباغية يستمر إلى أن تفيء أي تعود إلى حكم الله ورسوله، وقيل إلى أن تعود إلى الصلح الذي كان بينهما قبل الاعتداء وفي قول الله تعالى "حَتَّى تَفِيءَ" إشارة إلى أنّ القتالَ ليس جزاءً للباغي .. بلِ القتالُ إلى حدِّ الفيْئة، فإن فاءتِ الفئة الباغيةُ حرُمَ قتالُهم[4].

فالقتال إذن يتوقف بمجرد فيء الطائفة الباغية وعودتها للاحتكام إلى أمر الله، ويكون حينئذ الإصلاح بين الطائفتين بالعدل وَلَمْ يُذكرِ العَدلَ فِي قَولِهِ "وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا"؛ لأنَّ الإصلاحَ هناك بإِزالةِ الاقتتال نفسه، وذلك يكون بالنَّصيحة أو التَّهديد والزَّجر والتَّعذيب، والإصلاح هاهنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمانِ المتلفاتِ، فكأنَّه قال: واحكموا بينهما بعد تركهما القتالَ بالحقّ وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما، لئلَّا يؤدِّيَ إلى ثورانِ الفتنةِ بينهما مرَّةً أخرى[5].

فبعد توقف القتال تكون المحاكمة بالعدل بين الطائفتين المتقاتلتين لرد الحقوق إلى أصحابها ولرفع الشبهات التي كانت سببا في الاقتتال ورفع البغضاء والثأر كي نتجنب وقوع الاقتتال مرات أخرى.

نرى أن منهج الفقه الإسلامي كان واضحا في معاملته مع النزاعات الداخلية ووضع إجراءات محددة ودقيقة تبدأ بالصلح وتنتهي بالصلح لضمان بسط الأمان والسلم على المجتمع الواحد داخل الدولة الواحدة.

3- المعاملة الإنسانية أثناء النزاع المسلح الداخلي في الفقه الإسلامي:

إن النزاع المسلح الداخلي في الوقت الحالي وحسب ما حددته قواعد القانون الدولي يختلف في أحكامه عن النزاع الداخلي الوارد في كتب الفقه الإسلامي والذي ذكر أحكامه الفقهاء في مصنفاتهم تفسيرا

---

[1] ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1 [1422 هـ]، 147/4.

[2] تفسير الرازي، المرجع السابق، 104/28.

[3] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 238/26. و فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط.1 [1414 هـ]، 240/27.

[4] تفسير الرازي، المرجع السابق 104/28.

[5] المرجع نفسه، 104/28.

للآيات القرآنية التي تناولت القواعد العامة للتعامل مع النزاعات المسلحة الداخلية أو ما ورد من اجتهادات لفقهاء الصحابة والتابعين بعد وقوع النزاعات الداخلية زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويكمن الاختلاف في أن نطاق النزاع الداخلي كما جاء في كتب الفقه الإسلامي محدود ومعروف وهو مرتبط أساسا بالاقتتال على أساس ديني ويشترط وجود حاكم مسلم يكون بيده إعادة السلم والأمن بإعانة جماعة من المسلمين، أما الاقتتال في النزاع الداخلي الحالي فنطاقه معقد وغير محدود؛ فقد تشترك فيه جماعات كثيرة ذات مرجعيات فكرية مختلفة، كما أنه محدود بنطاق جغرافي يمثل الدولة التي يحدث فيها النزاع مما يجعل أمر التدخل لفض النزاع سواء بالطرق السلمية أو غيرها أمرا غاية في التعقيد، فتكون حصيلة الضحايا الأبرياء كبيرة جدا دون وجود وسيلة ناجعة لحمايتهم.

لكن مع ذلك يمكن أن نقول أن النزاع الداخلي حسب الفقه الإسلامي وحسب قواعد القانون الدولي تشترك أحكامه في أن هناك قتالا دائرا بين طرفين أو أكثر يجمعهم شيء مشترك قد يكون الإقليم الجغرافي كما هو عليه الحال في القانون الدولي، وقد يكون الولاء للدين كما هو عليه الشأن في أحكام الفقه الإسلامي، إضافة إلى أن الشيء المشترك بين المنظومتين الفقهية والقانونية هو أنه يوجد داخل هذا النزاع من لا يشترك فيه وهم المدنيون بمختلف فئاتهم، لذا كان لا بد من التكلم حول مصير هؤلاء المدنيين الذين لا دخل لهم في الصراع وحول آليات حمايتهم.

نجد بأن قواعد القانون الدولي بشأن النزاعات الداخلية تشترك مع قواعد الفقه الإسلامي في بعض شروط اعتبار النزاع داخليا حتى يُتمكن من تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني، هذه الشروط تتمثل فيما يلي:

1- أن يكون للطرف المناهض للحكومة المركزية تنظيم عسكري فيه قيادة مسؤولة عن سلوك مرءوسيها وله نشاط في أرض معينة و يكفل احترام الاتفاقيات، وهو الذي جاء في الفقه الإسلامي بمعنى أن يكون فيهم مطاع وهو الرئيس الذي يعودون إليه في تدبير شؤونهم القتالية.

2- لجوء الحكومة الشرعية إلى القوات العسكرية لمحاربة الثوار، وهو نظير الأمر بالقتال الوارد في الآية القرآنية الآنفة الذكر.

3- اعتراف الحكومة بصفة المحاربين للثوار، أو الاعتراف بأنها في حالة حرب أو إقرارها صفة المحاربين للثوار بهدف تنفيذ الاتفاقيات أو عرض النزاع على أحد هياكل الأمم المتحدة، وهو نظير ما جاء في أحكام الآية المذكورة في القتال بعد الصلح والمفاوضات وهو إشارة إلى اعتبار أن الجماعة التي لم تقبل الصلح تعتبر محاربة.

4- أن يكون للثوار نظام تتوفر فيه خصائص الدولة من سلطات مدنية و ممارسة السلطة الفعلية على جزء من التراب الوطني و خضوع قواتها المسلحة لأوامر سلطة مسؤولة و الالتزام بمراعاة أحكام الاتفاقيات، وهذا كله تشير إليه أقوال الفقهاء في أحكام البغي وكيفية معاملة البغاة.

لكن ما ورد في الفقه الإسلامي ولم يتم التطرق إليه في القانون الدولي هو الأحكام التي يجب مراعاتها بعد انتهاء الاقتتال وهو الصلح والمحاكمة بالعدل وإعادة كل شيء إلى نصابه واتخاذ كافة الإجراءات لضمان الاستقرار التام وعدم وقوع النزاع ثانية والذي قد يكون ناشئا عن البغضاء وحب الانتقام والثأر.

فإذا وقع الاقتتال بين طرفين أو أكثر في إقليم واحد بالشروط المذكورة سابقا لا بد أن يتم مراعاة القواعد الإنسانية المشتركة سواء العرفية منها أو التعاقدية، وقد ذكر فقهاء الإسلام جملة من القواعد التي تراعى أثناء النزاعات المسلحة، منها ما هو عام متعلق بالحروب التي تخوضها الدولة الإسلامية مع أعدائها الخارجيين أو ما يسمى بالنزاع المسلح الدولي ومنها ما يتعلق بالنزاعات المسلحة الداخلية.

ففي النزاعات المسلحة الدولية ذكر الفقهاء أحكاما تتعلق بالقانون الدولي الإنساني منها ما ذكره ابن رشد في قتل النساء والصبيان حيث قال: "لا خلاف بينهم (أي بين الفقهاء) في أنه لا يجوز قتل صبيانهم ولا قتل نسائهم ما لم تقاتل المرأة والصبي، فإذا قاتلت المرأة استبيح دمها، وذلك لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان وقال في امرأة مقتولة: "ما كانت هذه لتقاتل".[1] [2]

وذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني أنه يُكره قتل أشخاص معينين إذا لم يشتركوا في القتال؛ لأن علة القتل التي هي القتال تكون حينئذ منتفية فقال: "ولا ينبغي أن يقتل النساء من أهل الحرب ولا الصبيان ولا المجانين ولا الشيخ الفاني لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تعتدوا ﴾ [البقرة: 190]، وهؤلاء لا يقاتلون[3]، لكن إذا قاتلوا وجب قتالهم وهو مجمع عليه بين الفقهاء، قال الإمام النووي: "أجمع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون وأما شيوخ الكفار فإن كان فيهم رأي قتلوا"[4].

أما في النزاع الداخلي فالأمر بالقتال موجه نحو الطائفة التي اعتدت وبغت ورفضت إجراءات الصلح، قال تعالى: "فقاتلوا التي تبغي" والقتال محدد بانتهاء البغي، لذلك ينبغي اتباع القواعد العامة للقانون الدولي الإنساني، يقول القرطبي في تفسيره: ولا يُقتل أسيرهم ولا يُتبع مدبرُهم ولا يُذَفَّف[5] على جريحهم، ولا تسبَى ذراريهم ولا أموالُهم[6].

وجاء في حاشية الدسوقي في الفقه المالكي: وأن يَكُفَّ عن مُدبِرهم ولا يجهز على جريحهم ولا تقتَلُ أسراهم ولا تُغنَم أموالهم ولا تُسبَى ذراريهم ولا يستعان عليهم بمشرِكٍ ولا تنصبُ عليهم الرَّعَّاداتُ (أي المنجنيق) ولا تحرقُ مساكنهم ولا يُقطَع شجرهم[7].

---

[1] رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء.

[2] ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت، ط.1، 1427ه/2006م، ص360.

[3] السرخسي، شرح كتاب السير الكبير للشيباني، تح: أبو عبد الله محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، [1417ه - 1997م]، 186/4.

[4] شرح النووي على صحيح مسلم، المرجع السابق، 48/18.

[5] تذفيف الجريح: الإجهاز عليه .

[6] تفسير القرطبي، 315/16

[7] الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، [د.ت]، 299/4

وفي استعمال الوسائل الحربية والأسلحة لم يكن الأمر على إطلاقه بل جاء مقيدا، يقول ابن قدامة في المغني: "ولا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه، كالنار، والمنجنيق، والتغريق، من غير ضرورة؛ لأنه لا يجوز قتل من لا يقاتل، وما يعم إتلافه يقع على من يقاتل ومن لا يقاتل، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مثل أن يحتاط بهم البغاة، ولا يمكنهم التخلص إلا برميهم بما يعم إتلافه، جاز ذلك، وهذا قول الشافعي، وقال أبو حنيفة : إذا تحصن الخوارج، فاحتاج الإمام إلى رميهم بالمنجنيق، فعل ذلك بهم ما كان لهم عسكر، وما لم ينهزموا، وإن رماهم البغاة بالمنجنيق والنار، جاز رميهم بمثله"[1].

فالمعاملة الإنسانية إذن ضرورية في حالة النزاعات الداخلية مثلما هو الحال في النزاعات ذات الطابع الدولي، ويجب على طرفي النزاع مراعاتها، وما يتم إتلافه خلال النزاع من نفس أو مال لا يضمن عند جمهور الفقهاء، أما ما كان قبل القتال أو بعده يضمن واشترطوا لذلك أن يكون الإتلاف عن تأويل أو أن تكون الطائفة كثيرة العدد أي ذات منعة وقوة وتنظيم يقول الزمخشري: إن كانت الباغيةُ من قلَّة العدد بحيث لا منَعَةَ لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت، وإن كانت كثيرة ذات منَعَة وشوكة لم تضمَن [2].

وهذا يعطينا فكرة أن ما يسمى بحرب العصابات أو الصراعات الداخلية المتفاوتة والمترامية هنا وهناك والتي تقوم بها جماعات قليلة لا ترجع إلى تنظيم ولا يعلم مرادها من دخول النزاع لا تعامل معاملة الطائفة أو الجماعة الذي تكون منظمة وترجع إلى قيادة معينة، فما يقع من أحداث متفرقة تقع مسؤوليتها على المتسببين في إحداث النزاع وإتلاف الأنفس والأموال.

ويشترط للتدخل وجود جماعة محايدة هي التي تسعى إلى حل النزاع وتتدخل بالقوة إذا لزم الأمر ذلك وتسمى هذه الجماعة أهل العدل، ولم يرد في الفقه الإسلامي ما يفيد أن التدخل يكون خارجيا لفض النزاع بل ورد صراحة أنه لا يستعان عليهم بمشرك أي بخارج عن دائرة الأمة الإسلامية، معنى ذلك أن تسوية النزاع تكون داخلية مع الأخذ بعين الاعتبار المعنى الواسع للفظ الأمة الإسلامية.

خاتمة:

إن المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربعة إضافة إلى البروتوكول الثاني الملحق يعدان بمثابة اتفاقيتين مصغرتين تخصان حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة الداخلية بعدما أصبحت هذه النزاعات الأكثر انتشارا في وقتنا الحالي والأكثر غموضا من حيث معرفة أطراف النزاع ومعرفة طرق تسوية المنازعات، خاصة وأن التدخل من أجل تسوية النزاع يتعارض مع مبدأ السيادة مما يجعل مبدأ حماية المدنيين أكثر تعقيدا من حيث التطبيق؛ زيادة على أن قواعد القانون الدولي الإنساني لا يمكن أن تجد لها أرضية للتطبيق سوى إذا تحددت هوية الأطراف المتنازعة وكانت هذه الأخيرة قادرة على الاستجابة لبنود الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية حقوق الإنسان أثناء الحرب.

---

[1] ابن قدامة المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، [د.ط]، [1388هـ - 1968م]، 529/8.

[2] تفسير القرطبي، 315/16.

مبدأ حماية المدنيين أثناء أي نزاع مسلح يظل قائما سواء كان النزاع ذي طابع داخلي أو دولي، لكن الحرص على حماية المدنيين في النزاعات المسلحة ذات الطابع الداخلي يزداد نظرا لما تخلفه مثل هذه النزاعات من أضرار على الأشخاص من غير أطراف النزاع و على ممتلكاتهم دون التمكن من التدخل لأجل تقديم المساعدات لهم وحمايتهم بشكل يجعل هيئات المساعدة الدولية تقوم بأعمالها الإنسانية دون خوف.

في هذا السياق وبالرجوع إلى أحكام الفقه الإسلامي في جانبه المتعلق بالعلاقات الدولية وقواعد الحرب نجد أن الفقهاء تطرقوا لمثل هذه النزاعات من حيث التكييف الشرعي لها ومن حيث حماية غير المقاتلين ومن ليس لهم علاقة بأطراف النزاع وهم من يسمون بالمدنيين، مستندين إلى الآيات القرآنية العامة والأحاديث النبوية وآثار الصحابة رضي الله تعالى عنهم وخاصة في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما، ونجد أن الآية التي تعتبر أصلا في أحكام النزاعات المسلحة الداخلية هي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: 09]، حيث نصت على الإجراءات المتبعة في إخماد نار الحرب بطريقة ينتهي بها النزاع بشكل دائم مع ضمان عدم العودة إلى النزاع بدافع الثأر أو الانتقام وذلك بالبدء بالصلح والانتهاء به، إضافة إلى حصر النزاع بين أطرافه ومنع تعديه إلى غير المقاتلين حماية للمدنيين من إلحاق الضرر بهم دون سبب.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- الكتب:

- ابن الجوزي (1422هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط.1، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الدسوقي المالكي (د.ت.ط) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، بيروت، دار الفكر.
- الرازي فخر الدين (1420 هـ) مفاتيح الغيب، ط.1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن رشد (1427هـ/2006م) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: هيثم جمعة هلال، ط.1، بيروت، مؤسسة المعارف.
- الرملي شهاب الدين (1404هـ/1984م) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ط أخيرة، بيروت، دار الفكر.
- السرخسي (1417هـ - 1997م) شرح كتاب السير الكبير للشيباني، تح: أبو عبد الله محمد الشافعي، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الشوكاني(1414 هـ) فتح القدير، ط.1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن قدامة المقدسي (1388هـ - 1968م) المغني، القاهرة، مكتبة القاهرة.

- القرطبي (1384هـ/ 1964م) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2 القاهرة، دار الكتب المصرية.
- النووي يحيى بن شرف (1392هـ) صحيح مسلم بشرح النووي، ط.2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن الهمام، فتح القدير، بيروت، دار الفكر.

2- **الوثائق الدولية:**

- اتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949
- البروتوكول الثاني الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في 12 آب / أغسطس 1949المتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية.

3- **المواقع الإلكترونية:**

- رواب جمال، نطاق تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني، http://sciencesjuridiques.ahlamontada.net/t1443-topic، مقال منشور بتاريخ 15 سبتمبر 2010

اكتساب اللغة بين النظرية البنيوية والنظرية الفطرية

أ.أسماء بن منصور
جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة

الملخص:
يعالج هذا المقال قضية هامة في حقل تعليمية اللغة وهي قضية اكتساب اللغة الأم عند الطفل مستعرضا أهم الاتجاهات الفكرية التي تناولت الموضوع؛ المتمثلة في: الاتجاه البنيوي في علم النفس الذي يمثله عالم النفس السويسري جان بياجيه والاتجاه الفطري في علم اللغة الحديث الذي يمثله اللغوي الأمريكي نوام تشومسكي .
وقد حاول هذا المقال أن يقف عند أهم النقاط التي تمايزت بها كل نظرية عن الأخرى واعتمدتها في تفسير اكتساب اللغة مع تحديد آليات اشتغال كل نظرية ساعيا لتبيان مواطن الاختلاف بين النظريتين.
الكلمات المفاتيح: اكتساب اللغة، البنائية، الفطرية، جان بياجيه، تشومسكي، جهاز اكتساب اللغة، آليات التشغيل.

Abstract:
This article deals with an important issue in the field of Language learning, the issue of acquisition of the mother tongue in the child. It reviewed the most important intellectual trends on the subject: the structural approach in psychology represented by the Swiss psychologist Jean Piaget and the innate tendency in linguistics represented by the American linguistics Noam Chomsky.
This article attempted to stand at the most important points that distinguished each theory from the other one and adopted it in interpreting the acquisition of language and determining the mechanisms of each theory to seek to indicate the differences between the two theories.
Key words: language acquisition, structuralism, innate, Piaget Jean, Chomsky, language acquisition device, operating mechanisms .

يولد الإنسان مع قدرة فطرية على اكتساب اللغة، مزودا بجهاز تصويت متمثلا في أعضاء النطق المسؤولة عن إنتاج الكلام، وتشمل هذه الأعضاء: (الأوتار الصوتية، الحنك الأعلى والحنك الأسفل، اللسان، التجويف الأنفي، الجدار الخلفي للحلق، اللثة، الأسنان، الشفتان، اللهاة، الحنجرة، الرئتان والحجاب الحاجز). غير أن هذه الأعضاء تنحصر وظيفتها الأولى في التصويت ؛ أي إصدار الأصوات وهذه الأصوات لابد أن تكون اصطلاحية ومفهومة لدى المستمعين ولا يتأتى ذلك للإنسان إلا من خلال قدرته الذهنية على استيعاب وفهم ما يصدره من أصوات؛ بمعنى آخر أن الأطفال يولدون أيضا بقدرة ذهنية على إنتاج اللغة وتفهمها. "ويأتي دور اللغة كعنصر بنائي أساسي في حياة الطفل ... واللغة هي أساس التعليم، والإنسان الذي يتعلمها هو إنسان نام وقادر على مواكبة مراحل النمو باستمرار. وذلك لأنّ اللغة تعتبر نتيجة من نتائج النمو،

ومؤدية إلى زيادته في نفس الوقت. وهذا مما يجعلها مظهرا من مظاهر الشخصية الإنسانية، عاملا هاما من عوامل نموها وبنائها.

كما أن تعلم اللغة يعتبر مفتاحا من مفاتيح المعرفة الحاضرة والمستقبلية، فهي تفتح أمام الطفل آفاقا واسعة وشاملة " [(1)]

وقد حظي موضوع اكتساب اللغة باهتمام دارسين وباحثين في حقول معرفية عديدة كعلم النفس وعلم اللغة ولذا آثرنا أن نقدّم في هذا المقال تصور ما جاء عند أبرز النظريات في هذين الحقلين ويتعلق الأمر بالنظرية البنيوية المعرفية في علم النفس والنظرية الفطرية في علم اللغة وهنا يتوجب علينا أن نتساءل: ما هو تصور كل من النظريتين لاكتساب اللغة؟

- **أولا. النظرية البنيوية لجان بياجيه**

جان بياجيه هو فيلسوف وعالم نفس سويسري وهو رائد المدرسة البنيوية في علم النفس، ذاع صيته بفضل نظريته المعرفية التي تبحث مسألة النمو المعرفي عند الإنسان، ويَعُدُّ بياجيه اكتساب اللغة من بين عناصر هذا النمو فبفضلها يمكن للطفل أن يتعرف على العالم. وتعرف نظريته الآن **بعلم المعرفة الوراثية**. وقد أنشأ بياجيه عام 1965 مركز **نظرية المعرفة الوراثية أو المركز العالمي للإبستمولوجيا التكوينية** في جنيف وترأسه حتى وفاته.

قام جان بياجيه بعدة تجارب " بغية التوصل إلى معرفة ولادة الذكاء ونموه عند الطفل من ناحية والتعرف إلى مراحل تكوين المعرفة في الذهن " الابستمولوجيا" من ناحية أخرى . " [(1)]

كما سعى إلى تكوين علم المعرفة وجعله علما مستقلا عن الفلسفة وقد "خصص لفكر الطفل واليافع الصفحات العديدة من الملاحظات الدقيقة حول نمو وتكوين المعرفة في ذهن الإنسان، وبذلك يمكننا اعتباره بلا نزاع أكبر عالم نفساني معاصر اهتم بالنمو المعرفي، وهو يرى أن أبحاثه النفسية هي حاصل جزئي من إنتاجه العام الذي حاول بواسطته وضع قوانين شبه ثابتة للنمو الذهني والمعرفي لدى الإنسان بشكل عام. " [(2)] وقد وجه كل جهوده لمعاينة ودراسة الواقع لأجل وضع قوانين تحدد النمو المعرفي لدى الإنسان. وفي " مؤلفاته الأولى طرح بياجيه مسألة تأسيس منهج معرفي بإمكانه التعرف إلى المسائل الإبستمولوجية الكبرى. كيف تنمو معارفنا؟ " [(1)] وكانت أهم الأسئلة التي بحث فيها هي: كيف تتكون البنيات المنطقية لدى الطفل؟ وكيف تعمل هذه البنيات؟ ما هي أساليب المعرفة التي يستخدمها الطفل لمعالجة المعضلات التي تطرأ عليه؟

يرى بياجيه أن النمو المعرفي لدى الطفل يمر بأربع فترات هي:

---

(1) عبد الفتاح أبو معال، **تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2000، رام الله، ص(8)

(1) موريس شربل، **التطور المعرفي عند بياجيه**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، 1986، لبنان، ص (18)

(2) المرجع نفسه، ص 19

(1) المرجع السابق، ص 20

- **الفترة الحسية الحركية:** وتبدأ من الولادة وتستمر حتى 18 أو 24 شهرا. و يعتقد بياجيه أن الأطفا يملكون قدرات ذهنية يسميها مخططات العمل(action schemas)، وهذه القدرات الذهنية تمكنهم من استيعاب (assimilate) وإدراك العالم الخارجي .

يصف جان بياجيه الذكاء الحسي الحركي بأنه دون " تفكير أو تمثيل، دون كلام ولا مفاهيم...ينقصه حتما الوظيفة الرمزية التي تتيح له تمثيل ذلك بصور ذهنية أو التعبير بصورة كلامية . من هنا نتناول الذكاء المحدد بوجود الشيء والمواقف والأشخاص . والوسيلة إلى ذلك هو الإدراك الحسي فقط . إلا أنّ هذا الذكاء السريع النمو في هذا المستوى، خلافا لأي مرحلة أخرى، يهيئ البنى المعرفية الأساسية للذكاء اللاحق، من هنا تبدو أهميته القصوى في مجال النمو التكويني للفرد. " [(2)]

وهو ذكاء " عملي بشكل أساسي . فهو يتجه نحو النجاح أكثر منه نحو الحقيقة . فالوصول إلى حلّ المسائل (حسب تجارب بياجيه، الوصول إلى الأشياء البعيدة أو المخبأة مثلا) يتحقق بفضل بناء نظام من الصور الذهنية المعقدة وتنظيم الواقع حسب مجموعة بنيات ذهنية – فراغية مرتبطة بالأسباب - وهكذا ندلي بنوع من المميزات التي تطلق على الحالة الشبه منتهية أو حالة التوازن... هناك مجموعة استيعابات أو عناصر ارتباط تتكون بين مظاهرها عند الولادة ومظاهرها في عمر 18 شهرا وذلك بتكوين بنية شاملة علينا أن نتبع مراحلها المتتابعة كي نستطيع تصورها بأصح رؤية ممكنة . فالذكاء الحسي – الحركي هو إذن نوع من التعبير الذي يكشف عن سياق التكوين وعن حالة التوازن في النهاية. "[(3)]

وحسب جان بياجيه فإن الطفل دون الخمس سنوات فإنه يدرك العالم بطريقته الخاصة، وهو غالبا ما يعجز عن فهم واستيعاب مفهوم الانعكاسية، فهذه التراكيب من نحو: " إذا كنت أخا لجان إذن جان يكون أخي أو إذا كنت أبا لهادي فإن هادي يكون ابني " [(1)] يعجز الطفل دون الخامسة على استيعابها بينما يفهمها الراشدون بيسر.

لم يقم بياجيه " بتجارب على المولودين الجدد إلا بعد أن قام بتجارب عديدة على الأطفال الكبار في المدارس. فهو يبحث عند هؤلاء الأطفال جذور ضعف الاستدلال المنطقي الخاص بين 3 و5 سنوات"[(2)] وقد قادته تلك التجارب إلى أول مرحلة من النمو لدى الإنسان المتميزة بأهمية التناسق الحركي، ولهذا أطلق على هذه المرحلة اسم **المرحلة الحسية الحركية .** "بهذه المرحلة يصل الطفل إلى السيطرة على جسمه؛ فمن التناسق بين العين واليد يبدأ التوصل إلى ذاكرة كافية لمتطلبات أفعاله وإلى اجتياز عتبة " التمثيل الرمزي " الذي سيتيح له الكلام بالفعل. " [(3)].

[(2)] المرجع نفسه ص 109

[(3)] المرجع نفسه، ص 109

[(1)] المرجع السابق، ص 109

[(2)] المرجع نفسه، ص 31

[(3)] المرجع نفسه، ص 31

وما يميز هذه المرحلة استعداد الطفل لبناء أولى إرهاصات لغته من خلال قيامه " بحركات بسيطة في الأيام الأولى من حياته، كأن يحرك عينيه تجاه الصوت الذي يسمعه، أو اتجاه الصورة التي تمر من أمام ناظريه، وهي في الغالب تكون أصوات أفراد أسرته مثل الأم، الأب، وبقية أفراد الأسرة الذين يعيشون معه في البيت، ثم يحرك رأسه أيضا باتجاه الصوت الصادر عن أفراد الأسرة . ولكن هذه الحركات مجردة عن التعبير بأي شكل من أشكال التعبير اللغوي، لأن الطفل يكون عاجزا عن الكلام بسبب النمو، وبسبب عدم تكون بدايات القاموس اللغوي عنده. " [4]

إن للبيئة المحيطة بالطفل أهميةً بالغة في عملية اكتساب اللغة وترسيخها في الذهن، وهي بمثابة المنبع الذي يقدم المادة الأولية للطفل. كما أنها المسؤولة عن بناء علاقات الطفل الاجتماعية وتزويده ما يسميه علماء النفس بـ " الذكاء الاجتماعي"، ويرى جان بياجيه أن "معرفة الإنسان تتكون من علاقته بالبيئة الاجتماعية والمادية أي من عالم الناس والأشياء (والخبرة). ولكي يحصل التعلم ينبغي وجود إنسان سوي يتفاعل مع البيئة . وهنا يعني بالإنسان السوي عملية الموازنة أو التوازن التي من شأنها أن تجعل الفرد ينظم المعلومات المتناثرة في نظام معرفي غير متناقض . وهي لا تحصل نتيجة ما يراه الإنسان بل إنها تساعده على فهم ما يراه انطلاقا من هذه القدرة التي تنبع من الوراثة والتكوين البيولوجي (التوازن) يستطيع الفرد تدريجيا الاستدلال على الكيفية التي يجب أن تكون عليها الأمور في محيطه." [1]

للبيئة الاجتماعية والمادية إذن أهمية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها أثناء بناء الإنسان لمكتسباته في المرحلة الحسية الحركية.

" وممّا لا شكّ في أهمّيته أن يتمّ تغذية الطفل جيّدا وحبّه بإخلاص، وأن يتمّ توفير المساحات الملائمة لتحركاته واستطلاع الأدوات المناسبة للعبه في تلقائية تامّة. ولكنّه من الضروري التوضيح والتذكير بأنّ العلاقة مع الأشخاص ومع الأشياء تتم عن طريق الكلمة.

فالأسرة تغذي الصغير وتلهيه وتداعبه أو تريه اللعب والأثاث المنزلي والواقع البيئي باستخدام لغة الكلام على نطاق واسع. كما أنّه يدرك الأحداث ويتعامل مع الأشياء ليس في صمت القبور ولكن بين مجموعة من الأشخاص يشجّعونه ويوجّهونه في نشاطه المتواصل من الفهم والمناورة حتّى – وأحيانا بالذات – عن طريق الكلمة.

وبالتالي فإنّ اللغة تقدم العالم للطفل في صورة منظّمة ومنسّقة وفي الوقت نفسه تكون بمثابة أداة لبلورة ذكائه واندماجه الاجتماعي" [2]

- **فترة ما قبل الإجرائية** : وتبدأ هذه الفترة من السنة الثانية وتستمرّ إلى غاية السنة السابعة، وتتميز لغة الأطفال في هذه المرحلة بالنمو السريع وذلك لنمو قدراتهم الذهنية ومما لا شكّ فيه أنّ القدرات الذهنية

---

[4] عبد الفتاح أبو معال، **تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال**، ص 13

[1] موريس شربل، **التطور المعرفي عند بياجيه**، ص 82

[2] سيرجيو سبيني، **التربية اللغوية للطفل**، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، مرا: كاميليا عبد الفتاح، دار الفكر العربي، 2002، القاهرة، ص 8

ومنها الذكاء "يتمّ على قدم المساواة مع النضج اللغوي، وبتحديد أكثر فإنّ الكلمة هي عامل مؤثّر جدًّا في التربية العقلية، فلغة الكلام تحفّز وتبلور القدرة على الملاحظة والتحليل والمقارنة والتصنيف والاستنتاج وتمثيل الماضي والتنبؤ بالمستقبل، واللغة أيضا هي الوسيلة الأولى التي يتم عن طريقها نقل الثروة الثقافية إلى الأجيال الجديدة التي بدورها تنميتها بمساهماتها الخاصة." [1]

وبذلك يهيئ نموّ القدرات الذهنية للأطفال؛ تلك التي يسميها بياجيه بـ "المخططات العقلية" للأطفال الاستيعاب بسرعة فائقة، حيث يكتسب الأطفال كلمات جديدة ويتعلم من مواقف عديدة لترتقي لغته بعد ذلك إلى مستوى الرمزية مما يتيح لهم التعبير عن مشاعرهم المختلفة، واستحضار لغويا مواقف عديدة وقعت في الماضي، كما تمكنهم من التعبير عن الأحداث التي قد تقع مستقبلا.

- **فترة الإجرائية المحسوسة: و**"فيها يطوّر الأطفال قدراتهم على التفكير الاستدلالي لكن هذا الاستدلال يبقى محدودا ضمن نطاق ما يشاهده الطفل في هذه السن على الأشياء الفعلية ولا يصل إلى مستوى التجريد"[2].

ويهتمّ الأطفال في هذه المرحلة بكلّ ما يحيط بهم خاصّة الجمادات فيعتقدون أنّها حيّة، وفي هذه المرحلة تتّسم لغتهم بالأنانية لأنّهم لا يرون الأشياء إلاّ من خلال منظارهم الخاصّ.

- **فترة الإجرائية الصورية**: وتبدأ من سن 7 وتسمترّ إلى غاية سنّ البلوغ، ويستطيع الطفل خلال هذه الفترة من " القيام بعملية ما بناء على ما توصلوا إليه في عملية أخرى أي أن تفكيرهم قد تسامى فوق حدود استخدام الأشياء كمحتوى وحيد للتفكير. " [3]

لقد قسم بياجيه هذه الفترة إلى قسمين رئيسيين:

" فترة **العمليات الملموسة** وفترة **العمليات الشكلية**، ولغة الأطفال في هذه الفترة تشي بنمو تفكيرهم من عدم النضوج إلى النضوج، ومن عدم المنطقية إلى المنطقية وتصبح اللغة أكثر اجتماعية وتحتوي على أسئلة وإجابات، أوامر ونواهي وانتقادات أيضا." [1]

إنّ البالغين حسب بياجية "يتحدّثون إلى أنفسهم عبر خطابات داخلية نفسية Monologue، ومنهم من يجعل هذه المناجاة الداخلية مسموعة وكأنّهم بذلك يقومون باستدعاء سامعين وهميين، كما يفعل الأطفال في استدعاء رفقاء اللعب Playfelows، وفي هذه المناجاة الفردية فهم يهيئون أنفسهم للانخراط في المحادثات الاجتماعية، والطفل شبيه بالبالغين في هذا المقام، فهو في تكراره لمناجاته الفردية يقوم بنوع من السلوك

---

[1] المرجع السابق، ص 9

[2] موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 83

[3] المرجع نفسه، ص 49

(1) Kelvin Seifert and Rosemary Sutton, Educational Psychololgy, Second Edition, The Global Text. Zurich. Switzerland. Pp . 47 - 50

الذي سيمهّد له بالتكيف مع الآخرين. في هذه الحالة هو يتحدث إلى نفسه للتدرب ومن ثم يكيف نفسه للانخراط في أحاديث أكثر اجتماعية." [2]

أنواع المعرفة:

تحدث بياجيه في كتاباته عن نوعين من المعرفة هما: المعرفة الشكلية **الصورية والمعرفة الإجرائية**. أما المعرفة الشكلية فهي " تنبئ بمعرفة المثيرات بمعناها الحرفي مثلا: يرى الرضيع حلمة زجاجة الرضاعة فيبدأ بمصها – والولد يرى سيارة أبيه قادمة فيسرع ويفتح له باب المنزل. ومعرفة الأشكال تعتمد على التعرّف على الشكل العام للمثيرات ومن هنا جاءت تسميتها بالمعرفة الشكلية وهذه المعرفة لا تنبع من المحاكمة الفعلية. أما معرفة الإجراء أو الفعل فإنها تنبع من المحاكمة الفعلية وهي المعرفة التي تتوصل إلى الاستدلال في أي مستوى من المتسويات.

بصورة عامة تهتم المعرفة الإجرائية بالكيفية التي تتغير بها الأشياء بالانتقال من حالتها السابقة إلى حالتها الراهنة. أما المعرفة الشكلية فتهتم بالأشياء في حالتها الساكنة وخلال لحظة زمنية ثابتة. " [3]

ومع مرور الوقت تزداد قدرة الطفل على استخدام المعرفة الإجرائية تاركا وراءه جوانب المعرفة الشكلية التي ميزت تفكيره في المراحل الأولى لحياته.

- **ثانيا. النظرية الفطرية لتشومسكي:**

عندما قَدِم تشومسكي إلى حقل اللسانيات في الخمسينيات كان أول ما قام به هو رفض مبادئ السلوكيين والتجريبيين حول اللغة، وهاجمهم هجوما عنيفا منتقدا آراءهم في وصف اللغة الإنسانية والعقل الإنساني على السواء، فاللغة حسبه " تحمل لنا معلومات ثمينة عن عقلية المتكلم والسامع وحالتهما النفسية والاجتماعية والفكرية، وهو ما لا يمكن للمثيرات والاستجابات المتعددة أن تنقله إلينا، أو نقوم باستخلاصها منها. أنّ السلوكية تسلب الإنسان خصائص ماهيته ووجوده، المتمثلة في العقل والإبداع وحرية الإرادة والتحكم والتصرف. " [1]

لقد رفض تشومسكي رفضا قاطعا تلك التجارب التي كان يجريها السلوكيون على الحيوانات "تجارب واطسون وثورندايك وسكينر " وربطها بتفسير اكتساب اللغة الإنسانية، فحسب رأيه " إن تعلم الإنسان للغة لا يتم عن طريق الإشراط الذي يتطور من سلسلة الاستثارة والاستجابة (الفعل ورده) والتعزيز كما يقول بذلك السلوكيون من علماء النفس وكذلك من أخذ برأيهم من اللسانيين ومنهم البنيويون الأمريكان عموما... ولعل عرض تشومسكي لكتاب سكينر skinner" **السلوك الكلامي** " يقدم بشكل واضح وجلي تفاصيل المشكلات التي يثيرها الافتراض السلوكي لاكتساب اللغة ومعرفتها." [2]

---

[2] Jean Piaget , The Language and Thought of The Child, Translated by: Marjorie and Ruth Gabian, Volume 5, Third Edition , London and New york, 1959, p. 1

[3] موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 83

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000، بيروت، ص 32

[2] مرتضي جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، 2002، عمان، ص 32

انطلق تشومسكي - حسب نظريته النحو الكلي - من عدِّ ذهن الإنسان ذي قدرات خلاقة ومبدعة وهو يشتمل على الملكة اللغوية The Language Faclty التي اعتبرها وحدة من وحدات العقل المسؤولة عن إنتاج اللغة، فإليها يعود الفضل في ظهور اللغة عند الإنسان، وهي هبة جينية متوارثة أبا عن جد يولد الطفل مزودا بها بيولوجيا.

وإذا كان الفلاسفة قد حاولوا " على مر العصور توضيح ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات فوصفوه مرة بعد أخرى بأنه " كائن عقلاني "و" حيوان سياسي" " وحقيقة مفكرة" و" عنصر حر" ... فإنّ العديد من الباحثين في شتى نواحي المعرفة من علم النفس إلى علم التربية ومن علم الاجتماع إلى علم اللغة ،قد أجمعوا على أنّ القدرة اللغوية هي الصفة الأسمى التي تميز الإنسان." [1]

يقول تشومسكي " أنّ الملكة اللغوية تشتمل على : النظام الحوسبي، مبادئ النحو الكلي ومتغيراته وقاموس معجمي خاص بكل لغة إنسانية. غير أنّ الأطفال لا يولدون مزودين بكل مكونات الملكة اللغوية، فملكتهم لا تحتوي بعد على القاموس المعجمي والمتغيرات، بل إنّ ملكتهم اللغوية تكون في حالتها الأولية المبدئية التي لا تشتمل سوى على النحو الكلي أي على المبادئ فقط." [2]

ومن ثم فإنّ اكتساب اللغة حسب تشومسكي هو نقل **للحالة الأولية المبدئية** إلى **الحالة المستقرة الثابتة**، ولكن ذلك لا يتم إلا عبر عدة مراحل . فالطفل حسب نظرية النحو الكلي لا يولد إلا بالثوابت أو المبادئ وهي كما أكد عليها تشومسكي سمة وراثية.

يميز تشومسكي بين نوعين من اللغة، الأولى يطلق عليها اسم " اللغة المجسدة" وهي تقابل مفهوم الكلام عند دوسوسير أما الثانية فيطلق اسم " اللغة المبنية داخليا" ويقابلها ما يطلق عليه تشومسكي بالبنية العميقة. وعندما يحاول أن يقدم نموذجا تفسيريا لاكتساب اللغة يلجأ لمفهومي اللغة المجسدة External language واللغة المبنية داخليا Internal Language، فيرى أنّ الحالة الأولية للغة إذا ما توافرت لها التجربة الحسية التي يقدمها المجتمع للطفل فإنها تتحول عندئذ من الحالية المبدئية إلى الحالة المستقرة .

يمنح تشومسكي أهمية قصوى للدماغ في عملية الاكتساب، فإذا كانت البيئة الاجتماعية مسؤولة عن تقديم المادة اللغوية للحالة الأولية فإنّ الفضل الأكبر في عميلة اكتساب اللغة يعود إلى الدماغ /العقل، وفي ذلك يقول تشومسكي: " فربّما يكمن مصدر هذه المعرفة من حيث المبدأ، في بيئة الطفل، أو قد تكون متأصلة في روافد العقل /الدماغ المحددة أحيائيا، وبصورة أدق، في أحد مكونات العقل/ الدماغ الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية Language Faculty وبتفاعل هذه العوامل، ينتج نظام المعرفة الذي يستخدم في إنتاج الكلام وفهمه. وإذا عددنا العوامل البيئية مؤثرا في اكتساب هذه المعرفة، فلا مناص من

---

[1] سيرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، ص (7)

[2] Cook, Comsky’s Universal Grammar, An Introduction, Third Edition, Blackwell publishing, 1988, Oxford: Basil p. 49

القول بأن العقل/ الدماغ هو الذي يحدد الطريقة التي تعين بها المعلومات الضرورية التي تُستنتج بواسطة نوع معين من العمليات التي هي جزء من روافد العقل /الدماغ المحددة أحيائيا . " [1]

ومع أنّ للبيئة دورا مهما في عملية اكتساب اللغة غير أنّ تشومسكي يرفض رفضا قاطعا أطروحات السلوكيين القائلة بأنّ الطفل يولد صفحة بيضاء و أنّ البيئة والمحيط الخارجي هما ما يكسبانه اللغة من خلال مبدأي المثير والاستجابة، ويؤكد على فطرية اللغة وبنياتها اللغوية فهو من أنصار الاتجاه العقلي الذي يستقي أسسه المعرفية من الفلسفة العقلية التي يمثلها أفلاطون وديكارت، ويرى بأنه ليس هناك قوانين خارجية تتحكم في عملية الاكتساب بل إنّ عميلة الاكتساب تحكمها قوانين داخلية تنبع من البنية المعرفية الداخلية.

وفي هذا الصدد يفرق بين ثلاثة عوامل مسؤولة عن اكتساب اللغة وهي:

1 - **الملكة اللغوية الفطرية** : وهي هبة بيولوجية يولد الأطفال مزودين بها.

2- **عمليات التعلم**: النشاط الذهني الذي يحدث أثناء عملية الاكتساب.

3 - **التجربة اللغوية**: ويقدمها المجتمع للملكة اللغوية كي تنتقل من حالتها الأولية إلى الحالة المستقرة.

ويرى تشومسكي أنّ المشكلة تكمن في فرز هذه العوامل وتعيينها، فإذا كان على يقين من وجود العامل الثالث وهو التجربة اللغوية التي تبدو جلية من خلال وجود اللغات الإنسانية المختلفة، ومن وجود الملكة اللغوية المحددة جينيا فإنّ كيفية حدوث عمليات التعلم لا تزال غامضة.

في كتابه Accept Of The Theory Of Syntax [1] عالج تشومسكي مسألة اكتساب اللغة مقدما مفهوما افتراضيا أطلق عليه اسم " **جهاز اكتساب اللغة** (LAD) Language Acquisition Device "، زاعما أنّ هذا الجهاز أشبه بالصندوق الأسود (Black box) الذي يقوم بوظيفة استقبال المعلومات Dataمن المحيط الاجتماعي وهذه المعلومات يسميها تشومسكي بالمداخل The input ويُخرج أخرى يسميها أثناء عملية الكلام بالمخارج The output.

إنّ جهاز اكتساب اللغة (The LAD) هو أداة افتراضية ماثلة في الدماغ تساعد الأطفال على تعلم اللغة بسرعة وفهمها. استخدم تشومسكي هذا المصطلح ليعبر عن القدرة المذهلة للطفل على اكتساب المهارات اللغوية رابطا إياها بالفهم الفطري للقواعد والنحو اللذين يمتلكهما سابقا.

ويدعي تشومسكي أنّ كل طفل قد ولد مزودا بهذا الجهاز الذي يحمل القواعد الأساسية لجميع اللغات الإنسانية، هذه القواعد هي نفسها ما اصطلح عليه لاحقا بمبادئ النحو الكلي أو The Principles التي تميز الحالة الأولية للملكة اللغوية.

---

[1] تشومسكي، **المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها**، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، (ط1) ، 1993، القاهرة (مصر)، ص 29

[1] Noam Chomsky, Aspects of The Theory of Syntax , Second printing, December, 1965, Third printing , November, 1966, The M. I. T Press, Cambridge, Massachusetts, The United States of America, p . 58

حينما يتعرض الأطفال للمادة اللغوية المقدمة لهم من طرف ذويهم الذين يقدمون لهم المعلومات اللغوية الأولى The primary linguistic data يقومون بتخزين هذه المعلومات Data في صناديقهم السوداء أي في جهاز اكتساب اللغة LAD، ثم يقومون باكتساب الكفاءة اللغوية للغة معينة (النحو التوليدي) في أذهانهم. ويمكن للباحث أن يستدل على العمليات التي تحدث داخل جهاز اكتساب اللغة من خلال إجراء مقارنة دقيقة بين اللغة التي تدخل - المادة التي تنشأ منها المعرفة اللغوية- وبين المعرفة اللغوية التي تستخدم أثناء الكلام- النحو التوليدي-

إنّ الكفاءة اللغوية الناتجة والتي تنشأ من جهاز اكتساب اللغة LAD تتألف من قواعد صيغت في هيئة المبادئ principles والمتغيرات Parameters، ولذلك فإنّ المعرفة التي يحتاج الطفل لاكتسابها تتألف من تموضع المتغير الرئيس أو متغير الرأس head paramater. إنّ القواعد تحتوي على المتغير المناسب وآلاف المداخل المعجمية التي تحدد كيف تتصرف الكلمة داخل الجملة.

يمكّن جهاز اكتساب اللغة حسب النظرية الفطرية الأطفال من تحليل الأصوات اللغوية وإنتاجها وتأويلها أيضا، وتمكنهم تلك القواعد العامّة أو النحو الكلي من التفاعل مع المواد اللغوية المتاحة من إنتاج اللغات الإنسانية الممكنة.

ومن هنا ندرك أنّ تصوّر تشومسكي لاكتساب الأطفال للغة يخالف تماما تصور بياجيه، فاللغة فطرية لديه والطفل يمتلك فطريا جهازا يمكنه من اكتساب اللغات البشرية الممكنة كما أنه مزود بملكة لغوية تحوي النحو الكلي، أما بياجيه فلا يسلم بوجود النحو الكلي الذي زعم تشومسكي أنه هبة بيولوجية تولد مع الإنسان وأنه المسؤول عن اكتساب اللغة، ويرى أنّ الطفل يحتاج لأطر عقلية لاكتساب أي معرفة ومن ضمنها اللغة، ولكن هذا لا يعني أن تكون هذه الأطر فطرية، ما يعني أن بناء المعرفة داخل ذهن الإنسان حسب بياجيه يمرّ بأربع مراحل هي المراحل الأربع التي عرضناها سابقا، والتي تعدّ المرحلة الأولى القائمة على الحواس والحركة هي قاعدتها الأساسية التي تؤدّي فيما بعد إلى مرحلة التصوّرات الذهنية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- سبيني، (2002) التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، مرا: كاميليا عبد الفتاح، مصر، دار الفكر العربي.

2- أبو معال، (2000) تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، (ط1)، رام الله (فلسطين المحتلة)، دار الشروق للنشر والتوزيع.

3- باقر، (2002)، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، عمان (الأردن)، دار الشروق.

4- تشومسكي، (1993)، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، (ط1) ، القاهرة)مصر)، دار الفكر العربي .

5- شربل، (1986)، التطور المعرفي عند بياجيه، (ط1)، لبنان، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

6- مصطفى غلفان، (2000) في اللسانيات العامة، (ط1)، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

7-Chomsky, (1965) Aspects of The Theory of Syntax , Second printing, December,The M. I. T Press, The United States of America , Cambridge, Massachusetts.

8-Cook,)1988) Chomsky's Universal Grammar , An Introduction, Third Edition, Oxford: Basil, Blackwell publishing.

9-Demirbuken, The Universal Grammar Approach: UG, Marara University of ELT Ma programme, (2013), istanbul, from: http://fr.slideshare.net/buckey/the-universal-grammar-approach.

10- Piaget ,(1959) , The Language and Thought of The Child, Translated by: Marjorie and Ruth Gabian, Volume 5, Third Edition , London and New york.

11- Seifert and Sutton, Educational Psychololgy, Second Edition, Zurich. Switzerland , The Global Text.

علاقة إستراتيجيات تسيير الموارد البشرية في المرفق العام بالجزائر في خلق ميزتها التنافسية
- دراسة حالة الديوان الوطني للحليب و مشتقاته بالمنطقة الصناعية تلمسان-

د. بن منصـور إلهـام
جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان

الملخـص:

تهدف الدراسة إلى قياس مساهمة استراتيجيات تسيير الموارد البشرية للمرافق العمومية على تحقيق الميزة التنافسية دراسة حالة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان وتمثلت استراتيجيات التسيير في "التخطيط، البرامج التدريبية، الحوافز والمكافآت و تطوير المسار المهني للموظف، أما مجتمع الدراسة فتمثل في العاملين في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان وتم أخذ عينة عشوائية مقدارها 100 استبانة , تم استرداد منها 85 استبانة صالحة لاختبار فرضيات الدراسة وتحقيق أهدافها للتحليل الإحصائي وتم استخدام برنامج الحزمة الإحصائيةSPSS ،وتوصلت الباحثة إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية لاستراتيجيات تسيير للموارد البشرية على تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة.

الكلمات المفتاحية:التسويق الداخلي، المرفق العام، الموارد البشرية، التخطيط، التدريب، الحوافز، الميزة التنافسية.

Abstract :

The study aims at measuring the contribution of human resources management strategies to public utilities to achieving competitive advantage. The study of the state of the National Corporation for Milk and its derivatives in Tlemcen The strategies of management were in "planning, training programs, incentives and rewards and developing the professional path of the employee. 85 samples were used to test the hypotheses of the study and achieve its objectives for statistical analysis. The statistical package program SPSS was used, and the researcher found that there was an effect Statistical significance of human resource management strategies to achieve the competitive advantage of the institution.

Keywords: internal marketing, general facility, human resources, planning, training, incentives, competitive advantage.

مقدمة:

تواجه المرافق العمومية و على راسها المؤسسات الإنتاجية التابعة للدولة حاليا ظاهرة المنافسة والتطورات التكنولوجية المتسارعة فيما بينها من جهة و مع القطاع الخاص من جهة أخرى ، والتي حدثت بطريقة فجائية وسريعة تجاوزت قدرات المنظمات على التكيف مع الواقع، الأمر الذي جعل تلك المؤسسات

تسعى جاهدة إلى إيجاد سبل فعالة لمواجهة التحديات الخارجية في سبيل المحافظة على بقائها وزيادة فاعليتها، حيث تعمل هذه الأخيرة جاهدة على زيادة كفاءتها وتحقيق نجاحها، وذلك بالتركيز على كفاءة العنصر البشري وذلك بإيجاد أفضل العناصر المؤهلة والقدرات المناسبة حتى تتمكن من ضبط الأداء وتحقيق الأهداف الإستراتيجية مما دفع المؤسسات للقيام وبشكل مستمر بالتعرف على حاجات ورغبات العاملين والتي من شأنها تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة العمومية.

وعليه يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية للورقة البحثية:

الإشكالية المطروحة :

- **ما مدى مساهمة إستراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية في المرافق العمومية في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة العمومية؟**

ومن التساؤل الرئيسي يقودنا البحث إلى طرح جملة من التساؤلات الفرعية التالية الذكر:

الأسئلة الفرعية:

- ما أهم إستراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية في المرافق العمومية؟
- ما مدى اهتمام المسؤولين بتطوير استراتيجيات الموارد البشرية في المرفق العام لمواجهة المنافسة السوقية؟
- ما طبيعة العلاقة الموجودة بين استراتيجيات تسيير الموارد البشرية في المرفق العام و تحقيق الميزة التنافسية؟

فرضيات البحث:

لقد قمنا صياغة فرضية رئيسية مفادها:

- يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجيات تسويق الموارد البشرية على تحقيق الميزة التنافسية.

محاور الدراسة:

ولأجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية فإن ورقتنا البحثية قد إنطوت على الأقسام التالية:

- القسم الأول:أساسيات حول التسويق الداخلي للموارد البشرية في المرافق العمومية.
- القسم الثاني: عموميات حول الميزة التنافسية للمؤسسة.
- القسم الثالث: دراسة ميدانية حول دور استراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية في تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان.

منهجية البحث:

إن المنهج الذي إرتكزنا عليه في هذه الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي وذلك باعتباره المنهج الأنسب لمعالجة هذا الموضوع،حيث عملنا على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلقة بالموضوع،ثم قمنا بتحليلها بشكل دقيق للتوصل إلى إجابات منطقية و علمية حول الموضوع محل دراستنا.

أهداف البحث:

تمثلت أهم الغايات التي رمينا إليها من خلال بحثنا في التالي:

- توفير لكل من الطلبة والمهتمين وصناع القرار مصدرا للمعلومات لا يقتصر على الجانب العلمي فحسب ،بل يتعدى إلى اعتماده كقاعدة لإرساء إستراتيجيات تسويق الموارد البشرية لتحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات العمومية.
- لفت الانتباه إلى أهمية التفاعل بين تسويق الموارد البشرية و الميزة التنافسية للمؤسسات الجزائرية العمومية.
- وصف المسير الذي يهمل تطوير استراتيجيات تسويق الموارد البشرية في عمله بالمسير التقليدي الذي يعيش وراء أصوار مؤسسته وليس بالقائد الإستراتيجي الذي يعرف ما يحيط بها من قوى تنافسية لابد من إيجاد حلول لها وعدم تجاهلها.
- مواجهة المنافسة المتفاقمة في السنوات الأخيرة بين مختلف المؤسسات الاقتصادية يتطلب إعطاء الأهمية للموارد البشرية المتاحة لها والعمل على تطويرها.

القسم الأول:أساسيات حول التسويق الداخلي للموارد البشرية في المرافق العمومية.

1- مفاهيم حول التسويق الداخلي:

1-1- ماهية التسويق الداخلي:

ليس هناك تعريف موحد ومتفق عليه للتسويق الداخلي، ولكن هناك العديد من المحاولات والأفكار، لتقديم مفهوم لتعريف التسويق الداخلي، حيث يرى بعض الباحثين أن أول ظهور لهذا المفهوم كان مع بداية الخمسينات بواسطة مديري الجودة ا ليابانية، وهو ينظر للأنشطة التي يؤديها العاملون على أنها منتجات داخلية، وأن المنظمة يجب أن تركز اهتماماتها على احتياجات العاملين وتحاول إشباعها من خلال الأنشطة التي يؤديها الأفراد، لكي تضمن قوى عاملة ذات كفاءة عالية تساهم في إرضاء الزبائن.[1]

غير أن أدبيات ا لتسويق الداخلي تؤكد أن تبلور وبروز هـ ذا المفهوم كان مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات ,ومنذ ذلك الحين والعديد من المؤلفين والباحثين يقدمون إسهامات ومقاربات حيث عرف التسويق الداخلي على أنها إعتبار الموظفين كز بائن داخلين والوظائف منتجات داخلية , وجب تصميها لإرضاء رغبات وحاجات الزبائن الداخليين في اتجاه تحقيق أهداف المنظمة[2]"

[1] حامد شعبان ،أثر التسويق الداخلي كمدخل لإدارة الموارد البشرية على مستوى جودة الخدمة الصحية بالمستشفيات التابعة للهيئة العامة ،للتأمين الصحي بالقاهرة الكبرى ،مجلة المحاسبة و الإدارة و التأمين، كلية التجارة، جامعة القاهرة، العدد60،2003 ، ص 2 .

[2] M.Dunmore, Inside-Out Marketing, how to create on internal marketing strategy, kagan page, London (UK),2002. P19.

و بغية إظهار أوجه أنشطة التسويق الداخلي عرف كل من بيري و برشورمان التسويق الداخلي على أنه " العمل على جذب، تطوير، تحفيز(.Berry&Parasurman 1991) والاحتفاظ بالموظفين المؤهلين من خلال الوظائف التي تشبع حاجاتهم، التسويق الداخلي هو فلسفة معاملة الموظفين على أنهم زبائن داخليين وإستراتيجية لتشكيل الوظائف كمنتجات تلبي الحاجات الإنسانية[1].

و عرف الأستاذ جونسون و آخرون1986 التسويق الداخلي على أنه " جهود منظمة الخدمات من أجل تزويد كل أعضائها بالفهم الجيد لرسالة و أهداف المنظمة، من خلال التدريب و التحفيز و التقييم لإنجاز الأهداف المرغوبة[2]".

1-2- مراحل تطور مفهوم التسويق الداخلي:

من خلال مراجعة أدبيات التسويق الداخلي،يتضح بأنه توج د ثلاثة أشكال مختلفة تؤشر التطور و التقدم الذي عرفه مفهوم التسويق الداخلي و هي:[3]

- المرحلة الأولى:إرضاء و تحفيز الموظف.
- المرحلة الثانية:التوجه بالمستهلك.
- المرحلة الثالثة:إدارة التغيير و تنفيذ الاستراتيجيات.

أ- مرحلة إرضاء و تحفيز الموظفين:

أغلب الإسهامات التي تناولت مفهوم التسويق الداخلي في هذه المرحة (بيري و زملاؤه) كانت تركز على النقاط التالية:

- الموظفين كمستهلكين داخلين.
- الوظائف كمنتجات داخلية .
- تحفيز وإرضاء الموظفين .

من أجل جعل الموظفين أكثر استعدادا لبذل الم زيد من الجهود لإرضاء الزبائن و تحسن جودة الخدمات التي تقدمها منظماتهم.

ب- مرحلة التوجه بالمستهلك:

الخطوة الثانية التي عرفها تطور مفهوم التسويق الداخلي، كانت مع إسهامات *كرونروس* ،حيث أشار إلى الدور الذي يلعبه موظفو الخط الأمامي) عمال الاتصال في إدارة العلاقة مع الزبائن لكونهم مسؤولين عن إشباع

[1] Taniver Ahmed Minar,et AL, Internal marketing: A strategic Tool to Achieve inter-functional Coordination in the context of manufacturer of industrial Equipment, Daffodil international University Journal of Business and Economics, Vol3, January 2008, P174

[2]Gudmundson,A, Lundberg,C, Internal marketing: A way of Improving Quality, electronic page,p2

[3] Ahmed.P.K, Rafiq.M. , Internal marketing: Tools and concepts for customer-Focused managemet, Butterworth-Heinmann, (NY),P11-10.

حاجات و رغبات الزبائن، أو المستهلكين من خلال عملية التفاعل تتم بينهم والتي تتيح للمنظمة فرص تسويقية هامة.

من أجل الاستفادة من الفرص التسويقية المتاحة، يجب أن تعمل المنظمة على أن يكون لديها:

- موظفين لديهم توجه بالمستهلك و السوق.
- موظفين لديهم عقلية بيعيه.
- وجود تكامل وتناسق و مختلف الوظائف داخل المنظمة) يقصد موظفو الخط الأمامي و الخط الخلفي من تفعيل العلاقات مع الزبائن.

ت- مرحلة إدارة التغيير و تنفيذ الإستراتيجية:

و في هذه المرحلة يذه ب الباحثين، إلى اعتبار التسويق الداخلي، كوسيلة للتنفيذ الفعال للاستراتيجية و قد كان وينتر1985 أول من ناد ي بالدور المحتمل للتسويق الداخلي لإدارة الأفراد، نحو تحقيق أهدا فالمنظمة، و يعرف التسويق الداخلي كمايلي" هو تخطيط و تعليم و تحفيز العاملين، اتجاه تحقيق أهداف المنظمة، من خلال العملية التي تمكن الأفراد من فهم و إدراك ليس فقط قيمة البرنامج الذي تقدمه المنظمة، ولكن أيضا معرفة دورهم في البرنامج.[1]

1-3- أهمية التسويق الداخلي للمؤسسة:

يعد التسويق الداخلي طريقة إدارية،تهدف إلى الوصول إلى الزبائن من خلال تطوير و تحفيز أفراد المنظمة بالقيام مهامهم على أكمل وجه أثناء الاتصال بالزبائن،و تطبيق فلسفة الإدارة و الجودة في أداء الخدمات من قبل جميع أعضاء المنظمة بالطريقة التي تحقق الجودة و رضاء الزبائن.

أ- إدارة التغيير : قد تعتمد المنظمة إحداث تغيرات كبيرة، مثل أن تقرر رفع مستوى الأرباح بنسبة كبيرة جدا من 3 % إلى 30 % على سبيل المثال، أو إدخال أنظمة جديدة داخل المنظمة مثل تكنولوجيات المعلومات،أو غيرها من التغييرات الكبرى و التي عادة ما تكون غير مخططة بمعنى فيها نوع من المفاجأة و الاندفاع، أو تفرضها ظروف معينة، و هنا يلعب التسويق الداخلي دور مهم في قبول و إنجاح هذه التغييرات.

ب- بناء الصورة العامة[2] : حسب ريتشارد نورمان تعد صورة المنظمة أحد العناصر الأساسية من بين خمسة عناصر قطاع السوق، مفهوم الخدمة، صورة المنظمة، نظام التسليم، ثقافة المنظمة في نظام إدارة منظمة الخدمة، و الصورة هي بمثابة أداة إعلامية تستعملها المنظمة للتأثير على الموظفين، سوق التوظيف، الزبائن، المتدخلين الآخرين في النشاط مثل حملة الأسهم أو مالكون أخرون للموارد ...بهدف :

- التموقع الاستراتيجي.
- دخول السوق بفاعلية.
- تسهيل الوصول إلى موارد متنوعة أو على الأقل بأقل تكاليف.

[1] Ahmed.P.K, Rafiq.M Op, Cit p7.

[2] ريتشارد نورمان، **إدارة الخدمات**، ترجمة عمرو الملاح، مكتبة العبيكان، الرياض 2000 ،ص ص254 ،255.

4-1- أهداف التسويق الداخلي للمؤسسة:[1]

يهدف التسويق الداخلي إلى تحقيق الأتي:

- ✓ مساعدة العاملين على فهم واستيعاب رسالة المنظمة وأهدافها ونظام وأساليب العمل المطبقة داخل المنظمة.
- ✓ تحفيز العاملين وإثارة دافعتيهم نحو إنجاز وظائفهم بكفاءة،و تغير مواقفهم و سلوكياتهم تجاه الزبائن وخاصة من هم على اتصال مباشر مع الزبائن.
- ✓ اكتساب التزام الموظفين اتجاه خطط و استراتيجيات و ثقافة المنظمة.
- ✓ إدارة التغيرات للانتقال من الطريقة التي اعتدنا عمل الأشياء بها إلى العمل بالطريقة التي نرغب القيام بها حتى نحقق النجاح.
- ✓ يعمل على المساعدة في بناء ثقافة تنظيمية ترتكز على خدمة الزبون و جودة الخدمة وبذلك فهو يؤدي إلى الحفاظ على معايير الجودة في تسليم الخدمات.

5-1- أبعاد التسويق الداخلي:

من خلال ما تضمنته الدراسات السابقة لوحظ أنه يوجد تعدد واختلاف حول تبنيهم لممارسات وأبعاد التسويق الداخلي، حيث لا يوجد نموذج موحد ومحدد يعكس ما يندرج ضمنه، وعليه حاولت هذه الدراسة أن تبرز أهم الأبعاد التي تطرقت إليها الدراسات الآنفة الذكر، والتي تخدم أهداف البحث وهي كالآتي:

أ- التمكيــن:

عرفه Bruce[2] (Bruce,2003,p28) أنه" أسلوب إدارة يشترك من خلاله المدراء وأعضاء التنظيم الآخرون للتأثير في عملية اتخاذ القرار التي لا تحدد بمواقع القوة الرسمية بقدر ما تحدد بنظم منظمة التدريب والمكافأة والمشاركة في السلطة وأسلوب القيادة والثقافة التنظيمية"، كما يشير في مواقع اتخاذ القرار وتشجيع مشاركتهم يساهم في زيادة الاستجابة السريعة لأي تغيرات في البيئة وبهذا يساهم في زيادة الرضاء الوظيفي"، وإذا ما اختارت أي منظمة تمكين عامليها يمكنها أن تحقق النتائج التالية :

*سرعة استجابة العامل لاحتياجات العملاء، وكذلك العمل على حل مشاكل العملاء باعتبار الموظفين لديهم المعرفة

والصلاحية للتصرف في الوقت المناسب.

*زيادة تفاعل الموظفين مع العملاء الخارجيين.

*اتساع نظرة الموظف وذلك فيما يخص عمليات الخدمة وبهذا يكون مصدراً للأفكار الجيدة لتطوير الخدمة.

ب- البرامج التدريبية:

---

[1] محمد فريد الصحن،قراءات في إدارة التسويق، الدار الجامعية،الإسكندرية، 2002 ، ص408

[2] Bruce, Manuela, 2003"Measuring Empowerment", Leadership & Organization Development Journal, Vol.. 24, NO. 2.

تؤكد كل ممارسات التسويق الداخلي تقريباً على أهمية التدريب للموظفين" خاصة في الخط الأمامي لأنهم يحتاجون إلى زيادة المعرفة والقدرة وكذا بهدف حل المشاكل لضمان خدمات ذات جودة عالية كذلك تم تعريفها بأنها " العملية التي تستهدف تعليم الموظفين الجدد المهارات الأساسية لأداء ، وظائفهم كما ينظر إلى التدريب في أثناء الخدمة على أنه عملية نمائية تتصف بالاستمرارية والنظامية والتكاملية تتمركز بصورة رئيسية حول الأدوار الآنية والمستقبلية التي يضطلع بها
المتدربون في ضوء الاحتياجات والمستجدات، وفي ضوء ما تفسر عنه عمليات التشخيص وتقويم الأداء الدوري للمتدربين.

ت- **الحوافز والمكافآت:**

إذا كان الأجر أو المرتب هو المقابل الذي يحصل عليه الفرد كقيمة للوظيفة التي يشغلها، فإن الحافز هو العائد الذي
يحصل عليه كنتيجة للتميز في الأداء وبالتالي نجد أن تطبيقات المنظمة لممارسات التسويق الداخلي هو الاهتمام بموظفيها ولا تطلب منهم فقط بل كذلك تجازيهم.[1]

ث- الاتصال الداخلي:

يعرف الاتصال الداخلي على أنه" شبكة العمل التي يمكن من خلالها جمع وانتقال المعلومات وهي عملية ضرورية لصنع القرار الفعال، بالإضافة إلى إسهامه في خدمة العملاء بجودة عالية، فيوفر جمع المعلومات الضرورية للموظفين"، مع تيسير عملية انتقالها بحيث تكون خالية من التعقيد، والعمل على تفعيل العلاقة بين الطرفين المتصلين[2].

2- إطار شامل حول الموارد البشرية وإستراتيجيات تسييرها:

2-1- مفهوم الموارد البشرية:

هناك العديد من التعاريف للمورد البشري ومن أبرزها نجد:

الموارد البشرية: "هي طاقة ذهنية وقدرة فكرية ومصدر المعلومات والاقتراحات و الابتكارات وعنصر فاعل وقادر على المشاركة الايجابية بالفكر والرأي فالمورد البشري من أهم عناصر العمل والإنتاج لأنه هو الذي يقوم بعملية الإبداع والابتكار"[3]

الموارد البشرية: "هي مجموعة الأفراد و الجماعات التي تكوّن المؤسسة في وقت معين،ويختلف هؤلاء الأفراد فيما بينهم من حيث تكوينهم،خبرتهم،سلوكهم،وطموحهم كما يختلفون في وظائفهم،مستوياتهم الإدارية ومساراتهم الوظيفية"[4]

2-2- ماهية إدارة الموارد البشرية:

---

[1] ماهر، أحمد ، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية،2003،ص102.

[2] منصور، إياد شوكت، إدارة خدمة العملاء، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ،2008،ص66..

[3] عمر وصفي عقيلي،"إدارة الموارد البشرية المعاصرة- بعد استراتيجي-"،دار وائل للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،الطبعة الأولى،2005،ص11.

[4] حمداوي وسيلة،إدارة الموارد البشرية،مديرية النشر لجامعة قالمة،الجزائر،2004،ص 25.

إدارة الموارد البشرية: "مجموع الأنشطة والجهود الإدارية التي تسعى لحصول المنظمة على احتياجاتها من الموارد البشرية وتطويرها و تحفيزها والحفاظ عليها من اجل تحقيق الأهداف التنظيمية بأعلى مستوى من الكفاءة والفعالية."[1]

2-3- استراتيجيات المسير في التصرف في الموارد البشرية في الوسط المهني:

إن استراتيجيات إدارة الموارد البشرية جزء أساسي ومهم ولا يتجزأ من الاستراتيجيات العامة للمؤسسة التي تعمل من خلالها على تحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها وتعود جذور كلمة"إستراتيجية"إلى الحضارة اليونانية وتعني "علم الجنرال" أي فن القيادة والإدارة في المؤسسات المعاصرة.[2]

كما يعرف **بورتر**: "الاستراتيجية هي البحث عن الميزة التنافسية بخلق الملاءمة بين أنشطة المؤسسة والتكيف مع البيئة"[3]

وحتى يتمكن المسير من تحقيق أهداف المؤسسة المسطرة لابد أن يعتمد على جملة من الاستراتيجيات الفعالة لإدارة الموارد البشرية التي تحتويها المؤسسة وعليه نجد من ابرز السياسات والاستراتيجيات نجد:

أ- استراتيجية التخطيط (التكوين):[4]

نعني بإستراتيجية التخطيط:أو ما يسمى بالتكوين "عملية تحديد وضمان حصول المنظمة على احتياجاتها من العمالة المؤهلة والمدربة في الوقت المناسب للقيام بالوظائف التي تعرضها المؤسسة وتحقيق الرضا الكامل لهؤلاء الأفراد المتقدمين بمهاراتهم لشغل هذه الوظائف".

إذن إستراتيجية التخطيط يعمل المسير من خلالها على احتياجات المؤسسة من العنصر البشري للقيام بأعمالها ووظائفها من حيث المواصفات اللازم توفرها في العامل،العدد المطلوب الذي تحتاج إليه...

ب- استراتيجية التدريب :

يمكن تعريف التدريب على انه"الجهد المنظم والمخطط له لتزويد الموارد البشرية للمنظمة بمعارف معينة

وتحسين وتطوير مهاراتها وقدراتها وتغيير سلوكها واتجاهاتها بشكل ايجابي بناء مما قد ينعكس على تحسين الأداء في المنظمة.[5]

يقصد باستراتيجية التدريب للموارد البشرية: "عملية إجراء تغييرات دائمة بشكل نسبي في قدرات الفرد مما يساعد على أداء الوظيفة بطريقة أفضل"[6]

---

[1] سامح عبد المطلب عامر،" استراتيجيات إدارة الموارد البشرية"،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،الطبعة الأولى،1432ه/2011م،ص 15.

[2] عبد العزيز صالح بن حبتور،"الإدارة الإستراتيجية"،دار المسيرة للنشر والتوزيع،2004،ص 39.

[3] P.Charprnier ;Organisation et gestion de l entreprise ;édition 01 ;Natham ;P 58.

[4] سامح عبد المطلب عامر،" استراتيجيات إدارة الموارد البشرية"،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان/الأردن،الطبعة الأولى،1432ه/2011م،ص91.

[5] عبد الباري إبراهيم دزة،"تكنولوجيا الأداء البشري في المنظمات،الأسس النظرية ودلالاتها في البيئة العربية،المنظمة العربية للتنمية الإدارية"،مصر،2003،ص 103.

[6] سامح عبد المطلب عامر،" استراتيجيات إدارة الموارد البشرية"،مرجع سابق،ص152

ولقد حدد (BASS) ثلاثة عوامل تجعل من التدريب ضرورة لابد منها في المؤسسة وهي التطور والتقدم الفني والتعقيد المؤسسي والعلاقات الإنسانية وعليه فان إستراتيجية التدريب تلعب الأدوار التالية:[1]

- زيادة الفعالية.
- الرفع من معنويات العامل
- القدرة على التغلب على الصعوبات

وعليه يمكن القول أن إستراتيجية التدريب تزيد من حسن التسيير والتدبير المؤسساتي نتيجة لتمكن الأفراد من الأعمال التي تقدم إليه وزيادة ولاء الموظف لمؤسسته نتيجة لشعوره بالأمان الوظيفي.

ت- استراتيجية تطوير المسار الوظيفي:

يقصد "بالمسار الوظيفي مجموعة الخطوات والمراحل التي يمر بها العامل من تاريخ بدئه العمل بالمؤسسة إلى تاريخ إحالته على التقاعد"

و تظهر أهمية إستراتيجية تطوير المسار الوظيفي من خلال الآتي:

- تحقيق المساواة والعدالة بين الموظفين حيث يصبح كل موظف قادر على الارتقاء من منصب إلى آخر بالعمل المتواصل والإبداع الخلاق.
- التنمية الداخلية لنشاطات المؤسسة نتيجة لتشجيع العامل من فترة لفترة مما يزيد من رغبته في نجاح المؤسسة وتطويرها.
- القضاء على المشاكل والصعوبات والنزاعات بين الموظفين بسبب المساواة بينهم.
- الرفع من ولاء وحب الموظف للمؤسسة وحرصه على تطويرها و توسيع مستوى نجاحها.
- تشجيع العاملين على الابتكار والإبداع في العمل ومنه تحقيق أهداف المؤسسة.
- ضمان عدم تحول العمال إلى مؤسسات الغير وخاصة تلك المنافسة.

ث- استراتيجية الحوافز و المكافآت:

تتمثل هذه الإستراتيجية في خلق الدوافع لدى العاملين لإعطاء الأداء المتميز و الجدي والإخلاص في العمل غبر منح التعويضات التشجيعية والمفاجئة وفي أوقات غير متوقعة،وعليه يمكن القول إن هذه الإستراتيجية تلعب دور متميز وأساسي لتحقيق أهداف المؤسسة والحفاظ على ولاء الموظف وعدم تفضيل التوجه إلى المؤسسات المنافسة هذا فضلا على التقليص من حجم التمرد والإضرابات التي قد تحمل المؤسسة تكاليف هي في غنى عنها.[2]

3- اطار شامل حول المرفق العام:

[1] حيدر محمد العمري:" استراتيجيات التغيير في إدارة الموارد البشرية بعد العولمة"،2010،ص 126-127.

[2] مدوري نور الدين،"الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية في ظل التغيرات التكنولوجية"،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير،جامعة تلمسان/الجزائر،2011/2010،ص63.

المرافق العامة بوجه عام هي مشروعات تنشؤها الدولة وتديرها السلطة التنفيذية بهدف تحقيق الحاجات العامة للأفراد كالصحة والتعليم ... أو الإدارة أما تنظيم وإدارة المرافق العامة هي الوظيفة الأساسية للإدارة أو السلطة التنفيذية بفروعها ولاشك أن المرافق العامة وتأمينها لأداء الحاجات المرجوة منها وظيفة أساسية لا توجد الدولة حتى ولو كانت تدين بفلسفة المذهب الاقتصادي الحر .[1]

وفي تعريف المرفق العام ذهب البعض إلى التركيز على المعيار الشكلي أو العضوي ,فهو كل منظمة إدارية فالمرفق العام وفق هذا المعيار يختلط بالهيئة الإدارية العامة ذا أو مصلحة عامة أو وزارة تقوم بنشاط يستهدف تحقيق منفعة عامة للمواطنين.

واتجه جانب آخر من الفقه إلى التركيز على المعيار الموضوعي أو المادي وهو يهتم فقط بطبيعة النشاط ذاته , فيكون المرفق العام طبقا لهذا المعيار كل نشاط أو مشروع يستهدف تحقيق المنفعة العامة دون النظر إلى المنظمة أو الهيئة التي تتولاه[2] .

عناصر المرفق العام:

تحقيق المصلحة العامة

المرفق العام هو مشروع يستهدف تحقيق مصلحة عامة , وهذا العنصر هو أكثر العناصر أهمية ذلك أن المصلحة العامة هي هدف كل وظيفة إدارية بل المؤسسات التي تسيرها الدولة والتي تكون غايتها تجارية بحتة كالمؤسسات الاقتصادية إنما تسعى إلى تحقيق المصلحة العامة.

كما أن المصلحة العامة ليست حكرا على الإدارة فمن الوظائف التي يمارسها الأشخاص العاديون ماتتصل كذلك بالمصلحة العامة كخدمات البناء والنقل ولقد اقترح الفقه معيار للخروج من هذه الإشكالية فإذا كانت المصلحة العامة تمثل الغاية الأولى من النشاط الذي يقوم به الشخص القانوني وتوفرت الأركان الأخرى يتكون المرفق العام , أما إذا كانت المصلحة العامة تمثل غاية ثانوية لهذا النشاط فإن الوظيفة لاترتقي إلى مكانة المرفق العام.

المرفق العام مشروع تنشئه الدولة:

ويعني ذلك أن الدولة هي التي تقدر اعتبار نشاط ما مرفق عام وتقرر إخضاعه للمرافق العامة بناء على قانون معين , وليس من اللازم أن يكون كل مشروع تحدثه الدو لة أن تتولى هي مباشرة إدارته فكثيرا ما تعهد الإدارة إلى الأفراد أو شركة خاصة بأداء خدمات عامة تحت إشرافها وهو الوضع الذي يجسده نظام الإمتياز أو الشركات المختلطة ويفترض في المرفق العام الذي تتولى الدولة إحداثه أن يكون على قدر من الأهمية وإلا لكان قد ترك الأفراد وفي هذا المعنى قدم الفقيه **ديجي** وصفا للمرفق العام باعتباره نشاطا بأنه أنواع النشاط أو الخدمات التي يقدر الرأي نظرا لأهمية هذه العام في وقت من الأوقات وفي دولة معينة أن على الحكام القيام الخدمات للجماعة ولعدم إمكانية تأديتها على الوجه الأكمل بدون تدخل الحكام.[3]

---

[1] عبد الفتاح ابو الليل ، **الوجيز في القانون الاداري** ، القاهرة : دار النهضة العربية، 2000 ،ص177

[2] محمد الصغير بعلي، **الوجيز في القانون الاداري** ، عنابة: دار العلوم النشر والتوزيع ، 2002 ،ص20

[3] علي محمد يدير ، **القانون الاداري** ،بغداد 1993 : ص142

خضوع المرفق العام لسلطة الدولة:

يتصف المرفق العام بصفة أخرى وهي خضوعه لسلطة الدولة , وهو ما يترتب ممارسة جملة من السلطات على المرفق سواء من حيث عليه أن لهذه الأخيرة وهيئا تنظيمه وهيكلته أومن حيث نشاطه , فالدولة هي من تنشئ المرفق وهي من تحدد له نشاطه وقواعد تسييره وعلاقته بجمهور المنتفعين ومن حيث بيان سبل الانتفاع ورسومه

,والدولة هي من تضع التنظيم الخاص بالمرفق وتبين أقسامه وفروعه وتعين موظفيه وتمارس الرقابة على النشاط وعلى الأشخاص.

القسم الثاني: عموميات حول الميزة التنافسية للمؤسسة.

1- ماهية الميزة التنافسية:

القدرة التنافسية هي المهارة أو التقنية أو المورد المتميز الذي يتيح للمنظمة إنتاج قيم ومنافع للعملاء تزيد عما يقدمه لهم المنافسون، ويؤكد تميزها واختلافها عن هؤلاء المنافسين من وجهة نظر العملاء الذين يتقبلون هذا الاختلاف والتميز، حيث يحقق لهم المزيد من المنافع والقيم التي تتفوق على ما يقدمه لهم المنافسون الآخرون[1].

تعرف الميزة التنافسية على أنها ميزة أو عنصر تفوق للمؤسسة يتم تحقيقه في حالة اتباعها لاستراتيجية معينة للتنافس[2] .

2- أنواع الميزة التنافسية:

ميزة التكلفة الأقل:

يمكن لمؤسسة ما أن تحوز ميزة التكلفة الأقل إذا كانت تكاليفها المتراكمة بالأنشطة المنتجة للقيمة أقل من نظيرتها لدى المنافسين، وللحيازة عليها يتم الاستناد إلى مراقبة عوامل تطور التكاليف، حيث أن التحكم الجيد في هذه العوامل مقارنة بالمنافسين يكسب المؤسسة ميزة التكلفة الأقل، ومن بين هذه العوامل مراقبة التعلم: بحيث أن التعلم هو نتيجة للجهود المتواصلة والمبذولة من قبل الإطارات والمستخدمين على حد السواء، لذلك يجب ألا يتم التركيز على تكاليف اليد العاملة فحسب، بل يجب أن يتعداه إلى تكاليف النفايات والأنشطة الأخرى المنتجة للقيمة، فالمسيرون مطالبون بتحسين التعلم وتحديد أهدافه، وليتم ذلك يستند إلى مقارنة درجة التعلم بين التجهيزات والمناطق ثم مقابلتها بالمعايير المعمول بها في القطاع.

ميزة التميز:

تتميز المؤسسة عن منافسيها عندما يكون بمقدورها الحيازة على خصائص فريدة تجعل الزبون يتعلق بها، وحتى يتم الحيازة على هذه الميزة يستند إلى عوامل تدعى بعوامل التفرد، والتي نميز من بينها التعلم وآثار بثه: بحيث قد تنجم خاصية التفرد لنشاط معين، عندما يمارس التعلم بصفة جيدة، فالجودة الثابتة في

---

[1] علي السلمي، "إدارة الموارد البشرية الاستراتيجية"، دار غريب للنشر والطباعة، القاهرة، 2001، ص104.

[2] نبيل مرسي خليل، "الميزة التنافسية في مجال الأعمال"، مركز الاسكندرية، مصر، 1998، ص 37.

العملية الإنتاجية يمكن تعلمها، ومن ثم فإن التعلم الذي يتم امتلاكه بشكل شامل كفيل بأن يؤدي إلى تميز متواصل.

3- مصادر اكتساب الميزة التنافسية:

عند اكتساب الميزة التنافسية، يفترض على المؤسسات البحث عن مختلف العناصر، التي تمكنها من تقوية موقعها في السوق، ونجد أن معظم مصادر الميزة التنافسية تتجلى في:

أولا: المصادر المرتبطة بالحجم: وتعبر عن مختلف العناصر، والمتعلقة أساسا بحجم الإنتاج داخل المؤسسة، والتي من بينها

أ- اقتصاديات الوفرة: وهي عبارة عن تلك القيمة المنتجة والمباعة من منتوج معين والتي تخفض التكاليف الوحدوية، أي أن الزيادة في حجم الإنتاج، بهدف تخفيض التكاليف الوحدوية للمنتجات.

ويتم تخفيض التكاليف بصفة عامة بعدة طرق أهمها:

- تحسين معدل استعمال الآلات والمعدات
- اقتناء تجهيزات أكثر فعالية
- المكننة والأتمتة
- توزيع التكاليف الثابتة على كميات إنتاج أكبر

ب- مفعول الخبرة: نحن نعلم أنه كلما مرت السنوات على مؤسسة ما، وهي في حالة إنتاج لمنتج معين، كلما زادت خبرتها في هذا المجال وتراكمت. وهنا تسمح هذه الخبرة في تخفيض بعض التكاليف كون المؤسسة أصبحت قادرة على تجاوز بعض الأخطاء، التي قد تطرأ إثر عملية الإنتاج، التوزيع وغير ذلك..

ج- الكتلة الحرجة: تعبر عن أدنى حجم ضروري، لتمكين المؤسسة من مواجهة شدة التنافس في السوق. هذه الكتلة تابعة لعدة خصائص تتعلق بالقطاع في حد ذاته والتي من بينها:

- العتبة التقنية: والتي تظهر عند ضرورة الإنتاج بكميات كبيرة، من أجل تخفيض التكاليف الوحدوية
- العتبة التجارية: أي تقليص التكليف الوحدوية للتوزيع، إثر زيادة الكمية المباعة وكبرها.
- العتبة المالية: أي الحد الأدنى للموارد المالية، لتغطية تكاليف الاستثمار أو الإنتاج.

ثانيا: المصادر المرتبطة بالموارد: وهي التي تتعلق بموارد المؤسسة والتي نجد منها:

أ- إعادة التكوين: وتعكس مدى قدرة المؤسسة على إعادة تجديد مواردها المستعملة مسبقا(رؤوس الأموال...) وتنميتها بمختلف طرق تراكم الموارد، كطرق التمويل الذاتي، أو طرح أسهم في السوق أو سندات وغير ذلك..

ب- التعاون الوظيفي: ويعبر هذا الأخير عن إمكانية تجميع نشاطين أو أكثر في نشاط واحد، من أجل الحصول على نتيجة أعلى، وربحية أكبر. بشرط أن تكون الأنشطة متكاملة.

القسم الثالث: الدراســة الميدانيــة

حول دور استراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة دراسة حالة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان

1- تحديد مجتمع وعينة الدراســة:

يتكون مجتمع الدراسة من بنك المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان كعينة قصدية باعتبارها واحدة من المؤسسات الرائدة في هذا المجال وذلك للتعرف على مدى تأثير استراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية على تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة ، وللوصول إلى هذا الهدف تم صياغة استبانة طبقت على عينة الدراسة والبالغ عددها (100) موظفاً المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان ، وقد بلغ عدد الاستبانات غير الصالحة للتحليل (15) استبانة ، أما عدد الاستبانات الصالحة (85) أى بنسبة% 85 .

2- تحديد طرق تحليل البيانــات:

تم تحليل بيانات الدراسة عن طريق برنامج الحزمة الاحصائية(SPSS) باستخدام الطرق الاتية:

♣ **طريقة الوسط الحسابى لأسئلة الاستبيان:**

لتحليل البيانات قمنا بالاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي في الإجابة على الأسئلة وذلك حسب الدرجات التالية:

درجة (1) غير موافق بشدة.

درجة (2) غير موافق.

درجة (3) محايد.

درجة (4) موافق.

درجة (5) موافق بشدة.

♣ **طريقة تحليل الانحدار المتعدد**

لاختبار صلاحية نموذج الدراسة ومعنوية تأثير المتغيرات المستقلة على التابعة.

وتم تعديل مقياس التحليل بناء على متوسطات إجابات أفراد العينة في مؤسسة "رامي" على النحو التالي:

الجدول رقم (01):مقياس التحليل

الوسط الحسابي	درجة الموافقة
من 1 الى اقل من او يساوي 2.49	ضعيفة
من 2.5 الى اقل من او يساوي3.49	عادية
من 3.5 الى 5	عالية

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

3- قياس صدق وثبات أداة الدراسة:

يقصد بصدق أداة الدراسة، صلاحية الأداء، بحيث يتم التأكد من مضمون فقراتها من خلال عرضها علي المحكمين.

أما فيما يتعلق بثبات أداة الدراسة فيقصد به مدي التوافق في نتائج الإستبيان إذا تم تطبيقه أكثر من مرة من خلال إجابات المستجوبين علي كل الأسئلة الموجودة في المقياس.

الجدول رقم (02): نتائج ثبات أداة الدراسة

المتغير المستقل	عدد الفقرات	قيمة معامل الفا كرونباخ	المتغير التابع	عدد الفقرات	معامل الفا
التخطيط (التكوين)	04	0.8244	الميزة التنافسية	07	0.8989
التدريب	04	0.8276			
تطوير المسار المهني	04	0.8999			
الحوافز و المكافآت	04	0.8290			

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

4- استعراض البيانات الوصفية لأفراد العينة:

الجدول رقم (03):عرض البيانات الوصفية لأفراد العينة

المقيــاس	التقسيــم	التكــرار	النسبة المئويـة %
نوع الجنـس	ذكــر	35	42
	أنثــى	65	77
الوظيفة	مدير عام	01	02
	محاسب مالي	15	17
	إداري	59	69
	مخزني	10	12
المستوى التعليمي	متوسط/ثانوي	10	12
	بكالوريا	50	59
	جامعي/دراسات عليا	25	29
الخبرة المهنية	اقل من خمس سنوات	20	23
	من 5 سنوات الى 10 سنوات	30	35
	اكثر من 10 سنوات	35	42

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

5- تحليل بيانات الدراسة:

بهدف التعرف على آراء الموظفين حول استراتيجيات التسويق الداخلي في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان ، فقد تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات كل بعد من أبعاد التسويق الداخلي، كما هو موضح في الجداول التالية:

5-1- تحليل متغير التخطيط (التكوين):

الجدول رقم (04): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمتغير التخطيط

الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	التقدير	الترتيب
الأولى	تُعتبر تقنيات التخطيط في مؤسسة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان متطورة	2.99	متوسط	01
الثانية	تهتم إدارة المؤسسة بتطوير أساليب التخطيط في تحسين جودة المنتج و تنويع طرق تسويقة محليا و خارجيا.	2.43	ضعيف	03
الثالثة	تتعامل المؤسسة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان مع متخصصين ذو كفاءة عالية لصياغة خطط انتاجية وتسويقية حالية ومستقبلية.	2.26	ضعيف	04
الرابعة	أشعر بأن التخطيط الذي تقوم به المؤسسة حول الإنتاج والإدارة سيساعدها على التصدي للمنافسة السوقية بشكل فاعل.	2.68	متوسط	02

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

إذن المعدل العام للتخطيط والتكوين بالمؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان ب2.59 و هو معدل يقدر بالمتوسط.

و يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على بعد التخطيط في مؤسسة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان تراوحت بين 2.99 و 2.26 وهو معدل يتأرجح بين الضعيف و المتوسط أي استراتيجية التخطيط لازالت تتطلب المزيد من التطوير والاهتمام من طرف المسؤولين بالمؤسسة.

5-2- تحليل متغير التدريب:

الجدول رقم (05): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمتغير التدريب

الفقرة	العبارة	المتوسط	التقدير	الترتيب

	العبارة	المتوسط الحسابي	التقدير	الترتيب
الأولى	تُعتبر البرامج التدريبية المتاحة في مؤسسة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان كافية	3.20	متوسط	04
الثانية	تهتم إدارة المؤسسة بتدريب العاملين وتنمية مهاراتهم في مجال التعامل مع العملاء وكيفية إرضاءهم.	4.35	ممتاز	01
الثالثة	أشعر بأن التدريب المقدم يغطي نقصاً حقيقياً ويكسبني المزيد من المهارات.	4.02	ممتاز	02
الرابعة	تقوم المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان بإعداد وتنفيذ برامج تدريبية للعاملين بشكل دوري	3.66	متوسط	03

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

إذن المعدل العام لمتغير التدريب بمؤسسة "رامي":3.80 و هو معدل يقدر بالممتاز.

و يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على بعد التدريب في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان تراوحت بين 4.35 و 3.20وهو معدل عالي و ممتاز أي استراتيجية التدريب تلقى نجاحا جيدا.

3-5- تحليل متغير تطوير المسار الوظيفي:

الجدول رقم (06): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمتغير تطوير المسار الوظيفي

الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	التقدير	الترتيب
الأولى	مؤسستي تعمل على تحقيق مبدأ المساواة و العدالة في الإرتقاء في المناصب.	3.11	متوسط	04
الثانية	ارى ان ترقية نشاطات مؤسستي يشجعني على إعطاء الأفضل	4.42	ممتاز	01
الثالثة	يوجد في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان طرق فعالة للحد من النزاعات بين الموظفين مما يريحني في العمل.	3.72	ممتاز	02
الرابعة	توفر لي مؤسستي الجو المناسب الذي لا يسمح بالتفكير في التحول على مؤسسات أخرى منافسة	3.55	ممتاز	03

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

إذن المعدل العام لمتغير تطوير المسار الوظيفي المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان:3.70 و هو معدل يقدر بالممتاز.

و يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على بعد تطوير المسار الوظيفي في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان تراوحت بين 4.42 و 3.11 وهو معدل عالي وممتاز أي استراتيجية تطوير المسار الوظيفي تلقى نتيجة إيجابية.

4-5- تحليل متغير الحوافز و المكافآت:

الجدول رقم (07): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمتغير الحوافز و المكافآت

الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	التقدير	الترتيب
الأولى	أرى أن الحوافز والمكافآت تتناسب مع مستوى أدائي في العمل	3.45	متوسط	04
الثانية	يوجد في مؤسستي المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان نظام حوافز ومكافآت عادل موجه للعاملين بالمؤسسة.	3.46	متوسط	03
الثالثة	أتلقى المدح والثناء من مديري كلما أحسنت في عملي.	4.13	ممتاز	01
الرابعة	يتم مكافأة العاملين الذين يقدمون جهدا متميزا في العمل.	4.02	ممتاز	02

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

إذن المعدل العام لمتغير الحوافز و المكافآت بالمؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان 3.76 و هو معدل يقدر بالممتاز.

و يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على بعد الحوافز والمكافآت في المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان تراوحت بين 4.13 و 3.45 وهو معدل عالي وممتاز أي استراتيجية الحوافز والمكافآت تلقى نجاحا جيدا.

5-5- تحليل متغير الميزة التنافسية:

الجدول رقم (08): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمتغير الميزة التنافسية

الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	التقدير	الترتيب
الأولى	يساهم التخطيط العلمي الدقيق في تحقيق الميزة	3.41	متوسط	01

	التنافسية للمؤسسة.			
الثانية	للبرامج التدريبية مردود جيد يساعد على تحقيق الميزة التنافسية.	2.52	متوسط	06
الثالثة	الحوافز تزيد من عطاء الموظف و بذلك الرفع من الانتاج و السيطرة على الاسواق التنافسية.	2.49	ضعيف	07
الرابعة	جودة المنتوج تحقق ميزة تنافسية للمؤسسة عبر التكوين المستمر للعمال.	3.12	متوسط	03
الخامسة	ولاء العمال يعتبر ميزة تنافسية للمؤسسة.	2.79	متوسط	04
السادسة	الحد من النزاعات الداخلية يوفر جو الابداع و الابتكار لتحقيق ميزة تنافسية.	2.55	متوسط	05
السابعة	الاهتمام بالعنصر البشري في المؤسسة بمثابة تحقيق ميزة تنافسية.	3.50	ممتاز	02

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

إذن المعدل العام لمتغير الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان 2.91 و هو معدل يقدر بالمتوسط.

و يلاحظ من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على بعد الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان تراوحت بين 3.41 و 2.49 وهو معدل يتراوح ما بين الضعيف و المتوسط.

اختبار الفرضيات:

الجدول رقم (09): قيم معاملات الانحدار للمقدرات والاختبارات الإحصائية

النموذج	Standardized B	T	Sig
الحد الثابت	/	0.466-	0.642
التخطيط	0.280	3.102	0.025
التدريب	0.399	4.690	0.000
تطوير المسار الوظيفي	0.390	4.675	0.000
الحوافز و المكافآت	0.385	4.640	0.000

المصدر:من إعداد الباحثة حسب استمارة المعلومات

6- اختبار الفرضيات:

الفرضية الرئيسية:يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجيات التسويق الداخلي للموارد البشرية على تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان.

وعليه نقوم أولا باختبار الفرضيات الفرعية:

اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجية التخطيط على تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب ومشتقاته بتلمسان.

من الجدول رقم (09) يتبين لنا أن قيمة T قدرت ب 3.102 عند مستوى معنوية Sig=0.025 عند مستوى دلالة تقدر ب α≤ 0.05 ، هذا فضلا على أن قيمة **B** =0.280 مما يدل على أن المتغير التابع المتمثل في الميزة التنافسية ينقص تبعا للنقص الحاصل في المتغير المستقل استراتيجية التخطيط للموارد البشرية وبذلك نقوم بقبول الفرضية الفرعية الأولى.

اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجية التدريب على تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان من الجدول رقم ( ) يتبين لنا أن قيمة T قدرت ب 4.690عند مستوى معنوية Sig=0.000 عند مستوى دلالة تقدر ب α≤ 0.05 هذا فضلا على أن قيمة **B** =0.399 مما يدل على أن المتغير التابع المتمثل في الميزة التنافسية ينقص تبعا للنقص الحاصل في المتغير المستقل استراتيجية تدريب الموارد البشرية وبذلك نقوم بقبول الفرضية الفرعية الثانية.

اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجية تطوير المسار المهني على تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان من الجدول رقم ( ) يتبين لنا أن قيمة T قدرت ب 4.675عند مستوى معنوية Sig=0.000 عند مستوى دلالة تقدر ب α≤ 0.05 هذا فضلا على أن قيمة **B** =0.390 مما يدل على أن المتغير التابع المتمثل في الميزة التنافسية ينقص تبعا للنقص الحاصل في المتغير المستقل استراتيجية تطوير المسار المهني للموارد البشرية وبذلك نقوم بقبول الفرضية الفرعية الثالثة.

اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:

يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإستراتيجية الحوافز و المكافآت على تحقيق الميزة التنافسية المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان.

من الجدول أعلاه يتبين لنا أن قيمة T قدرت ب 4.640عند مستوى معنوية Sig=0.000 عند مستوى دلالة تقدر ب α≤ 0.05 هذا فضلا على أن قيمة **B** =0.385 مما يدل على أن المتغير التابع المتمثل في الميزة التنافسية ينقص تبعا للنقص الحاصل في المتغير المستقل استراتيجية الحوافز و المكافآت للموارد البشرية وبذلك نقوم بقبول الفرضية الفرعية الرابعة.

7- نتائـج الدراســة:

- استراتيجية التخطيط لازالت تتطلب المزيد من التطوير والاهتمام من طرف المسؤولين بالمؤسسة للوصول إلى الأهداف المسطرة.
- هنالك اهتمام من قبل إدارة المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان بالبرامج التدريبية التي يخضع لها الموظفين و التي من شأنها الرفع من قدراتهم و كفاءاتهم المهنية.
- يتم بالاهتمام بتطوير المسار المهني للموظف عبر التكوينات و الابحاث العلمية المتتالية من قبل المؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان للرفع من الميزة التنافسية عبر الجهود المبذولة من قبل الموظفين.
- يتم منح الموظفين حوافز جيدة تتناسب مع مستوي أدائهم في العمل و بذلك تحفيزهم على العمل أكثر.
- يتم مكافأة العاملين الذين يقدمون جهداً متميزاً في تقديم منتج ذو جودة عالية من باحثين في طرق وأساليب الانتاج المبتكرة وبذلك تحقيق الميزة التنافسية لمؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان.
- يتلقي الموظفون الذين يجيدون عملهم المدح والثناء من قبل المديرين مما يشجعهم على العطاء الأفضل.
- إتضح من إجراء تحليل بيانات الدراسة بأن تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان عبر استراتيجيات تسويق و تسيير الموارد البشرية على النحو الجيد ما بين المتوسط والممتاز.

الخاتمـــة:

يمكن القول أخيرا ،أن العمل على تطوير استراتيجيات تسويق الموارد البشرية بالمؤسسة الوطنية للحليب و مشتقاته بتلمسان يتطلب المزيد من الجهد و البحث في تقنيات التخطيط الناجحة و صياغة برامج تدريبية فعالية و متميزة للرفع من القدرات الفردية والجماعية للموظفين، هذا فضلا عن الحرص على تطوير المسار المهني للعامل عبر إقامة دراسات و أبحاث دورية للنهوض بمستواه، مع تحفيزه و مكافأته باستمرار لاستخلاص منه أقصى حد ممكن من المجهود اللازم لإنجاح المؤسسة وتحقيق لها ميزة تنافسية جيدة تساعدها على مواجهة المنافسة السوقية المتصاعدة في السنوات الأخيرة في مختلف الأسواق الاقتصادية.

المراجع المعتمدة:

المراجع المعتمدة باللغة العربية:

- **الكـتب:**

1- حامد شعبان ،أثر التسويق الداخلي كمدخل لإدارة الموارد البشرية على مستوى جودة الخدمة الصحية بالمستشفيات التابعة للهيئة العامة ،للتأمين الصحي بالقاهرة الكبرى ،مجلة المحاسبة و الإدارة والتأمين،كلية التجارة، جامعة القاهرة، العدد2003،60.

2- حمداوي وسيلة،إدارة الموارد البشرية،مديرية النشر لجامعة قالمة،الجزائر،2004.

3- حيدر محمد العمري:" استراتيجيات التغيير في إدارة الموارد البشرية بعد العولمة"،2010.

4- ريتشارد نورمان، **إدارة الخدمات**، ترجمة عمرو الملاح، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000.

5- سامح عبد المطلب عامر،" استراتيجيات إدارة الموارد البشرية"،دار الفكر للنشروالتوزيع، عمان/الأردن، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.
6- سامح عبد المطلب عامر،" استراتيجيات إدارة الموارد البشرية"،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان/الأردن، الطبعة الأولى،1432هـ/2011م.
7- عبد الباري إبراهيم دزة،"تكنولوجيا الأداء البشري في المنظمات،الأسس النظرية ودلالاتها في البيئة العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية"،مصر،2003.
8- عبد العزيز صالح بن حبتور،"الإدارة الإستراتيجية"،دار المسيرة للنشر والتوزيع،2004.
9- علي السلمي، "إدارة الموارد البشرية الاستراتيجية"، دار غريب للنشر والطباعة، القاهرة، 2001.
10- عمر وصفي عقيلي،"إدارة الموارد البشرية المعاصرة- بعد استراتيجي-"،دار وائل للنشر والتوزيع،عمان/ الأردن، الطبعة الأولى،2005.
11- ماهر، أحمد ، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية،2003.
12- محمد فريد الصحن،قراءات في إدارة التسويق، الدار الجامعية،الإسكندرية، 2002 .
13- منصور، إياد شوكت، إدارة خدمة العملاء، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ،2008.
14- نبيل مرسي خليل، "الميزة التنافسية في مجال الأعمال"، مركز الاسكندرية، مصر، 1998.

➢ **المذكرات الجامعية:**

1- مدوري نور الدين، "الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية في ظل التغيرات التكنولوجية"،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير،جامعة تلمسان/الجزائر،2011/2010.

➢ **المجلات:**

1- حامد شعبان ،أثر التسويق الداخلي كمدخل لإدارة الموارد البشرية على مستوى جودة الخدمة الصحية بالمستشفيات التابعة للهيئة العامة ،للتأمين الصحي بالقاهرة الكبرى ،مجلة المحاسبة و الإدارة و التأمين،كلية التجارة، جامعة القاهرة، العدد2003،60.

المراجع المعتمدة باللغة الفرنسية:

1.
2. Ahmed.P.K, Rafiq.M. , Internal marketing: Tools and concepts for customer-Focused managemet, Butterworth-Heinmann.
3. Bruce, Manuela, 2003“Measuring Empowerment", Leadership & Organization Development Journal, Vol.. 24, NO. 2.

4. M.Dunmore, Inside-Out Marketing, how to create on internal marketing strategy, kagan page, London (UK),2002.
5. P.Charprnier ;Organisation et gestion de l entreprise ;édition 01 ;Natham .
6. Taniver Ahmed Minar,et AL, Internal marketing: A strategic Tool to Achieve inter-functional Coordination in the context of manufacturer of industrial Equipment, Daffodil international University Journal of Business and Economics, Vol3, January 2008, P174 Gudmundson,. Lundberg,C, Internal marketing: A way of Improving Quality, electronic .



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 72

NOVEMBRE 2018

ISSN 1112-4652